المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
قسم الدراسات العليا
شعبة الكتاب والسنة





الأسس العقدية والتشريعية والأخلاقية كما تصورها سورة النجم

رسالة دكتوراه

إعداد الطالب: محمد عمر حويه الموريتاني

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبه

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

"بسم الله الرحمن الرحيم"

(كلمة الشكر والتقدير)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد ....

فانه اعترافا بالفضل والاحسان لاهله ، ولما ورد "من لم يشكر الناس لم يشكر الله "(1) . أتقدم بجزيل الشكر والعرفان الى استاذى وشيخى الدكتور/ محمد محمد أبو شهبة ، الذى ما فتئ يوجهنى ويرشدنى بتوجيهاته القيمة ، ويذلل كل صعب يواجهنى ، أثناء بحثى هذا ويعطينى من وقته ما لم أستحقه نظاما ، فى بيته ، وفى الحرم المكى ، وفى أى وقت أقابله ، يفتح لى بيته ، ومكتبته ، بسعة صدر ، وبشاشة نفسه فقد وجدت فيه ، سعة الاطلاع ، وأخلاق العلماء ، وتوجيه المربين ، فجزاه الله عنى أحسن الجزاء ، وأمد فى عمره ، وختم لنا وله بالحسنى، انه على كل شئ قدير .

فالحق أن انجاز بحثى هذا بفضل الله عز وجل ، ثم بمساعدة أستاذى .

كما أشكر وأقدر جامعة أم القرى ممثلة فى معالى مديرها الدكتور راشد الراجح ، على ما أسداه لى من خدمات جليلة ممثلة فى قبولى

---

(1) رواه الترمذى وحسنه عن أبى سعيد رفعه ، وأبو داود ، وابن حبان عن أبى هريرة ، ورواه القضاعي عن النعمان والديلمى عن جابر ، وأفرد الدمياطى طرقه فى جزء كشف الخفاء ومزيل الالباس عن ما أشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس ٢/ ٣٧٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

بالجامعة ، فجزاه الله عني وعن طلبة العلم أحسن الجزاء ، وأسعده بعون من عنده ، وبارك في جهوده المخلصة ، وأمد في أيامه .

كما أخص بالشكر سعادة الدكتور / عباس حكمي عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى ، ذلك الشاب الطموح الغيور على دينه ، أشكره على ما بذله لي من مساعدة جليلة في قبولي بالجامعة ، أرجو الله أن يجزيه عني أحسن الجزاء .

كما أني أقدم الشكر لسعادة وكيل الدراسات الاسلامية الدكتور / عويد بن عائد المطرفي ، صاحب الاخلاق الحميدة على ما بذله لي من خدمات جليلة ، فالله يجزيه عني أحسن الجزاء .

كما أني أشكر كلا من رئيس الدراسات العليا الشرعية فضيلة الشيخ سيد سابق ، فقد استفدت من كتبه أثناء بحثي .

وسعادة وكيل عميد كلية الشريعة الدكتور : حمزه الفعر ، على ما وجدت فيه من سعة صدر ، وأخلاق عالية ، أثناء مراجعتي له .

كما أشكر جميع المسئولين بالجامعة ، اداريين ، وغير اداريين .

كما أشكر مدير ادارة الدراسات العليا ، الاستاذ / حسين مكاوى .

فجزى الله الجميع عني خيرا .

* * *

محمد عمر حويه الموريتاني

١٤٠٣/٧/١ هـ

" المقدمة "

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .

أما بعد .. فاني أحمد الله على جزيل نواله ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد واله ، أحمده سبحانه على نعمائه التى لا تحصى ، وأشكره على آلائه التى تترى ، هذا وانه لما أنعم الله على بالالتحاق بالدراسات العليا بجامعة أم القرى فرع الكتاب والسنة ، ودرست فيها سنتين منهجيتين بهذا القسم على أيدى أساتذة كرام علماء ، عز وجودهم فى هذا العصر ولما انتهيت من السنتين المنهجيتين ، اخترت موضوعا لرسالة الماجستير وكان بعنوان " الخمر فى ضوء الكتاب والسنة " ، وقد شجعنى أستاذى المشرف على رسالتى آنزاك ، كما أنه ولله الحمد هو المشرف على رسالتى هذه ، ذلكم هو الاستاذ الدكتور / محمد محمد أبو شهبة ، وقد كان موضوع الماجستير ذا شقين ، الآيات التى ورد ذكر الخمر فيها ، وهذا موضوع تفسير ، والشق الآخر الاحاديث التى تحدثت عن الخمر ، وقد تكلمت عليها من حيث الصحة والحسن وغير ذلك ، وقد نجحت فيها بفضل الله عز وجل بالامتياز .

وبعد ذلك أمتن الله على بالالتحاق بقسم الدكتوراه بجامعة أم القرى فأحببت أن يكون موضوع رسالة الدكتوراه فى التفسير فقط .

وبعد المطالعة والبحث الجاد ، رأيت أن سورة " النجم " تصلح أن تكون موضوعا لبحث الدكتوراه ، لما فيها من مباحث قيمة ، حرية بأن يبحثها المتخصصون ، ويخلصوا منها بنتائج ، مثل قصة الغرانيق ، والرؤية واجتهاد النبى صلى الله عليه وسلم - ، والاسراء ، والتحقيق فى عالم الملائكة ذلك العالم المختار ، وهل سجد الرسول فى هذه السورة ، وهل نسخ ذلك أم لا ، وما دعوى من ترك السجود فيها ، وغير ذلك من الابحاث التى اشتملت عليها هذه السورة ، فلما عرضت الأمر على أستاذى وشيخى الدكتور / محمد محمد أبو شهبة ، رأى الموضوع صالحا للبحث وشجعنى عليه ، فاستعنت بالله ، وجعلته موضوع رسالتى لبحث الدكتوراه تحت عنوان " الأسس العقدية والتشريعية والاخلاقية كما تصورها سورة النجم " .

أرجو أن أكون بهذا الموضوع قد ساهمت فى المكتبة الاسلامية بلبنة كان محلها فارغا ، كما أرجوه سبحانه وتعالى أن يكون فى موضوعى ذبّ عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعن سنته المطهرة ، وأن يكون فيه حث للمسلمين على التمسك بالسنة ، ونبذ للخرافات والبدع ، انه ولى ذلك والقادر عليه .

وقد جعلت لتفسير السورة (بابا) قسمت السورة فيه الى ثلاثة عشر مقطعا ، ثم ختمت البحث بخاتمة ، فالى الباب ..

* * *

الباب : وجعلته لتفسير السورة ، وقد قسمت السورة الى ثلاثة عشر مقطعا :

١) المقطع الاول : من قوله : " والنجم اذا هوى " الى قوله : " وهو بالافق الاعلى " .

بعد التفسير التفصيلي للآيات ، والمعنى الاجمالي للايات بحثت الامور التالية :

ـ القسم . وهل يجوز القسم بغير الله ، والمعاني التي تأتي لها الواو في اللغة العربية ، واذا اجتمع الشرط والقسم أيهما يقدم ، وهل ينعقد اليمين بغير الله .

ـ المعاني التي يأتي لها النجم ، وتحقيق المراد به في هذه الاية ، والمعاني التي يأتي لها الضلال في اللغة العربية .

ـ وهل يجوز للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يجتهد أم لا ؟ وما هو الاجتهاد ، وما شروط المجتهدين موجزة .

ـ أقسام الوحي ، والقرآن من أي قسم منها ، وما يدل على ثبوت الوحي علميا .

٢) المقطع الثاني : من قوله : " ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى " الى قوله : " أفتمارونه على ما يرى " .

ـ وحققت هنا معنى الذي " دنا فتدلى " وأنه جبريل عليه السلام .

ـ ومعنى " قاب قوسين أو أدنى " ، والتحقيق في معنى " فأوحى الى عبده ما أوحى " .

٣) المقطع الثالث : من قوله تعالى : " ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى " الى قوله " لقد رأى من آيات ربه الكبرى " .

ـ بعد التفسير التفصيلى للآيات ، والمعنى الاجمالى لها بحثت : الاسراء والمعراج بحثا موجزا ، وهل كان بالجسد والروح معا ، أم بالروح فقط ، وهل كان يقظة أم مناما .

ـ كما بحثت هنا الرؤية ، وتعرضت للرؤية عند أهل السنة ، وعند غيرهم ، والتحقيق فى الذى رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة المعراج ، وأنه جبريل ـ عليه السلام ـ وأن الله لا يرى فى الدنيا على التحقيق ، وان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة ، بخلاف الكافرين .

٤) المقطع الرابع : من قوله تعالى " أفرأيتم اللات والعزى " الى قوله : " تلك اذا قسمة ضيزى " .

ـ بعد التفسير التفصيلى ، والمعنى الاجمالى للايات تكلمت عن قصة الغرانيق ، وبينت بطلانها بالادلة من الكتاب والسنة ، وأقوال العلماء ، كما قدمت لها بكلام موجز عن عصمة الانبياء .

٥) المقطع الخامس : من قوله تعالى : " ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وءاباؤكم " الى قوله : " من سلطان " .

بعد التفسير التفصيلى ، بينت المعنى الاجمالى للايات ، وبينت فيه فساد عقولهم ، وأنهم لا يسيرون على منهج صحيح عند العقلاء .

٦) المقطع السادس: من قوله تعالى : "ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس" الى قوله : "فلله الاخرة والاولى" .

- بحثت فى هذا المقطع ، التفسير التفصيلى للايات ، وبينت فيه معنى الظن والوهم والشك عند الاصوليين ، والنكتة فى الالتفات الى الغيبة فى يتبعون ، وأوجه القراءة فيها ، ثم فسرت الايات تفسيرا اجماليا .

٧) المقطع السابع : من قوله تعالى : "وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا" الى قوله : "ويرضى" .

- وبعد التفسير التفصيلى للايات ، والمعنى الاجمالى لهما بحثت فى عالم الملائكة ، مبينا تعريفهم ، وأنهم حقيقة موجودون أجسام نورانية ، خلقوا من النور ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، وبينت ما يدل على كثرتهم ، وأنهم يدبرون أمر السموات والارض بأمر الله عز وجل ، وهل الافضل هم أم الانبياء ؟ وأخلص الى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو أفضل الخلق لحديث ذكره الحاكم .

- كما بحثت هنا أقسام الشفاعة ، وبينت أنواعها ، وأنها واقعة يوم القيامة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشفع الشفاعة الكبرى لفصل القضاء حين يتأخر عنها أولوا العزم من الرسل ، كما بينت أنه لا يشفع الا بعد أن يأذن الله له ، ويرضى الشافعة لمن يشفع له ، وأن الكافر لاحظ له فيها .

٨) المقطع الثامن : من قوله تعالى : " ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى " الى قوله : " وهو أعلم بمن اهتدى " .

ـ بعد أن بينت فى التفسير التفصيلى للايات بيان بطلان خرافتهم من تسمية الملائكة تسمية الانثى ، وأنه لا علم عندهم يعتمدون عليه ، وبعد المعنى الاجمالى للايات أفردت الظن ببحث موجز ، بينت فيه الايات الدالة على ذم الظن مطلقا ، كما ذكرت أن بعض العلماء يرى أنه ينقسم الى أقسام ، وأنه لا يدخل فى المعتقدات ، وانما يكتفى فى المعاملات بغالب الظن .

٩) المقطع التاسع : من قوله تعالى : " ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا " الى قوله : " هو أعلم بمن اتقى " .

ـ بينت فى التفسير التفصيلى للايات معنى اللمم ، وبينت الخلاف فى الا هل الاستثناء متصل أم لا ؟ وما هى كبائر الاثم والفواحش وانه لا ينبغى لمن سمت أخلاقه أن يزكى نفسه ، فالله أعلم بالمتقى ، وبعد المعنى الاجمالى للايات أفردت الكبيرة ببحث ، بينت فيه الخلاف فى عدد الكبائر ، وما هو الفرق بينها وبين الصغيرة ، وأن التحقيق انقسام المعاصى الى كبائر وصغائر ، وأن الكبائر تتفاوت فى أنفسها ، كما ذكر العلماء .

١٠) المقطع العاشر : من قوله تعالى : " أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى " الى قوله : " ثم يجزاه الجزاء الاوفى " .

ـ بحثت فى التفسير التفصيلى للايات ، من الذى تولى ، ورددت قول من قال : انه عثمان ـ رضى الله عنه ـ ، ثم بينت ان قوله تعالى : " وان ليس للانسان الا ما سعى " ، انها قاعدة المجازات ، فلا يجد الانسان الا ما عمل ، كما أنه لا يحمل اثم غيره .

ـ ثم ذكرت ان بعض العلماء استنبط من قوله تعالى : " وان ليس للانسان الا ما سعى " أن القرآن لا يصل للميت ، وعلى القول بأنه يصل ، فلا ينبغى أن يكون بأجرة ، فاذا كان بها ، فلا ثواب له كما اختاره بعضهم ، ثم خلصت الى المعنى الاجمالى للايات .

١١) المقطع الحادى عشر : من قوله تعالى : " وأنه هو أضحك وأبكى " الى قوله : " وأن عليه النشأة الاخرى " .

ـ بحثت فى التفسير التفصيلى معنى " أضحك وأبكى " ، ومعنى الموت والحياة ، وسرهما ، والسر فى كونه لم يأت بضمير الفصل فى قوله " وانه خلق الزوجين الذكر والانثى " ، وبينت بطلان مذهب المعتزلة فى كونه تعالى تجب عليه النشأة الاخرى ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ثم ذكرت المعنى الاجمالى للايات .

١٢) المقطع الثانى عشر : من قوله تعالى : " وأنه هو أغنى وأقنى ، وأنه هو رب الشعرى " الى قوله : " فبأى آلاء ربك تتمارى " .

ـ بحثت خلال التفسير التفصيلي للايات معنى أغنى وأقنى ، والمراد "بالشعرى " على التحقيق ، والسر فى التنصيص عليها ، وأوجه القراءة فى عاد الاولى ، ثم ذكرت الايات التى بينت ما أهلك به قوم نوح ، كما ذكرت وجه كونهم كانوا أشد ، وأظلم ، وأطغى ، من غيرهم ، ثم ذكرت المعنى الاجمالى للايات .

١٣) المقطع الثالث عشر : من قوله تعالى : " هذا نذير من النذر الاولى " الى : " آخر السورة " .

ـ بحثت فى التفسير التفصيلى للايات ، المراد بالنذير هنا ، ومعنى الازفة ، ومعنى السمود فى اللغة ، ثم ذكرت المعنى الاجمالى للايات .

ـ ثم تكلمت على السجود فى السورة ، وذكرت حجة الجمهور فى السجود فيها ، وحجة مالك فى عدم السجود فيها ، وناقشت أدلة المالكية ، ثم بينت أن الراجح عندى هو السجود ، ثم ذكرت حكم سجود التلاوة ، وبينت أنه سنة عند الجمهور خلافا لابى حنيفة ، وناقشت أدلة أبى حنيفة ، ورجحت حجة الجمهور .

ـ ثم بحثت حكم الساجد من حيث اشتراط الطهارة وستر العورة واستقبال القبلة ، كما ذكرت أن المستمع ، ان كان التالى : ممن تصح به الامامة ، وسجد أنه يسجد ، وذكرت أنه يكبر لسجود التلاوة عند الخفض والرفع ، بلا احرام زائد على تكبير الخفض ، وبلا سلام ، كما

ذكرت أن التالي يسجدها ، في كل وقت ، وهذا قول الشافعي ، وقيل ما لم يسفر الصبح ، أو تصفر الشمس ، كما ذكرت أنه يسن للساجد الدعاء فيها وذكرت في ذلك حديثين ، أحدهما في صحيح مسلم ، والثاني في الترمذي وابن ماجة ، ثم ختمت هذا البحث بذكر آيات السجود في القرآن ، ذكرت أقصى حد لها ، وهو خمس عشرة آية ، ذكرتها مرتبة متتالية للفائدة .

ثم اعلم أيها القارئ الكريم أني لم أترك شيئا من الاعراب ذكره المفسرون الا وبينته في علمي .

وكذلك لم أترك آية أو كلمة ذكر المفسرون فيها أوجه قراءة الا وبينت ذلك .

أما ما ورد في أثناء البحث من الاحاديث ، فحاولت أن أخرج الكثير منه ، وان كان قد بقي على البعض نظرا لضيق الوقت بالنسبة لي ، وأما الحكم على الحديث فلم أفعله الا في قليل ، مع أني رأيت بعض العلماء وهو ابن الصلاح في المقدمة لا يرى أن يحكم الناس اليوم على الاحاديث حيث قال :

" اذا وجدنا فيما يروى من أجزاء الحديث وغيرها حديثا صحيح الاسناد ولم نجده في أحد الصحيحين ، ولا منصوصا على صحته في شيء من مصنفات أئمة الحديث المعتمدة ، المشهورة ، فانا لا نتجاسر على جزم الحكم بصحته ، فقد تعذر في هذه الاعصار الاستقلال بادراك الصحيح بمجرد اعتبار الاسانيد

لانه ما من اسناد من ذلك الا وتجد في رجاله من اعتمد في روايته على ما في كتابه عريا عما يشترط في الصحيح من الحفظ والضبط والاتقان ، فآل الامر اذا في معرفة الصحيح والحسن الى الاعتماد على ما نص أئمة الحديث في تصانيفهم المعتمدة المشهورة التي يؤمن فيها ـ لشهرتها ـ من التغيير والتحريف[1] .

ثم ختمت البحث بخاتمة ، أوجزت فيها بعض النتائج التي توصلت اليها من خلال البحث ، واقترحت فيها اقتراحين .

هذا وقد قال بعض[2] العلماء ينبغي لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق اليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد :

١ ـ استنباط شيء كان معضلا .

٢ ـ أو جمعه ان كان متفرقا .

٣ ـ أو شرحه ان كان غامضا .

٤ ـ أو حسن نظم وتأليف .

٥ ـ أو اسقاط حشو وتطويل .

وأرجو أن لا تخلو رسالتي عن هذه الفوائد كلها أو بعضها .

وزللي فيما أقول ان تره ∴ فانني أطلب منك المعذره

فقد يصاب دارع في النحر ∴ ويغرق الفائص وسط البحر

وقد هفا في العلم من فيه رسخ ∴ وقل ما ينجو مؤلف لم يخ

اعلم اذا علمت ذا أن الزلل ∴ من عليه الجهل مستول جلل

وحيث ما حججتني بالحق ∴ حتى كأني عادم للنطق

فحجتي عفوك عن زلاتي ∴ وليس لي من حجة الاتي

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ١/١٢ـ١٣ تحقيق نور الدين العتر ، الناشر النمنكاني .
(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل

البـــــــاب

هـذا أوان الشـروع فى تفسـير السـورة ، سـورة " النجـم " .

المقطـع الاول من السورة : قال تعالى : " والنجـم اذا هـوى ما ضل صـاحبكم وما غـوى وما ينطـق عـن الهـوى ان هـو الا وحـى يوحـى علمه شديـد القـوى ذو مـرة فاسـتوى وهـو بالافـق الاعـلى " .

==================================

وأبحـث تحت هـذا المقطـع الموضوعـات التاليـة ، بعد التفسـير التفصيلـى للايـات :

١) المراد بالنجـم .

٢) الضـــلال .

٣) هـل يجوز القسـم من المخلوقات بغير اللـه .

٤) المعانى التى تأتـى لها الواو ، واذا اجتمع الشرط والقسم أيهما يقدم .

٥) هـل يجتهد النبى ـ صلى الله عليه وسـلم ـ وما هـو الاجتهـاد لغـة وشـرعا ، وما شـروط المجتهـد .

٦) الوحـى لغـة وشـرعا ، وكم أقسـامه ، والادلة العقلية للوحى .

مناسـبة السـورة لما قبلهـا :

ظاهـرة جدا لانه قال قبلها : " أم يقولون تقوله " (١) . أى اختلـق القرآن ونسـبوه الى الشعر ، وقالوا : هـو كاهـن ، ومجنون ، فأقسم تعالـى

---

(١) سـورة الطـور الايـة : ٣٣ .

أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما ضل ، وأن ما يأتى به هو وحى من الله (١).

وقيل وجه المناسبة أنه قال تعالى فى آخر تلك السورة " وادبار النجوم " (٢).

وقال فى أول هذه السورة " والنجم " (٣).

سبب نزول الايات :

قول المشركين : ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ يختلق القرآن (٤).

هذه السورة احدى وستون آية ، وقيل : انها اثنتان وستون آية (٥). وعلى الصحيح من قول الجمهور (٦) أنها مكية كلها ، وروى عن ابن عباس وعكرمة القول : بأن آية " الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش " مدنية وهناك قول آخر : ان السورة مدنية كلها ، ولكن هذا القول ضعيف ، ليس عليه دليل ، والراجح الاول .

وأخرج البخارى ومسلم (٧) من حديث ابن مسعود قال : أول سورة أنزلت فيها سجدة ، والنجم ، فسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسجد الناس كلهم الا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قتل كافرا ، وعن ابن مسعود ، أول سورة استعلن بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرؤها " والنجم " .

---

(١) البحر المحيط ١٥٧/٨ ، الدر اللقيط من البحر المحيط ١٥٥/٨ .
(٢) سورة الطور الاية : ٤٩ .
(٣) الفتوحات الالهية ٢٢٢/٤ لسليمان الجمل .
(٤) الدر اللقيط ، المصدر السابق ١٥٥/٨ .
(٥) حروفها ألف وأربعمائة وخمسة ، وكلماتها ثلاثمائة وستون ، تفسير النيسابورى بهامش الطبرى ٢٦/٢٧ ، وتفسير الخازن ٢١٢/٦ .
(٦) البحر المحيط ١٥٧/٨ ، القرطبى ٨١/١٧ .
(٧) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ٢٠٧/٣ .

التفسير التفصيلي للايات :

أظهر الاقوال القول بأن المراد "بالنجم" جنس النجم المعروف فان أصله اسم جنس لكل كوكب ، وعلى القول بالتعيين ، فالاظهر القول بأنه الثريا ، ومنه قول الشاعر :

أقول والنجم قد مالت أواخره .:. الى المغيب تثبت نظرة حار (١)

ووراء هذين القولين ، القول بأن المراد به ، المقدار النازل من القرآن وفى الاقسام بذلك على نزاهته -عليه الصلاة والسلام- عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة ، وحسن الموقع ما لاغاية وراءه (٢) .

قوله تعالى : " اذا هوى " أى اذا انصب ذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره عن ابن عباس ، أو انتشر ، ومعنى هويه سقوطه من علو ، يقال : هوى النجم يهوى هويا اذا سقط من علو الى أسفل .

ويقال : هوى يهوى هويا مثل مضى يمضى مضيا ، قال الشاعر (٣) :

فشج (٤) بها الاماعز وهى تهوى .:. هوى الدلو أسلمها الرشاء

---

(١) الشاعر : نابغة ذبيان ، أضواء البيان ٧/٦٩٩ .
(٢) روح المعانى للالوسى ٢٧/٤٥ .

(٣) الشاعر : زهير .
(٤) بمعنى : علا يصف عيرا بأنه يعلو بأتنه الاماعز ، وهى حزون الارض التى يكثر فيها الحصى . القرطبى ١٧/٨٣ .

وقال آخـــر (١) :

بينما نحن بالبلاكث فالقـــا ∴ ع سراعا والعيس تهوى هـويــا

خطـرت خطرة على القلب من ذكرا ∴ ك وهنا فما استطعت مضيــا

قلت لبيك اذ دعانى لك الشـ ∴ وق وللحاديين حث المطيــا

الاصمعى ، هوى بالفتح يهوى هـويا ، أى سقط الى أسفـل ،

قال وكذلك انهـوى فى السير ، اذا مضى فيه ، وهوى وانهـوى فيـه

لغتـان بمعنى وقد جمعا فى قـول الشـاعر (٢) :

وكم منزل لولاى طحت كما هوى ∴ بأجرامه من قلة النيق (٣) منهوى

ويقال فى الحـب : هـوى ـ بالكسر ـ يهوى هـوى اذا أحـب (٤) .

وفى القاموس (٥) : وهـويا ـ بالفتح والضم ـ وهويانا سقط من أعلـى

الى أسـفل كانهـوى ، والرجـل هـوه ـ بالضم ـ صعد وارتفع ، أو الهوى

ـ بالفتح ـ للاصعاد ، والهـوى ـ بالضم ـ للانحـدار ، وهـويه كرضيـه

هوى فهو هـو أحبـه .

---

(١) قائلـه : أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، كان متوجهـا الى الشام ، وكان شغوفـا بزوجتـه ، فذكرهـا فقال الابيات ورجـع . نفس المصـدر ١٧/٨٣ ـ ٨٤ .

(٢) الشاعر : يزيد بن الحكم الثقفى .

(٣) وقلة كل شىء أعـلاه ، والنيق ـ بالكسر ـ أرفع موضع فى الجبل .

(٤) القرطبى ، الجامع لاحكام القرآن ١٧/٨٣ ـ ٨٤ ، فتح البيان ٩/١٥٨ .

(٥) القامـوس ٤/٤٠٧ .

قال فى روح المعانى (١) : هوى بمعنى غرب ، وقيل طلع ، يقال : هوى يهوى ، كرمى يرمى ، هويا ـ بالفتح ـ فى السقوط ، والغروب لمشابهته له ، وهويا ـ بالضم ـ للعلو والطلوع ، وقيل الهوى ـ بالفتح ـ للاصعاد ، والهوى ـ بالضم ـ للانحدار ، وقيل الهوى ـ بالفتح والضم ـ السقوط ، ويقال : أهوى بمعنى هوى ، وفرق بعض اللغويين بينهما ، بأن هوى اذا انقض لغير صيد ، وأهوى اذا انقض له .

قال الالوسى (٢) : اختلف فى متعلق اذا ـ هوى ـ :

١) قيل العامل فيه ما تعلق به الواو ، ويشكل عليه أنه كيف يعمل فعل الحال فى المستقبل ، لان معناه أقسم الان ، لا أقسم بعد هذا .

٢) وقيل العامل فيه مصدر محذوف تقديره ، وهوى النجوم اذا هوى ، قال : والاوجه أنه متعلق بأقسم ، وقد انسلخ عنه معنى الاستقبال ، وصار للوقت المجرد ، لان اخبار الله تعالى بالتوقع ، يقام مقام الاخبار بالواقع ، اذ لا خلف فيه ، فيجرى المستقبل مجرى المحقق الماضى ، أقول : وهذا اختيار جيد .

الاعـــراب :

اذا : ظرف زمان ، والعامل فيه محذوف تقديره كائنا اذا هوى ، وكائنا منصوب على الحال ، وقيل العامل فيه فعل القسم المقدر ،

---

(١) روح المعانى للالوسى ٢٧/٤٤ .

(٢) المرجع السابق ٢٧/٤٥ ـ ٤٦ .

والمعنى : أقسم تعالى بالنجم حال هويه (١) .

القـــراءة :

١) قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر هذه السورة كلها بفتح أواخر آياتها .

٢) وقرأ أبو عمرو ونافع بين الفتح والكسر .

٣) وقرأ حمزة والكسائي ذلك كله بالامالة (٢) .

* * *

---

(١) الدر اللقيط من البحر المحيط ، المصدر السابق ٨/ ١٥٥ .
فتح القدير للشوكاني ٥/ ١٠٥ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٨/ ٦٣ .

(تنبيـــــــه)

س : ما الفائدة فى تقييد القسم بالنجم فى حال هويه خاصة ؟

قال صاحب الفخر الرازى : تقول : النجم اذا كان فى وسط السماء يكون بعيدا عن الارض ، لا يهتدى به السارى ، لانه لا يعلم به المشرق من المغرب ، ولا الجنوب من الشمال ، فاذا زال تبين بزواله جانب المغرب من المشرق ، والجنوب من الشمال ، كذلك النبى -صلى الله عليه وسلم- خفض جناحه للمؤمنين ، وكان على خلق عظيم ، كما قال تعالى : " وانك لعلى خلق عظيم "(١) .

وكما قال تعالى : " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك "(٢) .

فان قيل الاهتداء بالنجم اذا كان على أُفق المشرق كالاهتداء به اذا كان على أُفق المغرب ، فلم يبن ما ذكرت جوابا عن السؤال .

قال تقول : الاهتداء بالنجم وهو مائل الى المغرب أكثر لانه يهدى فى الطريقين ، الدنيوى ، والدينى .

أما الدنيوى : فلما ذكرنا .

وأما الدينى : فكما قال الخليل : " لا أُحب الآفلين "(٣) ، كما أن فيه لطيفة ، وهى أن الله لما أُقسم بالنجم شرفه وعظمه ، وكان

---

(١) سورة القلم الاية : ٤ .
(٢) سورة آل عمران الاية : ١٥٩ .
(٣) سورة الانعام الاية : ٧٦ .

من المشركين من يعبده ، فقرن بتعظيمه وصفا يدل على أنه لم يبلغ درجة العبادة ، فانه هاو وآفل (١) .

وقوله تعالى : " ما ضل صاحبكم وما غوى " هذا جواب القسم أى ما ضل محمد -صلى الله عليه وسلم- عن الحق ، وما حاد عنه ،ولا عدل ، والغى ضد الرشد ، أى ما صار غاويا ، ولا تكلم بالباطل ، وقيل ما خاب فيما طلب ، والغى الخيبة .

قال الشاعر (٢) :

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ⁘ ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

أى من خاب فى طلبه لامه الناس ، وبين الضلال والغى التباين الكلى ، فان الضلال فعل المعاصى ، والغى هو الجهل المركب .

وبتقدير اتحادهما يكون ذلك من باب التأكيد باللفظ المخالف ، مع اتحاد المعنى ، والاول أولى ، قيل وهو من عطف الخاص على العام للاهتمام بشأن الاعتقاد ، وايضاحه أن الجهل قد يكون من كون الانسان غير معتقد لا صالحا ولا فاسدا ، وقد يكون من اعتقاد شىء فاسد ، وهذا الثانى يقال له : غى (٣) .

---

(١) من مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير ٦٩٧/٧ - ٦٩٨ .

(٢) قائله : المرقش .

(٣) القرطبى ٨٤/١٧ ، فتح البيان المصدر السابق ١٥٨/٩-١٥٩، الفتوحات الالهية المصدر السابق ٢٢٣/٤ .

قال فى القاموس: غوى يغوى غيا، وغوى غواية، ولا يكسر

فهو غاو وغوى وغيان: ضل.

ويقال: غواه غيره، وأغواه، وغواه[١].

هذا وفى التعبير بقوله: "صاحبكم" تنبيه على أنهم المطلعون على

حقيقة حاله، وعبر بالصحبة لانها مع كونها أدل على القصد مرغبة لهم

فيه، ومقبلة بهم، ومقبحة عليهم اتهامه فى انذاره، وهم يعرفون طهارة

شمائله، والخطاب لقريش[٢].

قال صاحب الفخر الرازى[٣]: أكثر المفسرين لم يفرقوا بين الضلال

والغى، والذى قاله بعضهم عند محاولة الفرق أن الضلال فى مقابلة

الهدى، والغى فى مقابلة الرشد.

قال تعالى: "وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا

سبيل الغى يتخذوه سبيلا"[٤].

وقال تعالى: "قد تبين الرشد من الغى"[٥].

وتحقيق القول فيه أن الضلال أعم استعمالا فى الموضع، تقول: ضل

بعيرى ورحلى، ولا تقول: غوى، فالمراد من الضلال أن لا يجد السالك

---

(١) القاموس ٤/٣٧٤.

(٢) فتح البيان ٩/١٥٩.

(٣) مفاتيح الغيب ٧/٦٩٨.

(٤) سورة الاعراف الاية:

(٥) سورة البقرة الاية: ٢٥٦.

الى مقصد ، طريقا أصلا ، والغواية أن لا يكون له طريق الى القصد مستقيم يدلك على هذا أنك تقول للمؤمن الذى ليس على طريق السداد أنه سفيه غير رشيد ، ولا تقول : انه ضال ، والضال كالكافر ، والغاوى كالفاسق ، فكأنه تعالى قال : ما ضل ، أى ما كفر ، ولا أقل من ذلك فما فسق قال[1] : ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى : " فان آنستم منهم رشدا "[2].

وقال فى أضواء البيان[3] : الضلال يقع من الجهل بالحق ، والغى هو العدول عن الحق ، مع معرفته ، أى ما جهل الحق ، وما عدل عنه بل هو عالم متبع له .

قال ابن كثير[4] : هذا هو المقسم عليه وهو الشهادة للرسول -صلى الله عليه وسلم- بأنه راشد ، تابع للحق ، ليس بضال ، وهو الجاهل الذى يسلك على غير طريق بغير علم ، والغاوى هو العالم بالحق العادل عنه قصدا الى غيره ، فنزه الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال ، كالنصارى ، وطرائق اليهود ، وهى علم الشئ وكتمانه ، والعمل بخلافه ، بل هو صلاة الله وسلامه عليه ، وما بعثه الله به من الشرع العظيم فى غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ، وما تضمنته هذه الاية الكريمة من كونه

---

(١) صاحب الفخر الرازى ٦٩٨/٧ .
(٢) سورة النساء الاية : ٦ .
(٣) أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن ٧٠١/٧ .
(٤) أبو الفداء فى تفسيره ٢٤٦/٤ - ٢٤٧ .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ على هدى مستقيم ، جاء موضحا فى آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى : " فتوكل على الله انك على الحق المبين "(١) .

وكقوله تعالى : " فلا ينازعنك فى الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم "(٢) .

وقال تعالى : " وانك لتهدى الى صراط مستقيم "(٣) .

قوله تعالى : "وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى " ما نافية : أى ما يصدر نطقه عن الهوى ، لا بقرآن ، ولا غيره ، فعن : على بابها ، ومثل نطقه فعله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقال أبو عبيدة : ان عن بمعنى الباء ، أى بالهوى كقوله تعالى : "فسأل به خبيرا " ، أى فسأل عنه .

وقال قتادة : وما ينطق بالقرآن عن هواه .

وقال النحاس : قول قتادة أولى (٤) . قوله : " ان هو الا وحى يوحى "(٥) قد يحتج بهذه الاية من لا يجوز لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الاجتهاد فى الحوادث ، وفى الاية دلالة على أن السنة كالوحى المنزل فى العمل .

---

(١) سورة النمل الاية : ٧٩ .

(٢) سورة الحج الاية : ٦٧ .

(٣) سورة الشورى الاية : ٥٢ .

(٤) تفسير القرطبى ١٧/ ٨٥ ، وفتح البيان ٩/ ١٥٩ .

(٥) ان شئت أبدلت " ان هو الا وحى يوحى " من " ما ضل صاحبكم " . قال ابن الانبارى : وهذا غلط ، لان " ان " الخفيفة لا تكون مبدلة من " ما " بدليل أنك لا تقول : والله ما قمت ان أنا القاعد . القرطبى ١٧/ ٨٥ .

وقال ابن كثير (١) : أى ما يقول قولا عن هوى وغرض ، وانما يقول : ما أمر به يبلغه الى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان .

روى الامام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا جرير بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة ، عن أبى أمامة أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : ليدخل الجنة بشفاعة رجل ليس بنبى مثل الحيين ـ أو مثل أحد الحيين ـ ربيعة ومضر ، فقال رجل : يا رسول الله ! أو ما ربيعة من مضر ، قال انما أقول ما أقول .

وروى الامام أحمد أيضا : من حديث عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أريد حفظه ، فنهتنى قريش فقالوا : انك تكتب كل شىء تسمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشر يتكلم فى الغضب ، فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " اكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج الا الحق " .

وأخرج ابن جرير (٢) عن قتادة فى قوله : " ما ينطق عن الهوى " قال : ما ينطق عن هواه ، ان هو الا وحى يوحى ، قال : يوحى الله الى جبريل ويوحى جبريل الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٤٧ .
(٢) تفسير ابن جرير ٢٧/٢٤ .

وأخرج ابن كثير عن أبى بكر البزار ، عن أبى هريرة ، عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذى لا شك فيه ، ثم قال لا نعلمه ، يروى الا من طريق أحمد بن منصور (١).

وقيل فى المعنى : أى ما هو الذى ينطق به الا وحى من الله يوحيه اليه ، وقوله : "يوحى" صفة لوحى تفيد الاستمرار التجددى ، وتفيد نفى المجاز ، أى هو وحى حقيقة لا لمجرد التسمية (٢). كما تقول : هذا قول يقال ، وقيل تقديره : يوحى اليه ، ففيه مزيد فائدة (٣). وقيل ضمير "ينطق" للقرآن ، فالاية كقوله تعالى : "هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق" (٤) وهذا خلاف الظاهر ، وقيل : ما يصدر نطقه مطلقا عن هوى - كما تقدم - وهو عائد لما ينطق به مطلقا أيضا ، واحتج بالاية على هذا التفسير من لم ير الاجتهاد له عليه الصلاة والسلام ، كأبى على الجبائى ، وابنه أبى هاشم .

ووجه الاحتجاج أن الله تعالى أخبر بأن جميع ما ينطق به وحى وما كان عن اجتهاد ليس بوحى ، فليس مما ينطق ، وأجيب بأن الله تعالى اذا سوغ له عليه السلام الاجتهاد ، كان الاجتهاد وما يسند اليه ، وحيا لا نطقا عن الهوى .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٤٧ .

(٢) فتح القدير للشوكانى ٤/١٠٥ .

(٣) فتح البيان ٩/١٥٩ ، والفتوحات الالهية ٤/٢٢٣ .

(٤) سورة الجاثية الاية : ٢٩ .

قال فى روح المعانى (١) : ولا يبعد عندى أن يحمل قوله تعالى : " وما ينطق عن الهوى " على العموم ، فان من يرى الاجتهاد له ـ عليه الصلاة والسلام ـ كالامام أحمد ، وأبى يوسف ـ عليهما الرحمة ـ لا يقول : بأن ما ينطق به ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما أدى اليه اجتهاده ، صادر عن هوى النفس وشهوتها حاشا حضرة الرسالة عن ذلك ، وانما يقول : هو واسطة بين ذلك وبين الوحى ، ويجعل الضمير فى قوله سبحانه : " ان هو الا وحى " للقرآن على أن الكلام جواب سؤال مقدر كأنه قيل : اذا كان شأنه عليه الصلاة والسلام ، أنه ما ينطق عن الهوى ، فما هذا القرآن الذى جاء به وخالف فيه ما عليه قومه ، واستمال به قلوب كثير من الناس ، وكثرت فيه الاقاويل ، فقيل : ما هو الا وحى يوحيه الله عز وجل اليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قال فى التفسير الكبير (٢) مبينا ترتيب هذه الايات ، فنقول : قال : أولا ما ضل : أى هو على الطريق ، وما غوى أى طريقه الذى هو عليه مستقيم ، وما ينطق عن الهوى ، أى هو راكب متنه ، آخذ سمت المقصود ، وذلك لان من يسلك طريقا ليصل الى مقصده ، فربما يبقى بلا طريق ، وربما يجد طريقا واسعا آمنا ، ولكنه يميل يمنة ويسرة ، فيبعد عن المقصد ، ويتأخر عليه الوصول ، فاذا سلك الجادة ، وركب متنها ، كان أسرع وصولا .

---

(١) روح المعانى للالوسى ٢٧/٤٧ .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى ٧/٦٩٨ ، ٦٩٩ .

وتوضيح هذا : أى ما ضل حين اعتزلكم ، وما تعبدون فى صغره وما غوى حين اختلى لنفسه ، ورأى فى منامه ما رأى ، وما ينطق عن الهوى الان ، حيث أرسل اليكم ، وجعل رسولا شاهدا عليكم ، فلم يكن أو لا ضالا ولا غاويا وصار الان منقذا من الضلالة ومرشدا وهاديا .

قوله تعالى : " علمه شديد القوى " جمع قوة ، والمعنى أنه علمه جبريل الذى هو شديد قواه ، قال هذا أكثر المفسرين ، أو سائرهم وقال الحسن : هو الله عز وجل ، ولا شك أن الصحيح هو قول الاكثر .

وشديد القوى من باب اضافة الصفة الى الموصوف ، قال أهل التفسير (١) : من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط ، ورفعها الى السماء ، ثم قلبها وصاح صيحة بثمود ، فأصبحوا جاثمين ، وكان هبوطه على الانبياء ، وصعوده أسرع من رجعة الطرف ، وقوة جبريل هذه موجودة معه وثابتة له ، ولو كان على صورة الآدميين ، ومن جملة قوته وشدته ، قدرته على التشكل .

الاعـــراب :

الضمير فى علمه ، عائد على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو المفعول الاول لعلم ، والثانى : الوحى محذوف (٢) .

---

(١) القرطبى ٨٥/١٧ ، فتح البيان ١٥٩/٩ ، تفسير الكشاف ٢٨/٤ ، الخازن مع البغوى ٢١٢/٦ .

(٢) سليمان الجمل ٢٢٣/٤ ، ابن جرير الطبرى فى تفسيره ٢٥/٢٧ .

قوله تعالى : " ذو مرة " أى قوة وشده فى الخلق ، وقيل : ذو صحة جسم وسلامة من الآفات ، ومنه قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى) (١) .

وقال امروء القيس :

كنت فيهم أبدا ذا حيلة ⁂ محكم المرة مأمون العقد (٢)

وقيل ذو حصافة عقل ، ومتانة رأى .

قال قطرب : العرب تقول : لكل من هو جزل الرأى ، حصيف العقل ذو مرة ، والتفسير للمرة بهذا أولى ، لان القوة والشدة قد أفادها قوله شديد القوى ، ومما يدل على أن العرب تقول : لكل من هو حصيف العقل جزل فى رأيه ذو مرة ، قول الشاعر :

قد كنت قبل لقاكم ذا مرة ⁂ عندى لكل مخاصم ميزانه (٣)

وكان من جزالة رأيه وحصافة عقله ، أن الله أئتمنه على وحيه الى جميع رسله .

قال الجوهرى : المرة احدى الطبائع الاربع ، والمرة القوة ، وشدة العقل أيضا ، ورجل مرير ، أى قوى ذو مرة قال :

---

(١) السوى صحيح الاعضاء ، والحديث أخرجه ابن جرير ٢٧/٢٦ .
(٢) القرطبى ١٧/٨٦ .
(٣) القرطبى ، المصدر نفسه ١٧/٨٦ .

ترى الرجل النحيف فتزدريه ⁂ وحشو ثيابه أسد مرير (١)

وقال ابن عباس : ذو خلق حسن ، وقيل منظر حسن ، وقيل قوة في العقل وحده ، بحيث لا يدفعه عما يزاوله دافع ، ولا يسأم من شيء يزاوله فحصل الفرق ، بين القوة والمرة (٢) .

قوله تعالى : " فاستوى " : أي ارتفع جبريل ، وعلا الى مكانه في السماء ، بعد أن علم محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ قاله سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، وقيل معناه : أقام في صورته التي خلقه الله عليها ، لانه كان يأتي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في صورة الآدميين ، كما يأتي الى الانبياء ، فسأله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يريه نفسه التي جبله الله عليها ، فأراه نفسه مرتين ، مرة في الارض ، ومرة في السماء ، ولم يره أحد من الانبياء على صورته التي خلق عليها ، الا نبينا ـ صلى الله عليه وسلم .
وقيل المعنى : فاستوى القرآن في صدره ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين نزل عليه ، أو صدر جبريل حين نزل به .
وقيل المعنى : اعتدل محمد في قوته وفي رسالته ، ذكره الماوردي (٣) .

أما المرة التي كانت في الارض ففي الافق الاعلى ، وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحراء ، فطلع له جبريل من المشرق ، فسد الارض الى المغرب ، فخر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مغشيا عليه ، فنزل اليه في

---

(١) قائل البيت : العباس بن مرداس ، ويروى وفي أثوابه رجل مزير ، ويروى أسد مزير ، والمزير كأمير ، الشديد القلب القوي النافذ في الامور ، القرطبي ١٧/٨٦ .
(٢) فتح البيان ٩/١٦ ، وفتح القدير للشوكاني ٥/١٠٥ .
(٣) فتح البيان ، المصدر السابق ٩/١٦٠ .

صورة الآدميين ، وضمه الى صدره ، وأخذ يمسح الغبار عنه ، فلما أفاق النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : يا جبريل ، ما ظننت أن الله خلق أحدا على مثل هذه الصورة ، فقال : يا محمد انما نشرت جناحين من أجنحتى ، وان لى ستمائة جناح ، سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب ، فقال : ان هذا لعظيم ، فقال : وما أنا فى جنب ما خلقه الله الا يسيرا ، ولقد خلق الله اسرافيل له ستمائة جناح ، كل جناح منها قدر جميع أجنحتى ، وانه ليتضاءل أحيانا من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوصع [١] .

وأما المرة التى رآه فيها فى السماء فعند سدرة المنتهى [٢] . قوله تعالى : " وهو بالافق الاعلى " : هذه الجملة فى موضع الحال ، ومعنى ذلك أن جبريل استوى عاليا على صورته التى لم يكن يراه النبى - صلى الله عليه وسلم - عليها ، حيث سأله اياها كما تقدم ، والافق ناحية السماء ، وجمعه آفاق .

وقال قتادة : هو الموضع الذى تأتى منه الشمس .

ولذا قال سفيان ونحوه عن مجاهد قال القرطبى [٣] : ويقال : أفق وأفق مثل عسر وعسر ، وقدس أفق ، أى رائع ، وكذلك الانثى ، قال الشاعر :

---

(١) الوصع : طائر أصغر من العصفور ، مختار الصحاح ١/٧٢٤ .

(٢) القرطبى ٨٧/١٧ ، والبحر المحيط ١٥٧/٨ ، وابن جرير الطبرى ٢٩/٢٧ .

(٣) القرطبى ٨٨/١٧ .

أرجل لمتى وأجر ذيلى ∴ وتحمل شكتى أفق كميت[١]

وقيل : "وهو" أى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ "بالافق الاعلى" يعنى ليلة الاسراء ، وهذا ضعيف لانه يقال : استوى هو وفلان ، ولا يقال استوى وفلان ، الا فى ضرورة الشعر .

قال أبو حيان فى تفسيره[٢] : وعلى قول الجمهور فاستوى أى جبريل فى الجو ، وهو بالافق الاعلى ، ان رآه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بحراء قد سد الافق له ستمائة جناح ، وحينئذ دنا من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى كان قاب قوسين ، وكذلك هو المرئى فى النزلة الاخرى بستمائة جناح عند السدرة ، قاله الربيع والزجاج .

وقال ابن جرير فى تفسيره[٣] : وعطف بقوله "وهو" على ما فى قوله: "فاستوى" من ذكر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : والاكثر من كلام العرب اذا أرادوا العطف فى مثل هذا الموضع أن يظهروا كناية المعطوف عليه ، فيقولوا استوى هو وفلان ، وقلما يقولون : استوى وفلان ، وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشد :

ألم تر أن النبع يصلب عوده ∴ ولا يستوى والخروع المتقصف

---

(١) قائل البيت : عمرو بن قعناس المرادى ، والشكة : السلاح ، والكميت: من الخيل ما خالط حمرته سواد غير خالص .

(٢) البحر المحيط ١٥٧/٨ .

(٣) تفسير ابن جرير ٢٦/٢٧ .

فرد الخروج على ما فى يستوى من ذكر النبع ، ومنه قول الله:
"أئذا كنا ترابا وآباؤنا "(١) فعطف بالاباء على المكنى فى كنا من غير
اظهار نحن ، فكذلك قوله : "فاستوى " وهو وحاصل ما قاله ابن جرير (٢)
جواز العطف على الضمير المرفوع من غير فصل ، وهذا مذهب الكوفيين .

والصحيح : استوى جبريل عليه السلام ، وجبريل بالافق الاعلى
على صورته الاصلية ، لانه كان يتمثل للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا نزل
بالوحى فى صورة رجل ، فأحب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يراه
على صورته الحقيقية فاستوى فى أفق المشرق ، فملا الافق .

* * *

---

(١) سورة النمل الاية : ٦٧ .

(٢) تفسير ابن جرير ٢٧/٢٦ .

" القسم ومعانى الواو "

القسم بالفتح مصدر - قسم - الشىء فانقسم ، وبابه ضرب والموضع " مقسم " مثل مجلس و - القسم - بالكسر الحظ والنصيب من الخير مثل طحن طحنا والطحن - بالكسر - الدقيق = وأقسم = حلف وأصله من القسامة [1] وهى الايمان ، تقسم على الاولياء فى الدم ، والقسم - بفتحتين - اليمين ، وكذا " المقسم " وهو مصدر كالمخرج ، والمقسم أيضا موضع القسم .

قال فى القاموس [2] : والقسم محركة ، وككرم اليمين بالله تعالى ، وقد أقسم ، وموضعه مقسم ، ككرم ، واستقسمه ، وبه وتقاسما تحالفا ، والمال اقتسماه بينهما ، والقسامة الهدنة بين العدو والمسلمين ، جمعه: قسامات ، والجماعة يقسمون على الشىء ، ويأخذونه أو يشهدون ، والقسم والقسامة الحسن .

---

(١) حقيقة القسامة أن يقسم خمسون من أولياء دم القتيل الذى لم يعرف قاتله يمينا على استحقاقهم دم صاحبهم عند المتهمين به ، فان لم يكونوا خمسين ، أقسم الموجودون خمسين يمينا ، لا يكون فيهم امرأة ولا صبى ، ولا عبد ولا مجنون ، أو يقسم المتهمون على نفى القتل عنهم .

(٢) مختار الصحاح ، محمد بن أبى بكر الرازى حـ١ ص ٥٣٥ ، طبعة دار الفكر ببيروت .

والقاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ، المجلد الرابع ص ١٦٤ طبعة الحلبى بالقاهرة .

ومعجم متن اللغة : موسوعة لغوية حديثة للعلامة اللغوى الشيخ أحمد رضا المجلد الرابع حـ٤ ص ٥٦٤ مطبعة مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٧٩/ ١٩٦٠ .

قال الصبان (١) : قال الشمني ، قال ابن جني : " القسم جملة انشائية يؤكد بها جملة أُخرى ، فان كانت خبرية فهو القسم غير الاستعطافى ، وان كانت طلبية فهو الاستعطافى ، واليمين والحلف والقسم عبارات عن العقد على النفس بحق من له حق ، ولما كان لا حق على الحقيقة الا لله تعالى منع اليمين بغيره اذ ما سواه باطل .

واليمين فى اللغة مأُخوذ من اليمين الذى هو العضو لانهم كانوا اذا حلفوا وضع أُحدهم يمينه فى يمين صاحبه ، فسمى الحلف يمينا ، وقيل اليمين القوة ، ويسمى العضو يمينا لوفور قوته على اليسار ، ومنه قوله تعالى : " لاخذنا منه باليمين " أى بالقوة ، ولما كان الحلف يقوى الخبر من الوجود أُو العدم سمى يمينا (٢) .

* * *

---

(١) حاشية الصبان شرح الاشمونى ومعه شرح الشواهد للعينى حـ ٤ ص ٢٧ ، طبعة عيسى البابى الحلبى .

(٢) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل وبهامشه المواق حـ ٣ ص ٢٥٩ فما بعدها طبعة مكتبة النجاح .

" تعريف اليمين ـ القسم ـ فى مصطلح الفقه "

(اليمين تحقيق (١) ما لم يجب بذكر اسم الله أو صفته ، كبالله وها الله وايم الله) .

شرح التعريف :

اليمين تحقيق ما لم يجب ، يعنى (٢) أن اليمين هو أن يحقق الحالف شيئا لم يجب أى لم يثبت . وهذه العبارة هى نص الحاوى للشافعية ، قال بعض شراحه فى شرحها : أى تحقيق ما لم يتحقق ثبوته ، وهو ما يحتمل المخالفة والموافقة ، ماضيا كان ، أو مستقبلا ، ممكنا كان ، أو ممتنعا ، وقد دخل فى قوله ما لم يجب الممكن كقول القائل ، والله لادخلن الدار ، والممتنع نحو والله لاقتلن فلانا الميت ، وخرج منه الواجب كقوله والله لاموتن ، وانما لم يكن ذلك يمينا ، لان الواجب متحقق فى نفسه ، فلا معنى لتحققه ، ولانه لا يتصور فيه الحنث ، بخلاف الممكن والممتنع ، ولذلك رجح عدم انعقاد اليمين فيما لو حلف لا يصعد السماء ، وانعقاده فيما لو حلف ليقتلن فلانا وهو ميت .

قال اللخمى : الايمان ثلاثة :

١) ممنوعة : وهى الايمان بالمخلوقات كقوله والنبى ، والكعبة ، والابناء ، فمن حلف بعد علمه بالنهى استغفر الله ولا كفارة عليه .

---

(١) مختصر خليل فى المذهب المالكى

(٢) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ، وبهامشه المواق حـ ٣ ص ٢٥٩ فما بعدها ، مطبعة مكتبة النجاح .

٢) وجائزة : وهي اليمين بأسماء الله كقوله : والله ، والرحمن ،والعزيز .

٣) ومختلف فيها : وهي اليمين بصفة الله ، والمعروف أن اليمين منها المنعقدة على البر ، ومنها المنعقدة على الحنث ، وهذا ليس محلا لبسط ذلك .

* * *

" أحوال القسم اذا اجتمع معه الشرط "

اعلم أنه يجب حذف جواب القسم اذا أحاط به ، أو تقدم عليه ما يجعله غنيا عن الجواب ، فمثال حذف جواب القسم اذا أحاط به ما يغني عن الجواب ـ زيد والله قائم ـ فان زيد والله قائم ، أو لقائم ، احتمل كون المتأخر عنه خبرا عن المتقدم عليه ، واحتمل كونه جوابا ، وجملة القسم وجوابه الخبر .

ومثال حذف جواب القسم اذا تقدم عليه ما يجعله غنيا عن الجواب ـ زيد قائم والله ـ " ان جاءني زيد والله أكرمته ، ويجوز حذف جواب القسم في غير هذين الموضعين ، مثال ذلك قوله تعالى " والنازعات غرقا " أي لتبعثن " ق والقرآن " أي ليهلكن ، " ص والقرآن ذي الذكر " أي انه لمعجز أو انك لمن المرسلين .

أما جملة القسم فحذفها كثير جدا ، وذلك لازم مع غير الباء من حروف القسم ، وحيث قيل لافعلن ، أو لقد فعل ، أو لئن فعل ، ولم يتقدم جملة قسم فثم جملة قسم مقدرة نحو قوله تعالى : " لاعذبنه عذابا شديدا " " ولقد صدقكم الله وعده " ، " لئن أخرجوا لا يخرجون معهم "(١) .

قال ابن مالك في ألفيته :

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم ٭ جواب ما أخرت فهو ملتزم

---

(١) مغني اللبيب لجمال الدين هشام الانصاري وبهامشه حاشية الشيخ محمد الامير جـ ٢ ص ١٧٤ .

معنى هذا البيت : أنه اذا اجتمع الشرط والقسم فى كلام واحد يحذف جواب المتأخر منهما للاستغناء بجواب الاول فى الدلالة عليه .

فتقول مثلا : " ان قام زيد والله يقم عمرو " فتحذف جواب القسم لدلالة جواب الشرط عليه ، وتقول : " والله ان يقم زيد ليقومن عمرو " فتحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه ، والسبب فى هذا أن كل واحد من الشرط والقسم يستدعى جوابا ، الا أن هناك فرقا بين جوابيهما :

فجواب الشرط : اما مجزوم ، أو مقرون بالفاء .

وجواب القسم له أحوال :

١) يكون مؤكدا باللام والنون ان كان جملة فعلية مثبتة مصدرة بمضارع نحو : والله لاضربن زيدا .

٢) اذا كانت الجملة مصدرة بفعل ماض أكد باللام ، وقد ، نحو : والله لقد قام زيد .

٣) فان كانت الجملة اسمية ، أكد بأن واللام ، أو اللام وحدها ، أو بأن وحدها ، مثل : " والله ان زيد القائم ، و " والله لزيد قائم " ، و " والله ان زيدا قائم " .

٤) فان كانت جملة فعلية منفية " فينفى " بما أولا ، أو ان مثل : والله ما يقوم زيد ، ولا يقوم زيد ، وان يقوم زيد ، والاسمية كذلك

قال ابن مالك :

وان تواليا وقبل ذو خبر ∴ فالشرط رجح مطلقا بلا حذر (١)

---

(١) ابن عقيل ٢/٢٩٩ مع شرح وتعليق محمد محى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة .

معنى البيت : انه اذا اجتمع الشرط والقسم وكان قد سبقهما ذو خبر يقدم الشرط مطلقا فى الجواب ، ويحذف جواب القسم فى هذه الحال ، سواء كان الشرط متقدما أم متأخرا .

فتقول : زيد ان قام والله أكرمه ، وزيد والله ان قام أكرمه .

قال ابن مالك :

وربما رجح بعد قسم ∴ شرط بلا ذى خبر مقدم

مراده فى هذا البيت : انه ربما يقدم جواب الشرط على القسم عند اجتماعهما ، وان لم يتقدمهما ذو خبر مع تقدم القسم على الشرط ، ومنه قول الشاعر :

لئن منيت بنا عن غب معركة ∴ لا تلفنا عن دماء القوم ننتفل (١)

* * *

---

(١) ابن عقيل ٢٩٩/٢ طبعة السعادة ، مع شرح وتعليق محمد محى الدين عبد الحميد .

" الـواو والمعانى التى تأتى لها "

اعـلم أيها القارىء الكريـم أن الواو حـرف من الحـروف الابجديـة العربيـة ، وأنها قسـمان ، عـامل ، وغير عامـل ، والعامـل : اما عامـل النصـب ، واما عامـل الجـر ، واليك ملخـص ما ذكره مغنى[1] اللبيب فـى هـذا المجال ، ذكـر ـ رحمه الله ـ أن أنواعهـا خمسـة عشـر نوعا :

١) العاطفـة : وهـى لمعنى مطلق الجمـع ، فتعطف الشىء على مصاحبـه نحـو : فأنجينـاه وأصحاب السفينة وعلى سابقه ، نحـو : ولقد أرسلنا نوحـا وابراهيـم ، وعلى لاحقـه نحو قوله : "كذلك يوحـى اليـك والى الذين من قبلك " .

قال ابن مالك : وكونها للمعية راجح ، وللترتيب كثير ، ولعكسـه قليل ، ويجوز أن يكون بين متعاطفها تقارب ، أو تراخ ، نحو: " انـا رادوه اليك وجاعـلوه من المرسلين " ، فان الرد بعيد القائه فى اليـم والارسـال على رأس أربعيـن سـنة .

٢ ، ٣) من أقسـام الواو واو ان يرتفع ما بعدهما . أحدهما : واو الاستئناف نحـو : " لنبين لـكم ونقر فى الارحام ما نشاء " ، لا تأكل السمـك وتشـرب اللبن ، فيمن رفع ، والثانيـة : واو الحال الداخلة على الجملة الاسـمية نحـو : جاء زيد والشمس طالعـة .

---

(١) مغنى اللبيب لجمال الدين بن هشـام الانصارى ، وبهامشه حاشية الشيخ محمد الاميـر ٢/ ٣٠ ـ ٣٨ .

٤ ، ٥) الرابع والخامس : واو ان ينتصب ما بعدهما وهما :

أ ـ واو المفعول معه ، مثل قولك : سرت والنيل .

ب ـ الواو الداخلة على المضارع المنصوب لعطفه على اسم صريح

أو مؤول ، فالاول كقوله :

ولبس عباءة وتقر عيني

والثانى كقوله :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله .. الخ

٦ ، ٧) السادس والسابع : واو ان يجر ما بعدهما وهما :

أ ـ واو القسم ، ولا تدخل الا على مظهر ، ولا تتعلق الا بمحذوف

نحو : "يس والقرآن الحكيم" ، فان تلتها واو أخرى نحو :

"والتين والزيتون" فالتالية واو العطف ، والا لاحتاج كل من

الاسمين الى جواب .

ب ـ الثانية : واو رب . كقوله :

وليل كموج البحر أرخى سدوله (١)

ولا تدخل الا على منكر .

٨) الثامن : واو دخولها كخروجها وهى الزائدة ، أثبتها الكوفيون

والاخفش مثالها قول الشاعر :

---

(١) تمام البيت :

على بأنواع الهموم ليبتلى

وهو من قصيدة امرىء القيس .. قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فما بال من أسعى لاجبر عظمه ∴ حفاظا وينوى من سفاهته كسرى

ولقد رمقتك فى المجالس كلها ∴ فاذا وأنت تعين من يبغينى

٩) التاسع : واو الثمانية : ذكرها جماعة من الادباء كالحريرى ، ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه ، ومن المفسرين كالثعلبى ، وزعموا أن العرب اذا عدوا قالوا : ستة ، سبعة ، وثمانية ايذانا بأن السبعة وأن ما بعدها عدد مستأنف .

١٠) العاشر : الواو الداخلة على الجملة الموصوف بها التأكيد لوصفها بموصوفها ، وافادتها ان اتصافه بها أمر ثابت ، وهذه الواو أثبتها الزمخشرى ، ومن قلده ، وحملوا على مواضع الواو فيها كلها واو الحال مثال ذلك قوله تعالى : " وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم " .

١١) الحادى عشر : واو ضمير الذكور نحو: الرجال قاموا ، وهى اسم وقال الاخفش والمازنى : هى حرف .

١٢) الثانى عشر : واو علامة المذكرين فى لغة طيىء ، أو ازد شنوءة ، ومنه الحديث " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار " .

١٣) الثالث عشر : واو الانكار ، نحو قوله : آلرجلوه ؟ بعد قول القائل قام الرجل . قال ابن هشام : والصواب عدم عد هذه لانها مجرد اشباع الحركة كواو القوافى ، كقول القائل :

سقيت الغيث أيتها الخيامو

١٤) الرابع عشر: واو التذكر ، كقول : من أراد أن يقول يقوم زيد فنسى زيدا فأراد مد الصوت ليتذكر اذ لم يرد قطع الكلام يقوم ، والصواب أن هذه كالتى قبلها .

١٥) الخامس عشر : الواو المبدلة من همزة الاستفهام المضموم ما قبلها كقراءة قنبل واليه النشور وأمنتم ، قال فرعون وآمنتم به ، والصواب عدم عدها لكونها مبدلة .

وقد نظم الاهدل (١) معظم هذه المعانى من قواعد ابن هشام للاعراب فقال :

والواو للعطف وللجمع أتت ∴ والحال واستأنف بها كما ثبت

وواو رب قدرت من بعدها ∴ كقوله وبلدة ليس بها

ولليمين الاسم بعدها يجر ∴ كقوله والعاديات والقمر

ولمعية أتت وزائده ∴ فى قوله وفتحت خذ شاهده

وهذا شرح موجز لهذه الابيات ملخص من كتاب اسعاف الطلاب (٢) : بشرح قواعد الاعراب فى علم النحو للعلامة الاستاذ اسماعيل عثمان ، ذكر فى هذه الابيات أن الواو تأتى الى ثمانية معان :

العطف : وهو الاصل والغالب فيكون ما بعدها على حسب ما قبلها اسما كان ، أو فعلا مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا ، أو مجزوما ، الا أنها

---

(١) هو العالم النحرير محمد يحيى دوم الاهدل .

(٢) اسعاف الطلاب ٦٨/١ فما بعدها ، مطبعة المدنى بالقاهرة .

لا تفيد الا مطلق الجمع ، فلا تدل على الترتيب ، ولا المعية الا بقرينة ، وعند خلوها من القرينة احتمل معطوفها المعانى الثلاثة .

الثانى : كونها تأتى لمعنى الجمع ، وذلك فيما اذا دخلت على الفعل المضارع المسبوق بالنفى المحض ، أو الطلب المحض ، فمثال المسبوق بالنفى المحض قوله تعالى : " ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين " . ومثال المسبوق بالطلب المحض قول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله .:. عار عليك اذا فعلت عظيم

الثالث : الواو التى تأتى للحال ، وتسمى أيضا واو الابتداء ، وهى التى تدخل على الجمل الحالية ، فعلية كانت ، أو اسمية ، مثاله : جاء زيد والشمس طالعة .

الرابع : أن تكون للاستئناف ، وهى الواو الواقعة فى ابتداء كلام آخر غير الاول ، نحو قوله تعالى : " لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء " . برفع نقر ، فالواو فيه للاستئناف .

الخامس : أن يجر ما بعد الواو باضمار رب لا بالواو على الاصح كقول عامر بن الحارث :

وبلدة ليس بها أنيس .:. الا اليعافير (١) والا العيس

---

(١) اليعافير : الظباء ، والعيس : المراد بها الابل .

السادس : أن تكون للقسم فيجر ما بعدها بها نحو قوله تعالى : "والعاديات ضبحا ، والتين ، والنجم" .

السابع : أن تكون الواو للمعية ، وهى واو المفعول معه ، لانها بمعنى مع ، فتكون دالة على المعية لفظا ومعنى ، وينصب ما بعدها نحو : سرت والنيل ، وجاء الامير والجيش .

الثامن : أن تكون الواو زائدة ، وهى التى يكون وجودها فى الكلام وعدمه سواء ، ويقال لها فى القرآن صلة أدبا نحو قوله تعالى : "حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها" ، ففتحت جواب اذا ، والواو زائدة ، وقال بعض المفسرين : انها واو الحال على تقدير قد ، أى وقد فتحت أبوابها فدخلت لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم استبشارا بهم ، وشوقا اليهم ، وحذفت من الاية التى فى حق أهل النار لبيان أنها كانت مغلقة ، فلما جاءوها فتحت لهم ، أما القول بأنها واو الثمانية أى لتدل على أن أبواب الجنة ثمانية ، ولم تذكر فى الاية التى قبلها ، لان أبواب جهنم سبعة ـ نكتة أخرى ـ (١) .

* * *

(١) اسعاف الطلاب بشرح قواعد الاعراب ، المصدر السابق ١/ ٧٠ .

" هل يجوز القسم بالمخلوقات من المخلوقات ؟ "

التحقيق الذى لا غبار عليه هو أن القسم لا يكون الا بالخالق سبحانه وتعالى ، وما ورد من ذلك فهو اما قبل النهى عن الحلف بغير الله ، واما بتأويل أن المقسم أراد رب هذه المخلوقات التى أقسم بها ، ولم يرد القسم بالمخلوق ، ومهما يكن من شىء فان الذى حلف بغير الخالق آثم ، ولا تنعقد يمينه ، ولا كفارة عليه ، وعليه أن يستغفر الله سبحانه وتعالى .

ولو كان المحلوف به معظما شرعا من نبى ، أو ملك ، ولا عبرة بقول من قال من الفقهاء : ان الحلف بالنبى منعقد ، وتلزم به اليمين ، لان قوله هذا مجرد عن الدليل ، بل الاحاديث الصريحة ناطقة بأنه لا يجوز الحلف الا بالله وحده ، واليك أيها القارىء الكريم الاحاديث الصريحة فى ذلك :

قال البخارى :

١) حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر -رضى الله عنهما - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير فى ركب فقال : "ألا ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت".

٢) حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال: قال سالم : قال ابن عمر : سمعت عمر يقول : قال لى رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم . قال

عمر : فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذاكرا ولا آثرا .

٣) حدثنا موسى بن اسماعيل ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا عبد الله بن دينار قال : سمعت عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ يقول : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا تحلفوا بآبائكم(١) .

قال مسلم :

١) وحدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح ، حدثنا ابن وهب عن يونس ، ح . وحدثني حرملة بن يحيى ، أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال سمعت : عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم . قال عمر : فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عنها ذاكرا ولا آثرا .

٢) وحدثني عبد الملك بن شعيب بن الليث ، حدثني أبي عن جدي ، حدثني عقيل بن خالد ح . وحدثنا اسحاق بن ابراهيم وعبد بن حميد قالا : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر كلاهما عن الزهري بهذا الاسناد مثله غير أن في حديث عقيل ما حلفت بها منذ سمعت

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ١٤/٣٣٥ وما بعدها ، مطبعة الحلبي وشركاه ، ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩م .

رسـول اللـه ـ صـلى اللـه عليـه وسـلم ـ ينهـى عنها ، ولا تكلمت بـهـا
ولم يقـل ذ اكـرا ولا آثـرا .

٣) وحدثنى أبو بكر بن أبى شـيبة وعمـرو الناقد وزهيـر بن حرب قالـوا :
حدثنا سـفيان بن عيينـة عن الزهـرى عن سـالم عن أبيه قال : سـمع
النبى ـ صلى الله عليه وسـلم ـ عمـر وهـو يحلف بأبيـه بمثـل
روايـة يونـس ومعمـر .

٤) حدثنا قتيبـة بن سعيد ، حدثنا ليث ح . وحدثنا محمد بن رمـح
واللفـظ له ، أخبرنا الليث عن نافـع عن عبد الله عن رسـول اللـه
ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه أدرك عمـر بن الخطاب فى ركب وعمـر
يحلـف بأبيـه ، فناداهـم رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا ان
الله عـز وجـل ينهاكـم أن تحلفـوا بآبائكـم ، فمـن كان حالفا فليحلف
باللـه أو ليصمـت .

٥) وحدثنى محمد بن عبد الله بن نميـر ، حدثنا أبى ح . وحدثنا محمـد
ابن المثنى ، حدثنا يحيى ـ وهو القطان ـ عن عبيد الله ح . وحدثنى
بشـر بن هـلال ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أيوب ح . ، وحدثنـا
أبو كريب ، حدثنا أبو أسـامة عن الوليـد بن كثير ح . وحدثنا ابن أبى
عمـر ، حدثنا سفيان عن اسماعيـل بن أمية ح . وحدثنا ابن رافـع
حدثنا ابن أبى فـديك ، أخبـرنا الضحاك وابن أبى ذئيـب ح . وحدثنا

اسحاق بن ابراهيم وابن رافع عن عبد الرزاق عن ابن جريج ، أخبرني عبد الكريم ، كل هؤلاء عن نافع عن ابن عمر بمثل هذه القصة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

٦) وحدثنا يحيى بن يحيى بن أيوب ، وقتيبة وابن حجر قال يحيى ابن يحيى : أخبرنا وقال الاخرون : حدثنا اسماعيل وهو ابن جعفر عن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كان حالفا فلا يحلف الا بالله ، وكانت قريش تحلف بآبائها فقال : لا تحلفوا بآبائكم .

٧) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبد الاعلى عن هشام عن الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا تحلفوا بالطواغي (١) ، ولا بآبائكم (٢) .

---

(١) الطواغي : جمع طاغية ، والطاغية : الصنم ، ومنه قولهم هذه طاغية دوس : أي صنمهم ومعبودهم ، سمى باسم المصدر لطغيان الكفار بعبادته ، لانه سبب طغيانهم وكفرهم ، وكل ما جاوز الحد في تعظيم أو غيره فقد طغى ، فالطغيان المجاوزة للحد ، ومنه لما طغى الماء ، وقيل المراد بالطواغي هنا من طغى من الكفار وجاوز القدر المعتاد في الشر ، وهم عظماؤهم .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١١/١٠٥ وما بعدها ، الطبعة المصرية .

موطأ الامام مالك :

١) حدثني يحيى عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أدرك عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت(١) .

سنن أبي داود :

١) حدثنا الحسن بن علي ، ثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من حلف فقال في حلفه : واللات فليقل : لا اله الا الله ، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق بشيء .

٢) حدثنا عبيد الله بن معاذ ، ثنا أبي ، ثنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا تحلفوا بآبائكم ، ولا بأمهاتكم ، ولا بالانداد ، ولا تحلفوا الا بالله ، ولا تحلفوا بالله الا وأنتم صادقون .

٣) حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا زهير عن عبيد بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أدركه وهو في ركب وهو يحلف بأبيه فقال : ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليسكت .

---

(١) موطأ الامام مالك بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ٢٩٧/١ ، مطبعة الشعب بالقاهرة .

٤) حدثنا محمد بن العلاء ، ثنا ابن ادريس قال : سمعت الحسن بن عبيد الله عن سعد بن عبيدة قال : سمع ابن عمر رجلا يحلف : لا والكعبة . فقال له ابن عمر : انى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : من حلف بغير الله فقد أشرك .

٥) حدثنا سليمان بن داود العتكى ، ثنا اسماعيل بن جعفر المدنى عن أبى سهيل نافع بن مالك بن أبى عامر عن أبيه أنه سمع طلحة ابن عبيد الله يعنى فى حديث قصة الاعرابى قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أفلح وأبيه ان صدق ، دخل الجنة وأبيه ان صدق .

٦) حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا زهير ، ثنا الوليد بن ثعلبة الطائى عن ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حلف بالامانة فليس منا .

٧) حدثنا أحمد بن حنبل ، ثنا سفيان عن الزهرى عن عبيد الله ابن عبد الله عن ابن عباس أن أبا بكر أقسم على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا تقسم (١) .

---

(١) سنن أبى داود ٣/٣٠٢ ـ ٣٠٤ ط . الثانية ، ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠م .
وهذا الحديث الاخير فيه دليل لمن يرى من العلماء أن قول القائل : أقسمت . يكون يمينا ، وان لم يذكر اسم الله تعالى ، والذين يرون ذلك هم الاحناف .

قال الترمذى :

١) حدثنا قتيبة ، حدثنا سفيان عن الزهرى عن سالم عن أبيه سمع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمر وهو يقول : وأبى وأبى ، فقال : ألا ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فقال عمر : فوالله ما حلفت بها بعد ذلك ذاكرا ولا آثرا ، وفى الباب عن ثابت بن الضحاك وابن عباس وأبى هريرة وقتيلة وعبد الرحمن بن سمرة ، قال الترمذى : وهذا حديث حسن صحيح .

٢) حدثنا هناد ، حدثنا عبدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع : عن ابن عمر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أدرك عمر وهو فى ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، ليحلف حالف بالله أو ليسكت ، هذا حديث حسن صحيح .

٣) حدثنا قتيبة ، حدثنا أبو خالد الاحمر عن الحسن بن عبيد الله عن سعد بن عبيدة أن ابن عمر سمع رجلا يقول : لا والكعبة . فقال ابن عمر : لا يحلف بغير الله ، فانى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك (١) .

---

(١) الترمذى شرح تحفة الاحوذى ٥/١٣٢ ـ ١٣٥ . مطبعة الفجالة .

قال ابن ماجه في سننه :

١) حدثنا محمد بن أبي عمر العدني ، ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن عمر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمعه يحلف بأبيه فقال : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم . قال عمر : فما حلفت بها ذاكرا ولا آثرا (١) .

٢) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا عبد الاعلى عن هشام عن الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم .

٣) حدثنا محمد بن اسماعيل بن سمرة ، ثنا أسباط بن محمد عن محمد ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر قال : سمع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلا يحلف بأبيه فقال : لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض بالله فليس من الله (٢) .

---

(١) فما حلفت بها : أي بالاباء ، أو بهذه اللفظة ، وهي" وأبي " ، "ذاكرا " من نفسي ، " آثرا " أي راويا عن غيري بأن أقول : قال فلان وأبي .

(٢) سنن ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ١/٦٧٧ ـ ٦٧٨ ، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

قال المنذرى فى الترغيب والترهيب :

١) عن ابن عمر رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت ، رواه البخارى ، ومالك ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه .

٢) وفى رواية لابن ماجه من حديث بريدة قال : سمع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلا يحلف بأبيه فقال : لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض بالله فليس من الله .

٣) وعنه ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رجلا يقول : لا والكعبة ، فقال ابن عمر : لا يحلف بغير الله ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يقول : من حلف بغير الله فقد كفر ، أو أشرك .

رواه الترمذى ، وحسنه ابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

٤) وفى رواية للحاكم : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : كل يمين يحلف بها دون الله شرك .

٥) وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : لان أحلف بالله كاذبا أحب الى من أن أحلف بغيره وأنا صادق ، رواه الطبرانى موقوفا ورواته رواة الصحيح .

٦) وعن بريدة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : من حلف بالامانة فليس منا . رواه أبو داود .

٧) وعنه ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : من حلف قال : انى برئ من الاسلام ، فان كان كاذبا فهو كما قال ، وان كان صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما .

رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرطهما .

٨) وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : من حلف على يمين فهو كما حلف ، ان قال : هو يهودى ، فهو يهودى ، وان قال : هو نصرانى فهو نصرانى ، وان قال هو برئ من الاسلام ، فهو برئ من الاسلام ، ومن ادعى دعاء الجاهلية ، فانه من جثاء جهنم . قالوا يا رسول الله ! وان صام وصلى قال : وان صام وصلى .

رواه أبو يعلى والحاكم واللفظ له ، وقال صحيح الاسناد .

٩) وروى ابن ماجه من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلا يقول : أنا اذا يهودى . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : وجبت .

١٠) وعن ثابت بن الضحاك ـ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من حلف بملة غير الاسلام كاذبا فهو كما قال .

رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه [١] .

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى ، الامام الحافظ ، زكى الدين عبد العظيم ابن عبد القوى ٣/ ٦٠٥ وما بعدها ، مطبعة الحلبى وشركاؤه .

قال محمد بن على الشوكانى فى نيل الاوطار :

١) عن ابن عمر قال : كان أكثر ما كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحلف لا ومقلب القلوب . رواه الجماعة الا مسلما .

٢) عن قتيلة بنت صفى أن يهوديا أتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : انكم تندّدون ، وانكم تشركون ، تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : الكعبة ، فأمرهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ، ويقول أحدهم : ما شاء الله ثم شئت .
رواه أحمد والنسائى .

٣) وعن ابن عمر أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمع عمر وهو يحلف بأبيه فقال : ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت . متفق عليه .

وفى لفظ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من كان حالفا ، فلا يحلف الا بالله ، فكانت قريش تحلف بآبائها فقال : لا تحلفوا بآبائكم . رواه أحمد ومسلم والنسائى .

٤) وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحلفوا الا بالله ، ولا تحلفوا الا وأنتم صادقون . رواه النسائى (١) .

---

(١) نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار ، لمحمد بن على الشوكانى ٨/ ٢٥٤ـ٢٥٥ ، الطبعة الاخيرة ، مطبعة الحلبى وشركاه ، القاهرة .

الجواب عما ورد فى القرآن والاحاديث

من القسم بالمخلوقات

الجواب عما ورد فى القرآن :

١) أما ما ورد فى القرآن من القسم بغير الله فيجاب عنه بأن فى الكلام حذفا والتقدير ورب الشمس ورب النجم مثلا ٠٠ الخ ٠

٢) ذلك يختص بالله سبحانه وتعالى فهو له أن يقسم بما يشاء من خلقه لما فى ذلك من الدلالة على قدرة الرب ووحدانيته والهيته وعلمه وحكمته ، وأما المخلوق فلا يقسم الا بالخالق تعالى ، فالله تعالى يقسم بما شاء من خلقه ، وقد نهانا سبحانه وتعالى عن الحلف بغيره ، فيجب علينا التسليم ، والاذعان ، وعدم المعارضة والتسليم ، لما جاء من عند الله ٠

قال الشعبى : الخالق يقسم بما شاء من خلقه ، والمخلوق لا يقسم الا بالخالق قال : ولان أقسم بالله فأحنث أحب الى من أن أقسم بغيره فأبر ٠

وقال مطرف بن عبد الله : انما أقسم الله بهذه الاشياء ليعجب بها المخلوقين ، ويعرفهم قدرته لعظم شأنها عندهم ولدلالتها على خالقها (١) .

---

(١) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ٥٨٩/١ وما بعدها ، ط٠ الثانية ، بيروت ، المكتب الاسلامى ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ٠

٣) أو يقال : ان الاقسام ، انما يكون بما يعظمه المقسم أو يجله ، وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه ، فأقسم تارة بنفسه ، وتارة بمصنوعاته لانها تدل على بارئ وصانع .

والجواب عما ورد في السنة :

قال ابن عبد البر وأبيه غير محفوظة ، وقد جاءت عن راويها اسماعيل ابن جعفر " أفلح والله ان صدق " ، وهذا أولى من رواية من روى عنه بلفظ " أفلح وأبيه " لانها لفظة منكرة تردها الاثار الصحاح ، ولم تقع في رواية مالك أصلا ، وزعم بعضهم أن بعض الرواة صحف قوله : " وأبيه " من قوله : " والله " ، ولكن هذا الجواب عن حديث البخاري فقط ، وعليه فلابد من أجوبة أخرى ، فيجاب :

١) أن هذا القسم كان يجري على ألسنتهم من غير قصد ، والنهي انما ورد في حق من كان يقصد حقيقة القسم ، وقد جنح البيهقي الى هذا الجواب ، وقال النووي : انه المرضي .

قال في تيسير العزيز الحميد : هذا جواب فاسد ، بل أحاديث النهي عامة مطلقة ، ليس فيها تفريق بين من قصد القسم ، وبين من لم يقصد ، ويؤيد ذلك أن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ حلف مرة باللات والعزى ، ومعلوم أن سعدا لم يرد حقيقة الحلف بهما ، وانما ورد ذلك على لسانه ، كما هو من عادة أهل الجاهلية قبل الاسلام ، ورغم ذلك نهاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وكل ما يمكن أن يقال : ان من قال ذلك من غير قصد اليمين ، بل من العادة التى استحكمت فى نفوسهم أنه لا يأثم ، بخلاف من قصد اليمين ، فانه يأثم ، وأما مجرد النهى وعدم الشرعية بالحلف ، فهو عام لا يختلف من قصد عقد اليمين فيه أو من جرى على لسانه فقط من غير قصد .

٢) وقيل : ان الجواب أن يقال : ان النهى فيما قصد به التعظيم لا فيما قصد به التأكيد ، فان التأكيد جار فى كلامهم ، ومنه قول الشاعر :

لعمر أبى الواشين انى أحبها

ومعلوم أن الشاعر لم يقصد تعظيم والد من وشى .

وقال آخر :

فان تك ليلى استودعتنى أمانة ⁂ فلا وأبى أعدائها لا أذيعها

فلا يظن أحد أن الشاعر قصد تعظيم والد أعدائها .

وقال البيضاوى : ان هذا اللفظ من جملة ما يزاد فى الكلام لمجرد التأكيد والتقدير ، غير مراد به القسم ، كما تزاد صيغة النداء لمجرد الاختصاص دون القصد الى النداء .

قال فى تيسير العزيز الحميد : وهذا الجواب باطل ، وأبطل مما قبله ، وكان قائله لم يتصور ما قال :

وهل يراد بالحلف الا تأكيد المحلوف عليه بذكر من يعظمه الحالف والمحلوف له ، فتأكيد المحلوف عليه بذكر المحلوف به مستلزم لتعظيمه ، كما أن الاحاديث مطلقة ، ولم تفرق ، والتفريق يحتاج الى نقل ، وأين هو ؟

٣) وقيل : انه يجاب بأن ذلك كان فى أول الامر ، ثم نسخ ، فما جاء من الاحاديث فيه ذكر شئ من الحلف بغير الله ، فهو قبل النسخ ، ثم نسخ ذلك ، ونهى عن الحلف بغير الله ، وهذا الجواب ذكره الماوردى .

قال السهيلى : أكثر الشراح عليه ، حتى قال ابن العربى : روى أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يحلف بأبيه حتى نهى عن ذلك .

قال السهيلى : ولا يصح ذلك ، وهذا الجواب هو الحق -ان شاء الله- خصوصا وان ذلك كان مستعملا شائعا عندهم حتى ورد النهى عن ذلك ، كما فى حديث ابن عمر الذى تقدم فى سرد الاحاديث أن النبى -صلى الله عليه وسلم- أدرك عمر بن الخطاب يسير فى ركب يحلف بأبيه فقال : ألا ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت .. الحديث .

قال المهلب : كانت العرب تحلف بآبائها وآلهتها ، فأراد الله نسخ ذلك من قلوبهم لينسيهم ذكر كل شئ سواه ، ويبقى ذكره لانه الحق المعبود ، فلا يكون اليمين الا به .

قال : والحلف بالمخلوقات فى حكم الحلف بالاباء .

أقول : والذى أرتضى من هذه الاجوبة التى ذكرها ابن حجر صاحب تفسير العزيز الحميد وغيرهما هو الجواب الاخير ، لانه لم يرد عليه اشكال من أحد من العلماء حسب مطالعتى لهذه المسألة ، ولانه قول متجه اذا نظرنا فى الشريعة المطهرة نجد كثيرا من الامور كان مباحا أولا ، ثم طرأ عليه التحريم ، فاذا نظرنا الى الخمر مثلا نجدها كانت فى أول الاسلام مباحة ، ثم حرمت بالتدريج .

هل تنعقد يمين من حلف بغير الله

وهل عليه شيء غير الاستغفار

أقول : وتدل هذه الاحاديث بمجموعها على أن من حلف بغير الله مطلقا لم تنعقد يمينه ، سواء كان المحلوف به يستحق التعظيم ، كالانبياء ، أم لا يستحق ، أم يستحق التحقير ، كالشياطين ، والاصنام .

وقال بعض الحنابلة : ان الحلف بنبينا -صلى الله عليه وسلم- ينعقد به اليمين ، وتجب الكفارة بالحنث ، معللا ذلك بكونه -صلى الله عليه وسلم- أحد ركني الشهادة التي لا تتم الا به .

وقال ابن عبد البر بعد نسبته هذا المذهب لأحمد : بان الايمان عند أحمد لا يتم الا بفعل الصلاة ، فيلزم على هذا القول ان من حلف بالصلاة تنعقد يمينه .

أقول : ولا قائل بهذا حسب ما رأيت من كلام العلماء .

وما نسبه (١) ابن حجر لابن عبد البر : من أن بعض الحنابلة يقول بانعقاد يمين من حلف بالنبي -صلى الله عليه وسلم- ظاهر السقوط عندي ، وان قال به من قال به من الحنابلة للاحاديث التي مرت فانه -صلى الله عليه وسلم- نهى نهيا باتا عاما عن الحلف بغير الله ، ولم يستثن ، وما ذكر عن الحنابلة تخصيص لعموم الاحاديث ، والتخصيص لابد له من مخصص ، ولم نر مخصصا من كتاب ، ولا من سنة ، ولا من اجماع .

---

(١) ابن حجر فتح الباري ، المصدر السابق ١٤/٣٤٠ .

وهـذه باقـة من كـلام العلمـاء أسـوقها للقارئ الكريم ليضـم رأيـه الى رأيى فيما هـو الحق ـ ان شاء الله ـ :ـ

قال الطبـرى : فى حديث عمر الذى هو حديث الباب ، والاحاديث كلهـا تدور عليه ، ان اليمين لا تنعقد الا بالله ، وأن من حلـف بالكعبـة ،أو آدم أو جبريـل ، ونحو ذلك ، لم تنعقد يمينـه ، ولـزمه الاستغفار لاقدامه علـى ما نهـى عنه ، ولا كفـارة فى ذلك (١) .

وقال خليل بن اسحاق المالكى فى مختصره عاطفا على مالا ينعقد بـه اليمين (والنبى ، والكعبة) قال اللخمى : انه لا كفارة على من حلف بالنبـى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو بالكعبة ، وأن اليمين بذلك ممنوعة ،

وقال ابن رشد : مكروهـة ـ والقول بالمنع أظهر ـ .

قال فى التوضيح فى قول ابن الحاجب : واليمين بغير ذلك مكروهـة ، أى بغير الله وصفاته ، كالحلف بالكعبة ، والنبى ، والاظهـر من القوليـن التحريم ، لحديث الموطأ والصحيحين عن عمـر ـ رضى الله عنه ـ قال : قـال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكـم . قال : وانما نهـى عن ذلك ، لان فيه تعظيم غير الله بمثل ما يعظم به اللـه ، وذلك ممنـوع ، وهـذا جار فى كل محلـوف به غير الله تعالى (٢) .

---

(١) نفـس المصـدر السـابق .

(٢) مواهب الجليل على شرح مختصر خليل وبهامشه المواق ٣/ ٢٦٤ .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه : " اقتضاء الصراط المستقيم " مخالفة أصحاب الجحيم (١) : وهذا القسم منهى عنه غير منعقد باتفاق الائمة وهل هو نهى تحريم ، أو تنزيه على قولين أصحهما أنه نهى تحريم ، ولم يتنازع العلماء الا فى الحلف بالنبى -صلى الله عليه وسلم- خاصة فان فيه قولين فى مذهب أحمد ، وبعض أصحابه كابن عقيل طرد الخلاف فى الحلف بسائر الانبياء - أى جعله عاما غير خاص بنبينا -صلى الله عليه وسلم- .

قال ابن تيمية : لكن القول الذى عليه جمهور الائمة كمالك ، والشافعى وأبى حنيفة ، وغيرهم : أنه لا تنعقد اليمين بمخلوق البتة ، ولا يقسم بمخلوق البتة ، وهذا هو الصواب .

قال محمد بن على الشوكانى (٢) : القول بانعقاد اليمين بالنبى -صلى الله عليه وسلم- شاذ ضعيف ، لم يقل به أحد من العلماء ، فيما نعلم ، والذى عليه الجمهور مالك والشافعى وأبو حنيفة انه لا تنعقد اليمين به كاحدى الروايتين عن أحمد ، وهذا الصحيح .

وهذا تلخيص لما ورد فى القرآن حول القسم من كتاب التبيان فى أقسام القرآن لابن القيم ، ومن كتاب الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى :

قال السيوطى : القصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده ، حتى ان بعضهم جعل مثل (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) قسما ، وان كان فيه اخبار

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٠٦/١-٤٠٧ ، ط. مكة المكرمة الحكومية ١٣٨٩هـ.

(٢) فى كتابه شرح الصدور بتحريم رفع القبور ضمن رسائل مجموعة فى التوحيد والدعوة باسم الجامع الفريد ص ٥٣٩ .

الشهادة لكونه جاء توكيدا للخبر ، فسمى قسما من أجل ذلك ، وقد استشكل يعنى القسم هنا ـ لانه ان كان للمؤمن فهو مصدق ، وان كان للكافر فهو لا يقنع ، وأجيب بأن من عادة العرب اذا أرادت أن توكد شيئا أقسمت فيه ، والقرآن نزل بلغة العرب ، وأجاب أبو القاسم القشرى بأن الله ذكر القسم لكمال الحجة ، وتأكيدها ، وذلك أن الحكم يفصل باثنين ، اما بالشهادة ، واما بالقسم ، فذكر تعالى فى كتابه النوعين حتى لا تبقى لهم حجة فقال : "شهد الله أنه لا اله الا هو" الخ .

وقال : قل : أى وربى ، وروى عن بعض الاعراب انه لما سمع قوله تعالى : "وفى السماء رزقكم وما توعدون فو رب السماء والارض انه لحق". صرخ وقال : من الذى أغضب الجليل حتى ألجأه الى اليمين .

قال : ولا يكون القسم الا باسم معظم ، وقد أقسم تعالى بنفسه فى القرآن فى سبعة مواضع :

١) قل أى وربى .

٢) قل بلى وربى لتبعثن .

٣) فوربك لنحشرنهم والشياطين .

٤) فوربك لنسألنهم أجمعين .

٥) فلا وربك لا يؤمنون .

٦) فلا أقسم برب المشارق .

٧) فورب السماء والارض انه لحق .

والباقى فى القرآن كله قسم بمخلوقاته مثل قوله : " والتين والزيتون ، والصافات ، والشمس ، والليل ، والضحى ، فلا أقسم بالخنس " .

وقال ابن أبى الاصبغ فى أسرار الفواتح : القسم بالمصنوعات القسم بالصانع لان ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل ، اذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل .

وأخرج ابن أبى حاتم عن الحسن قال : ان الله يقسم بما شاء من خلقه ، وليس لاحد أن يقسم الا بالله .

وقال بعض العلماء : أقسم الله تعالى بالنبى -صلى الله عليه وسلم- فى قوله : " لعمرك" لتعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : ما خلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفسا أكرم عليه من محمد -صلى الله عليه وسلم- وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره . قال : " لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون " .

وقال أبو القاسم القشيرى : القسم بالشئ لا يخرج عن وجهين :

١) اما لفضيلة .

٢) أو لمنفعة .

فالفضيلة كقوله تعالى : "وطور سينين وهذا البلد الامين " .

والمنفعة نحو : "والتين والزيتون " الى أن قال : أقسم الله بثلاثة :

١) بذاته ، كالايمات السابقة .

٢) بفعله ، نحو " والسماء وما بناها والارض وما طحاها " .

٣) بمفعولته ، نحو " والنجم اذا هوى ، والطور وكتاب مسطور " .

قال : والمقسم اما ظاهر كالايمات السابقة ، واما ضمير وهو قسمان :ـ

١) ما دلت عليه اللام نحو " لتبلون فى أموالكم " .

٢) وقسم دل عليه المعنى نحو " وان منكم الا واردها " وتقديره : والله .

وقال أبو على الفارسى : الالفاظ الجارية مجرى القسم ضربان :

أحدهما : ما تكون كغيرها من الاخبار التى ليست بقسم ، فلا تجاب بجوابه كقوله : " وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين " ، " ورفعنا فوقكم الطور خذوا " ، " فيحلفون له كما يحلفون لكم " ، قال : فهذا ونحوه يجوز أن يكون قسما ، وأن يكون حالا لخلوه من الجواب .

والثانى : ما يتلى بجواب القسم كقوله : " واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس " " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن " ، وقال غير واحد : أكثر الاقسام فى القرآن المحذوفة الفعل لا تكون الا بالواو ، فاذا ذكرت الباء أوتى بالفعل كقوله : " وأقسموا بالله " يحلفون بالله .

قال السيوطي : ولا تجد الباء مع الحذف للفعل ، ومن ثم كان خطأ من جعل قسما بالله " ان الشرك لظلم عظيم " بما عهد عندك " "بحق ان كنت قلته فقد علمته "(١) .

وقال ابن القيم : الله سبحانه وتعالى يقسم بأمور على أمور ، وانما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته وصفاته ، واقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته قال : فالقسم اما على جملة خبرية ، -وهو الغالب- كقوله تعالى "فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون " . واما على جملة طلبية كقوله تعالى : " فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون " . مع أن هذا قد يراد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب الخبر ، وقد يراد به تحقيق القسم .

قال : والمراد من القسم تأكيد المقسم عليه وتحقيقه . -واذن- فلابد أن يكون مما يحسن فيه ذلك ، كالامور الغائبة والخفية اذا أقسم على ثبوتها ، فأما الامور الظاهرة المشهورة كالشمس والقمر والليل والنهار والارض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها .

---

(١) الاتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٢/١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ ، الطبعة الثانية ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م ، الناشر مصطفى الحلبي وأولاده بمصر .

والله سبحانه وتعالى يذكر جواب القسم تارة ــ وهذا الغالب ــ وتارة يحذفه كما يحذف جواب لو كثيرا كقوله تعالى : "كلا لو تعلمون علم اليقين" وقوله : "ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض" . وهذا أيضا جار في كلام الناس اذا أراد أحدهم أن يخبر من كان غائبا عن حادث فانه يقول : يا فلان لو رأيت ما جرى يوم كذا .

وأما القسم فان الحالف قد يحلف على الشيء ثم يكرر القسم فلا يعيد المقسم عليه ، لانه قد عرف ما يحلف عليه فيقول : والله ان لي عليه ألف درهم ، ثم يقول : ورب السموات والارض ، والذي نفسي بيده ، وحق القرآن العظيم ، ولا يحتاج الى اعادة المقسم عليه لكونه قد عرف أول الامر ، ولما كان القسم يكثر في الكلام ، اختصر فصار فعل القسم يحذف ويكتفى بالباء ، ثم عوض من الباء الواو في الاسماء الظاهرة ، والتاء في أسماء الله كقوله : "وتالله لاكيدن أصنامكم" .

وقال ما ملخصه : الامور التي يقسم الله عليها :

١) يقسم تعالى على أصول الايمان التي يجب على الحق معرفتها .

٢) تارة يقسم على التوحيد .

٣) على أن القرآن حق .

٤) يقسم على أن الرسول حق .

٥) يقسم على الجزاء والوعد والوعيد .

٦) يقسم على حال الانسان : فالاول كقوله : " والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد " .

والثانى : " فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم " .

" حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة " .

" حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا " .

اذا جعل ذلك جواب القسم كما هو الظاهر .

والقسم على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كقوله : " يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم " .

ومنه قوله : " ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون " .

ومنه قوله : " والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى " .

ـ وهذا المثال هو الذى استطردنا من أجله هذه البحوث كلها :

" فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين " .

وأما القسم على الجزاء والوعد والوعيد في مثل قوله : " والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع " .

ومثل قوله : " والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا انما توعدون لواقع " .

والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع " .

وقد أمر نبيه أن يقسم على الجزاء والمعاد في ثلاث آيات :

فقال تعالى : " زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن " .

وقال تعالى : " ويستنبئونك أحق هو قل أى وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين " .

والقسم على أحوال الانسان كقوله تعالى : " والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى . وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى " .

وقد أقسم سبحانه على صفة الانسان في قوله : " والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا " الى قوله : " ان الانسان لربه لكنود " .

وأقسم على عاقبته ـ أى الانسان ـ وهو قسم على جزاء فى قوله :

" والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. " .

" والتين والزيتون .. " الخ .

قال : وقد حذف جواب القسم هنا .

والنكتة فى حذفه أنه قد علم أنه يقسم على هذه الامور وهى متلازمة فمتى ثبت أن الرسول حق ثبت القرآن والمعاد ، ومتى ثبت أن القرآن حق ثبت صدق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى جاء به ، ومتى ثبت أن الوعد والوعيد حق ثبت صدقه وصدق الكتاب الذى جاء به .

قال : وقد يحذف الجواب تارة ولا يراد ذكره ، بل يراد تعظيم المقسم به . وأنه مما يحلف به كقول النبى صلى الله عليه وسلم : (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) (١) .

وقد تركت كثيرا من كتاب ابن القيم وما ذكرته منه فانما يعتبر نماذج فقط فهو كتاب عظيم ملىء بهذه الموضوعات حرى بطالب العلم أن يقتنيه فهو يغنى عن كثير من الكتب فى هذا المجال ، وفى ظنى أنه لا يغنى عنه كتاب فهو فريد فى نوعه ، جيد السبك ، سلس العبارة ، جزل الالفاظ ، يوجز فى ما حقه الايجاز ويطنب فى مواطن الاطناب .

* * *

(١) التبيان فى أقسام القرآن لشمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، دار الطباعة المحمدية بالازهر ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨م ، ص ٣ وما بعدها .

" المعانى التى يأتى لها النجم "

أصل النجم لغة الكوكب ، والجمع : أنجم ، وأنجام ، ونجوم ونجم ، ومن النبات ما نجم على غير ساق ، وقد يخص به نجم الثريا عند الاطلاق ، ويطلق على الوقت المضروب ، والنجوم وظائف الاشياء - خواصها - وكل وظيفة نجم ، ويقال تنجم الرجل كانجم اذا رعى النجوم من عشق ، ونجم ظهر وبرز وطلع ، ومنه الحديث حديث حذيفة (سراج من النار [1] يظهر فى اكتافهم حتى ينجم فى صدورهم) . والمال أداه نجوما " أقساطا " .

قال زهير فى ديات جعلت نجوما على العاقلة :

ينجمها قوم لقوم غرامة ... ولم يهرقوا بينهم ملأ محجم

والنجمة وتحرك نبت معروف ، وذو النجمة الحمار ، والمنجم - بالكسر - المعدن ، والطريق الواضح [2] . وكل نبات بارز على الارض متسطح عليها لا ساق له يسمى نجما ، واما ان كان له ساق فيطلق عليه الشجر .

---

(١) أخرجه مسلم / كتاب صفات المنافقين ٢١٤٤/٤ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى ، وأحمد ٣٢٠/٤ .

(٢) القاموس المحيط ج٢ ، ١٨١/٤ ، ط. الثانية ، لسان العرب لابن منظور ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ٤٥/١٦ .

قال تعالى : "والنجم والشجر يسجدان "(١) .

وقال ابن الاعرابى : (النجمة النبتة الصغيرة التى تنتشر على الارض ولا ساق لها ، فان كان لها ساق فهى شجرة ، ومعنى النجم فى الاية حسب آراء المفسرين : "والنجم اذا هوى " والثريا اذا سقطت مع الفجر ، والعرب تسمى الثريا نجما ، وان كانت فى العدد نجوما ، هكذا ذكر ابن عباس ومجاهد .

ويقال : ان فى الثريا سبعة نجوم ، ستة ظاهرة ، وواحدة خفية ،يمتحن الناس بالسابعة أبصارهم .

وفى الشفاء لعياض(٢) أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يرى بالثريا أحد عشر نجما .

ويروى عن مجاهد أن معنى والنجم ، والقرآن اذا نزل ، لكون القرآن ينزل نجوما مفرقا . قاله الفراء .

وقيل : ان المراد بالنجم هنا نجوم السماء كلها حين غروبها ، ولا مانع من التعبير عنها بلفظ المفرد ، والمراد الجمع ، كما فى قول الشاعر :

فباتت تعد النجم فى مستحيرة ∴ سريع بأيدى الاكلين جمودها

---

(١) سورة الرحمن الاية : ٦ .

(٢) بواسطة القرطبى ١٧/٨٢ ـ ٨٣ .

وقال عمرو بن ربيعة :

أحسن النجم فى السماء الثريا ∴ والثريا فى الارض زين النساء

وقال الحسن : المراد بالنجم هنا النجوم يوم القيامة اذا سقطت .

وقد روى عن السدى أن النجم هنا الزهرة ، لان قوما من العرب كانوا يعبدونها .

وقيل المراد بالنجم هنا : النجوم التى كانت ترمى بها الشياطين .

قال القرطبى (١) : وسبب ذلك أن الله سبحانه لما أراد بعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثر تساقط النجوم ، فهال أمر تساقطها العرب ، فجاءوا الى شيخ منهم كان قد عمى ، وكبر فى السن ، فأخبروه الخبر فقال : انظروا فى السماء ، فان رأيتم الكواكب الاثنى عشر قد انقض منها شىء فاعلموا أن هذا ايذان بزوال الدنيا وذهابها ، وان لم تروا شيئا من الكواكب قد انقض ، فاعلموا أن هذا الحدث لامر عظيم سيحدث فى الدنيا ، فذهبوا يستشعرون ما قال : فلما ظهر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان هو الامر العظيم الذى استشعروه .

ثم أنزل الله تعالى : " والنجم اذا هوى " أى ذلك النجم الذى هو لهذه النبوة التى حدثت .

وقيل : المراد بالنجم هنا نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليه

---

(١) القرطبى ١٧/٨٢ ـ ٨٣ .

يكون معنى اذا هوى ، اذا نزل من السماء ليلة المعراج ، ويؤيد هذا المعنى ما روى عن عروة بن الزبير ، أن عتبة بن أبى لهب ، كان[١] متزوجا بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأراد ذات مرة السفر مع جماعة من قومه ذاهبين الى الشام فقال : والله لآتين محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الان قبل سفرى ، فلا وذينه ، ثم جاء ، وقال : هو كافر بالنجم اذا هوى ، وبالذى دنا فتدلى ، ثم تفل فى وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعنة الله عليه ، وطلق ابنته ثم خرج فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ، وكان أبو طالب حاضرا فاستاء لها وقال يا ابن أخى ما كان أغناك عن هذه الدعوة ، ثم خرج عتبة ورجع الى أبيه ، وأخبره ثم ذهبوا الى الشام ، فلما نزلوا خرج اليهم راهب وقال : أيها الناس انتبهوا ان الارض التى أنتم بها مسبعة ، فقام أبو لهب من حينه ، وقال : يا معشر قريش أغيثونا فانى أخاف على ولدى دعوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاء القوم وأحدقوا بابنه ، وأناخوا جمالهم حوله كذلك ، فلما ناموا جاء الاسد ، وصار يشم وجه كل واحد ، ويتركه ، حتى جاء عند الملعون عتبة بن أبى لهب ، فشمه وضرب وجهه ، وقتله .

وقال حسان فى ذلك :

من يرجع العام الى أهله ∴ فما أكيل السبع بالراجع

---

(١) ابن كثير ٤/٢٤٨ .

وقال ابن كثير (١) : قد روى هذا الحديث ابن عساكر فى ترجمة عتبة بن أبى لهب من طريق محمد بن اسحاق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه عن هناد بن الاسود قال : كان أبو لهب وابنه عتبة ، قد تجهز الى الشام فتجهزت معهما ٠٠ الخ ٠

قال ابن كثير (٢) : ذكر ابن اسحاق وغيره فى السيرة أن ذلك ـ أى حادثة موت عتبة بن أبى لهب عليه لعنة الله ـ كانت بأرض الزرقاء ٠

أقول : ولعلها زرقاء اليمامه ، وقيل بالسراة ٠

* * *

(١) ابن كثير ٤/٢٥١ ، والحديث أخرجه ابن جرير ٢٧/٢٤ ٠
(٢) ابن كثير ٤/٢٥١ ٠

مناسبة كل وجه وبيان المختار من ذلك

في معنى النجم

١) أما على القول : بأن المراد بالنجم الثريا ، فلانه أظهر النجوم عند الرائي ، لان له علامة لا يلتبس بغيره في السماء ، ويظهر لكل أحد .

٢) وعلى القول : بأن المراد بالنجم النبي — صلى الله عليه وسلم — فوجه ذلك أن النبي — صلى الله عليه وسلم — تميز عن الكل بآيات بينات ، ولكون الثريا اذا ظهرت من المشرق ، حان ادراك الثمار ، واذا ظهرت بالعشاء أواخر الخريف تقل الامراض ، والنبي — صلى الله عليه وسلم — لما ظهر قل الشك والامراض القلبية ، وأدركت الثمار الحكيمة والحلمية .

٣) وان قلنا : بأن المراد بالنجم النجوم التي في السماء للاهتداء ، نقول : النجوم بها الاهتداء في البراري ، فأقسم الله بهما لما بينهما من المشابهة والمناسبة .

٤) وعلى أن المراد بالنجم الرجوم من النجوم ، فوجه الشبه أن النجوم تبعد الشياطين عن أهل السماء والانبياء يبعدون الشياطين عن أهل الارض .

٥) ومن يرى أن المعنى بالنجم هنا القرآن ، فهذا استدلال بمعجزة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على صدقه ، وبرآته ، فهو كقوله تعالى : " يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم "(١). ما ضللت ولا غويت .

٦) ورأى قوم أن المراد بالنجم هنا النبات ، ووجهه أن النبات به ثبات قوى الجسمانية وصلاحها ، والقوة العقلية أولى بالاصلاح ، وذلك يكون بالرسل ، وايضاح السبل .

والذى يترجح أن المراد بالنجم : النجوم التى فى السماء، لانها أظهر عند السامع ، وهناك قرينة ترشح هذا المعنى وهى قوله تعالى : " اذا هوى "(٢) .

* * *

---

(١) سورة يس الاية : ١ـ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٢) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ٢٨/٢٧٧ ـ ٢٧٩ .

" الضلال في اللغة وفى الشرع "

الضلال والضلالة والضل ، ويضم ، والضلضلة ، والاضلولة ـ بالضم ـ والضلة ـ بالكسر ـ ، والضلضل ـ محركة ـ ، ضد الهدى ، قال فى القاموس(١) : ضللت كزللت ، ومللت ، والضلول الضال ، وضللت الطريق ، كمللت ، وأضل فلان البعير ، والفرس ذهبا عنه ، كضلهما ، وضل يضل ـ وتفتح الضاد ـ ضلالا ، ضاع ومات وصار ترابا وعظاما ، وضلنى ذهب عنى ، والضلة ـ بالضم ـ الحذق بالدلالة ، وبالفتح الحيرة ، والغيبة لخير أو شر ، وأضله دفنه ، وغيبه ، والضلل بالتحريك الماء الجارى تحت الصخرة ، وضلاضل الماء بقاياه ،

وقال فى لسان العرب(٢) : الاضلال فى كلام العرب ضد الهداية والارشاد ، ويقال : أضللت فلانا اذا وجهته للضلال عن الطريق قال لبيد :

من هداه سبيل الخير اهتدى ∴ ناعم البال ومن شاء أضل

---

(١) القاموس (المجلد ٢) ٤/٥ .

(٢) لسان العرب ، المصدر السابق ١٣/٤١٤ ـ ٤١٥ .

قال أبو منصور : ويطلق الضلال في أصل كلام العرب على الغيبوبة تقول : أضللت الشيء اذا غيبته ، وأضللت الميت دفنته ، وقد يأتي أضل بمعنى الحمل على الضلال ، والدخول فيه ، ومنه قوله تعالى : " رب انهن أضللن كثيرا من الناس " (١) . ويقال : ضل ضلالة كما يقول : جن جنونه .

وخلاصة المعاني التي يأتي لها الضلال كالاتي :

١) يأتي الضلال بمعنى الغيبة والهلاك والاضمحلال من قولهم : ضل السمن في الطعام اذا غاب فيه ، واضمحل ، ولذا سموا الدفن ضلالا ، لان صاحبه اذا غيب في الارض آل أمره الى أن الارض تستهلكه ، وتأكل عظامه فيها ، ويدل على هذا المعنى قوله تعالى : " أئذا ضللنا في الارض " (٢) .

ويدل على اطلاق الضلال على الغيبة قوله تعالى : " وضل عنهم ما كانوا يفترون " (٣) . أي غاب واضمحل .

ويدل على أن الضلال يرد بمعنى الدفن ، كما قدمنا قول نابغة ذبيان :

فآب مضلوه بعين جلية ∴ وغودر بالجولان حزم ونائل

---

(١) سورة ابراهيم الاية : ٣٦ .
(٢) سورة السجدة الاية : ١٠ .
(٣) سورة الانعام الاية : ٢٤ .

وقال آخر :

أضلت بنو قيس بن سعد عميدها ∴ وفارسها في الدهر قيس بن عاصم

فمعنى مضلوه التي وردت في البيت ، يعني دافنيه ، ومن الضلال بمعنى الغيبة ، والاضمحلال قول الاخطل :

كنت القذى في جوف أكدر مزبد ∴ قذف الاتي به فضل ضلالا

وقال آخر في هذا المعنى :

ألم تسأل فتخبرك الديار ∴ عن الحي الضلل أين ساروا (١)

٢) الضلال في الدين بمعنى الذهاب عن الحق ، وعن طريقه التي أرسل بها الرسل ، وجاءوا بها رحمة للعالمين ، وهذا من أشهر معاني الضلال في القرآن ، ومنه قوله تعالى : "ولقد أضل منكم جبلا" (٢) .

وقوله : "غير المغضوب عليهم ولا الضالين" (٣) .

٣) ويطلق الضلال على بطلان العمل ، ومنه قوله تعالى : "ضل سعيهم في الحياة الدنيا" (٤) .

---

(١) أضواء البيان ٣/٤٦ ـ ٤٧ .
(٢) سورة يس الاية : ٦٢ .
(٣) سورة الفاتحة الاية : ٧ .
(٤) سورة الكهف الاية : ١٠٤ .

وفى الحديث : (لولا أن الله لا يحب ضلالة العمل ما رزأناكم عقالا) (١) .

٤) ويأتى الضلال بمعنى الهلاك ، ومنه قوله تعالى : " ان المجرمين فى ضلال وسعر " (٢) .

٥) ويرد الضلال بمعنى النسيان ، ومنه قوله تعالى : " ممن ترضون من الشهداء أن تضل أحداهما فتذكر احداهما الاخرى " (٣) .

٦) ويأتى أضللته بمعنى وجدته ضالا ، كما يقال : أحمدته وجدته محمودا وأبخلته وجدته بخيلا ، ومنه حديث أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى قومه فأضلهم (٤) أى وجدهم ضلالا غير مهتدين الى الحق .

٧) ويطلق الضلال على الذهاب عن علم الحقيقة ، كما ينبغى ، ومن هذا المعنى قوله سبحانه وتعالى : " اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين " (٥) .

---

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب الاقضية

(٢) سورة القمر الاية : ٤٧ .

(٣) سورة البقرة الاية : ٢٨٢ .

(٤) النهاية فى غريب الحديث ٣/ ٩٨ .

(٥) سورة يوسف الاية : ٨ .

وقوله تعالى : " قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم "(١) .

وقوله تعالى : " ووجدك ضالا فهدى "(٢) .

أى لست عالما بهذه العلوم التى لا يمكن أن يعرفها أحد الا بطريق الوحى ، فعلمكها بما علمك من هذا القرآن ومنه بهذا المعنى قول الشاعر :

وتظن سلمى أننى أبغى بها بدلا .:. أراها فى الضلال تهيم

يعنى أنها غير عالمة بالحقيقة فى ظنها أنه يبغى بها بدلا ، وهو لا يبغى بها بدلا ، وليس مراد أولاد يعقوب الضلال فى الدين ، اذ لو أرادوا ذلك لكانوا كفارا ، بل مرادهم أن أباهم ذاهب عن ادراك الحقيقة فى زعمهم ، وأنه لم ينزل الامر المنزلة اللائقة به حيث آثر اثنين على عشرة(٣) .

* * *

---

(١) سورة يوسف الاية : ٩٥ .

(٢) سورة الضحى الاية : ٧ .

(٣) أضواء البيان ٣/٤٦ ـ ٤٧ مطبعة المدنى .

"اجتهاد النبي"
صلى الله عليه وسلم

لابد بمناسبة ذكر اجتهاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نذكر لمحة صغيرة عن الاجتهاد ، ومن هو المجتهد ، وما هي شروطه ، والى كم قسم ينقسم المجتهد ، وهل الاجتهاد باق أم لا ؟ .

تعريف الاجتهاد :

الاجتهاد في اللغة : مأخوذ من الجهد ، وهو المشقة ، فيختص بما فيه مشقة ليخرج عنه ما لا مشقة فيه .

قال في ارشاد الفحول (١) : هو في اللغة عبارة عن استفراغ الوسع في أي فعل كان ، يقال : استفرغ وسعه في حمل الثقيل ، ولا يقال : استفرغ وسعه في حمل النواة .

وفي الاصطلاح : هو بذل الفقيه الوسع في نيل حكم شرعي عملي بطريق الاستنباط .

وهذا التعريف أحسن التعاريف لكونه جامعا مانعا ، ولا يرد عليه اشكال بخلاف غيره .

---

(١) ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، وبهامشه شرح الشيخ أحمد بن قاسم العبادي ، الشافعي ، على شرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي على الورقات ، الطبعة الاولى ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

ومنهم من عرفه : بأنه استفراغ الوسع فى النظر فيما لا يلحقه فيه لوم مع استفراغ الوسع فيه ، وهو سبيل مسائل الفروع .

شرح التعريف :

قوله : بذل الوسع : يخرج من لم يجتهد وسعه ، بل قصر ، لان معنى بذل الوسع أن يحس من نفسه العجز عن مزيد طلب ، ويخرج بالفقيه ، بذل غير الفقيه ، فانه وان كان يجتهد فى الحصول على مراده لكنه لا يسمى اجتهاد اصطلاحا ، ويخرج بقوله الشرعى ، ما حصل من الاجتهاد ، فى الامور غير الشرعية ، كالامور العقلية ، واللغوية ، والحسية ، ويخرج بقوله : بطريق الاستنباط نيل الاحكام الشرعية من النصوص الظاهرة ، أو حفظ المسائل ، أو استعلامها من المعنى ، أو يعرفه عن طريق الكشف عن المسائل فى كتب العلم ، فان هذا وان كان يصدق عليه الاجتهاد لغة ، الا أنه لا يصدق عليه اصطلاحا (١) .

المجتهد وشروطه :

المجتهد : هو الفقيه المستفرغ لوسعه لتحصيل ظن بحكم شرعى .

---

(١) ارشاد الفحول ١/ ٢٥٠ .

شـروط المجتهـد :

١) أن يكـون بالغـا عاقـلا .

٢ ، ٣) ثبتت لـه ملكـة يقتدر بها على استخراج الاحكام من مآخذ هـا .

٤) أن يكون عالما بنصوص الكتاب والسـنة .

فان حصل له تقصير فى أحد هـما ، فلا يعد مجتهـدا .

والصحيح أنه لا يلزمـه أن يحيط بما فى الكتاب والسنة ، بل يكفـى أن يعرف من الكتاب آيـات الاحكـام .

وقد قال الغزالى ، وابن العربى : أن آيـات الاحكـام ، خمسمائـة آيـة .

ويرى الشوكانى : أن من جعل آيـات الاحكـام خمسمائة ، لـم يعد من الايات ما يدل على الاحكـام بطريق النص والالتزام .

وقد اختلفوا فى القـدر الذى يكفى من السـنة للمجتهد ، منهـم مـن قـال : يكفيـه أن يكون حافظا خمسمائة حديث ، وهـذا القول أبعد ها .

وقال آخـرون : اذا حفـظ ثلاثـة آلاف كان من المجتهديـن .

وينسب هذا القول لابن العربى ، ورويت أقوال متضاربة عن أحمـد قيل انه قال : لابد للمجتهد من معرفة خمسمائة ألف حديث ، لما سأله بعض أهـل العلـم . وروى عنه أنه قال : يكفى المجتهـد أقل من ذلـك .

وهـنا أترك الشـوكانى يتحـدث :

قال : أما السنة فقد اختلفوا فى القدر الذى يكفى المجتهد منها ، فمنهم من قال خمسمائة وقد أغرب . ومنهم من قال : ثلاثة آلاف وهو ابن العربى ، وقال أحمد بن حنبل لما سئل عن أقل ما يكفى المجتهد فقال : خمسمائة ألف أرجو .

قال أبو على الضرير : قلت : لاحمد يكفى الرجل من الحديث مائة ألف . قال : لا . قلت : ثلاثمائة . قال : لا . قلت : أربعمائة . قال : لا . قلت : خمسمائة ألف . قال : أرجو (١) .

وهذا من باب الكمال ، والا فقد نقل عن أحمد أنه يكفى الرجل ألف ومائتان .

قال : لانها الاصول التى يدور عليها العلم عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ . ومن شروط المجتهد :

٥) أن يكون عارفا بمسائل الاجماع خوف أن يفتى بخلا ما وقع الاجماع عليه .

٦) أن يكون عالما بلسان العرب ، بحيث يتمكن من تفسير ما ورد فى الكتاب والسنة من الغريب ، ولا يشترط فى المجتهد حفظه للغة العربية عن ظهر قلب .

وقال الشافعى : يجب على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما يبلغه جهده ، فى أداء فرضه .

---

(١) ارشاد الفحول ١/ ٢٥٠ ، والمسودة فى الاصول ١/ ٥٠٦ فما بعدهما ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مطبعة المدنى ، القاهرة .

ويروى عن الماوردى قوله : ان معرفة لسان العرب فرض على كل مسلم ، مجتهدا كان ، أو غير مجتهد .

٧) أن يكون عالما بأصول الفقه ، لاشتماله على نفس الحاجة اليه، وعليه أن يطول الباع فيه .

وقد قال الفخر الرازى : ان أهم العلوم للمجتهد علم الاصول .

٨) أن يكون على علم بالناسخ والمنسوخ لئلا يقع فى الحكم بالمنسوخ .

ينقسم المجتهد الى اثنين :

١) مجتهد مستقل : وهو الذى يبتكر لنفسه قواعد يسير عليها ومنهجها كمالك ، والشافعى ، وأحمد ، والامام أبى حنيفة ـ رحم الله الجميع ـ .

٢) مجتهد غير مستقل : وهو الذى يستنبط من القواعد الذى وضعها الامام الذى كان قبله وهو المطلق . وهذا لا يستبعد أن يكون موجودا فى كل زمان وفى كل عصر .

---

(١) المستصفى من علم الاصول للامام حجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى ، الطبعة الاولى ٢/ ١٠٢ فما بعدها ، ارشاد الفحول ١/ ٢٥٥ .

أما الاول : فقد عز وجوده ، وقل حتى ان بعض العلماء قال : بانقطاع الاجتهاد ، وبعضهم قال : لا ينقطع الاجتهاد . ويمكن التوفيق بين الرأيين ، بأن يحصل قول من قال : ان الاجتهاد قد انقطع على من أراد المجتهد المطلق المستقل ، الذى يبتكر القواعد لنفسه ، ويحصل قول من قال : ان الاجتهاد لا ينقطع الى أن يرث الله الارض ومن عليها على المجتهد غير المستقل ، ويكون هذا الذى عناه صاحب ألفية مراقى السعود (١) فى الاصول بقوله :

والارض لا عن قائم مجتهد ∴ تخلو الى تزلزل القواعد
حتى يجىء الفاطمى المجدد ∴ دين الهدى لانه مجتهد (٢)

* * *

---

(١) الشيخ سيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوى .
(٢) الحجر الاساسى لمن أراد شرعة خير الناس ١/ ٣٠٠ ، ط . أولى .

الاجتهاد للانبياء صلوات الله وسلامه عليهم :

أجمع العلماء (١) على جواز الاجتهاد للانبياء عقلا ، كما حكى سليم الرازى ، وابن حزم الاجماع على جواز الاجتهاد منهم فيما يتعلق بمصالح الدنيا كتدبير الحروب ونحوها ، كما حصل من نبينا -صلى الله عليه وسلم- من ارادته أن يصالح غطفان على ثمار المدينة ، وكذا ما كان قد عزم عليه من ترك تلقيح ثمار المدينة .

الاجتهاد فى الاحكام الشرعية للانبياء :

القول الاول : ليس لهم الاجتهاد لقدرتهم على النص بنزول الوحى وقد قال سبحانه : " ان هو الا وحى يوحى " (٢) .

قالوا : الضمير يرجع الى النطق فى قوله : " وما ينطق عن الهوى " (٣) .

ذكر هذا المذهب الاستاذ أبو منصور عن أصحاب الرأى .

وقال القاضى فى التقريب : كل من نفى القياس أحال تعبد النبى -صلى الله عليه وسلم- بالاجتهاد .

قال الزركشى : وهذا اختيار ابن حزم .

---

(١) ارشاد الفحول ١/٢٥٥ .

(٢) سورة النجم الاية : ٤ .

(٣) سورة النجم الاية : ٣ .

حجج المانعين :

١) احتج أهل هذا المذهب بأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اذا سئل ينتظر الوحى ويقول : ما أنزل على فى هذا شىء ، كما قال لما سئل عن زكاة الحمير فقال : لم ينزل على الا هذه الاية الجامعة : "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره"(١) . وكان ينتظر الوحى فى كثير مما سئل عنه . وقد نحا هذا المذهب أبو على ، وأبو هاشم .

٢) لو جاز له الاجتهاد لجازت مخالفته ، واللازم باطل ، وبيان الملازمة أن ذلك الذى قاله بالاجتهاد هو حكم من أحكام الاجتهاد ومن لوازم أحكام الاجتهاد جواز المخالفة ، اذ لا قطع بأنه حكم الله لكونه محتملا للاصابة ، ومحتملا للخطأ .

٣) قال المانعون : لو كان متعبدا بالاجتهاد ، لما تأخر فى جواب سؤال السائل .

---

(١) سورة الزلزلة الاية : ٧ ، ٨ .
والحديث أخرجه البخارى سورة ٩٩ كتاب التفسير ، كتاب المساقاة الباب الثانى عشر ، صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ٨/٧٢٦ ، الطبعة السلفية ، مسلم الحديث ٢٤ ، ٢٥ ، النووى ٧/٦٧ .

الرد على حجج المانعين :

١) احتجوا بقوله : " وما ينطق عن الهوى " . المراد به القرآن لانهم ـ أى الكفار ـ قالوا : " انما يعلمه بشر "(١) . حتى ولو سلم أن المراد به النطق لم يدل على نفس الاجتهاد منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا كان متعبدا بالاجتهاد ، وبالوحى لم يكن نطقا عن الهوى ، بل عن الوحى ، واذا جاز لغيره من الامة أن يجتهد بالاجماع مع كونه معرضا للخطأ ، فلان يجوز لمن هو معصوم عن الخطأ بالاولى .

٢) وأما الاحتجاج بأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لو جاز له الاجتهاد لجازت مخالفته ، واللازم باطل ، فيجاب عنه بمنع كون اجتهاده يكون له حكم اجتهاد غيره ، فان ذلك انما كان لازما لاجتهاد غيره لعدم اقترانه بما اقترن به اجتهاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الامر باتباعه .

٣) وأما احتجاجهم بأنه لو كان متعبدا بالاجتهاد لما تأخر فى جواب سؤال سائل ، فيجاب عنه بأنه انما تأخر فى بعض المواطن لجواز أن ينزل عليه فيه الوحى الذى عدمه شرط فى صحة

---

(١) سورة النحل الاية : ١٠٤ .

اجتهاده ، على أنه قد يتأخر الجواب لمجرد الاستثبات فى الجواب ، والنظر فيما ينبغى النظر فيه فى الحادثة ، كما يقع ذلك من غير المجتهدين .

٢) المذهب الثانى : وهو الراجح أنه يجوز لنبينا -صلى الله عليه وسلم- ولغيره من الانبياء ، وهذا ما ذهب اليه الجمهور مستدلين : بأن الله سبحانه خاطب نبيه - صلى الله عليه وسلم - كما خاطب عباده ، وضرب له الامثال ، وأمره بالتدبر ، والاعتبار وهو أجل المتفكرين فى آيات الله ، وأعظم المعتبرين .

فقد وقع الاجتهاد منه - صلى الله عليه وسلم - كثيرا ومن الانبياء ، فأما منه فمثل قوله :(أرأيت لو تمضمضت) (١) ، (أرأيت لو كان على أبيك دين) (٢) .

وقوله للعباس : الا الا ذخر ولم ينتظر الوحى فى هذا ، ولا فى كثير مما سئل عنه ، وقد قال -صلى الله عليه وسلم- : (ألا وأنى قد أوتيت القرآن ومثله معه) (٣) . وأما حصول الاجتهاد من غيره - صلى الله عليه وسلم - فمثل قصة داود وسليمان .

---

(١) أبو داود ٢/ ٧٧٨ كتاب الصوم ، أخرجه الحاكم فى المستدرك ١/ ٤٣١ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى ، وفى نيل الاوطار ٤/ ٢٨٧ أنه صححه ابن خزيمه وابن حبان .

(٢) أحمد ١/ ٢١٢ ، النسائى فى المناسك الباب الحادى عشر كتاب القضاء .

(٣) أبو داود ٧/ ٧ مع معالم السنن .

قال ابن حجر : يحتج لاجتهاد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله تعالى : " فاعتبروا يا أولى الابصار "(١) . والانبياء أفضل أولى الابصار .

٢) ولما ثبت من أجر المجتهد ومضاعفته ، والانبياء أحق بما فيه جزيل الثواب .

٣) وبقوله تعالى : " وشاورهم فى الامر "(٢) .

قال ابن بطال : ولا تكون المشورة الا فيما لا نص فيه .

٤) ما أخرجه ابن عبد البر من طريق ابن شهاب ، أن عمر خطب فقال : يا أيها الناس ، ان الرأى انما كان من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مصيبا ، لان الله عز وجل يريه ، وانما هو منا الظن والتكلف(٣) .

وقال فى التبصرة فى أصول الفقه للشيخ الامام أبى اسحاق الفيروز ابادى الشيرازى ، بتحقيق الدكتور محمد حسن هيتو(٤) : للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يجتهد فى الحوادث ، ويحكم فيها بالاجتهاد وكذلك سائر الانبياء عليهم السلام .

---

(١) سورة الحشر الاية : ٢ .
(٢) سورة آل عمران الاية : ١٥٩ .
(٣) فتح البارى ٢٩١/١٣ ـ ٢٩٢ تصحيح واشراف الشيخ عبد العزيز
(٤) التبصرة فى اصول الفقه ٥٢١/١ .

وهذا مذهب الشافعي ، وأكثر أصحابه وأحمد ، والقاضي عبد الجبار ، والقاضي أبو يوسف ، وأبو الحسن البصري [١].

قال في التبصرة : من أدلة اجتهاده صلى الله عليه وسلم :

١) قوله تعالى : " لتحكم بين الناس بما أراك الله " [٢]. لانه لم يفرق بين ما أراه بالنص ، أو بالاجتهاد .

٢) ولان داود وسليمان عليهما السلام حكما باجتهادهما ، ولم ينكر الله عز وجل عليهما فدل على جوازه .

٣) ولكون القياس دليل عن الله عز وجل في الاحكام فجاز لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يستفيد الحكم من جهته كالكتاب .

٤) ولكون الاجتهاد وضع لرفع المنازل والزيادة في الدرجات ، وأحق الناس بذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوجب أن يكون له مدخل فيه .

---

(١) الاحكام ٤/١٤٣ .

(٢) سورة النساء الاية : ١٠٥ .

اختلف هل يجوز الخطأ على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الاجتهاد :

١) قال ابن حجر : لا يقع فيما يجتهد فيه خطأ أصلا - صلى الله عليه وسلم - [١] .

٢) قال في التبصرة في اصول الفقه [٢] : يجوز الخطأ على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في اجتهاده ، الا أنه لا يقر عليه ، بل ينبه عليه ، ومن أصحابنا من قال : لا يجوز عليه ، ونقل الامدى المذهب الثاني عن أكثر أصحابه ، والحنابلة وأصحاب الحديث والجبائي وجماعة من المعتزلة [٣] .

أقول : ويدل على أنه كان يجتهد -صلى الله عليه وسلم- دلالة واضحة ظاهرة قول الله عز وجل " عفا الله عنك لم أذنت لهم " [٤] .

وقوله : " ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين " [٥] .

وقوله : " ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض " [٦] .

قالوا : فلو لم يكن هذا عن اجتهاد ، لما قال : " عفا الله عنك لم أذنت لهم " . ولما قال : " ما كان لنبي أن يكون له أسرى " .

---

(١) ابن حجر فتح الباري ٢٩١/١٣ .
(٢) التبصرة في اصول الفقه ٥٢١/١ .
(٣) الاحكام ١٨٧/٤ .
(٤) سورة التوبة الاية : ٤٣ .
(٥) سورة التوبة الاية : ١١٣ .
(٦) سورة الانفال الاية : ٦٧ .

قال فى أضواء البيان (١) : ولا منافاة بين الايات ، لان قوله : " ان هو الا وحى يوحى " معناه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يبلغ عن الله الا شيئا أوحى الله اليه أن يبلغه ، فمن يقول : انه شعر أو سحر أو كهانة ، أو أساطير الاولين ، هو أكذب خلق الله وأكفرهم ، ولا ينافى ذلك أنه أذن للمخلفين عن غزوة تبوك ، وأسر الاسارى يوم بدر ، واستغفر لعمه أبى طالب من غير أن ينزل عليه وحى خاص فى ذلك .

ومن الادلة الواضحة على أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجتهد قوله : (لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى) (٢) . أى لو علمت أولا ما علمت ، آخرا ما فعلت ذلك ، ومثل ذلك لا يكون فيما علمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالوحى ، وكمعاتبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله تعالى : " واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك " (٣) الى آخر ما قصه الله فى ذلك فى كتابه العزيز (٤) .

٣) المذهب الثالث فى اجتهاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ الوقف (٥) عن القطع بشئ من ذلك ، وزعم الصيرفى أنه مذهب الشافعى ، لانه حكى الاقوال ولم يختر شيئا منها ، واختار هذا القاضى أبو بكر الباقلانى ، والغزالى ، وعندى أنه لا وجه للوقف فى هذه المسألة لما قدمنا من الادلة .

---

(١) أضواء البيان ٧/٧٠٢ .

(٢) أخرجه البخارى .

(٣) سورة الاحزاب الاية : ٣٧ .

(٤) ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ، ط. الاولى الحلبى وأولاده ، ١/٢٥٥ .

(٥) ارشاد الفحول ، المصدر نفسه ١/٢٥٥ .

" الوحى فى اللغة "

الوحى الاعلام فى خفاء (١) ، وهو أيضا الكتابة ، والمكتوب ، والبعث ، والالهام ، والامر ، والايماء ، والاشارة ، والتصويت شيئا بعد شئ ، وقيل أصله التفهيم ، وكل ما دللت به من كلام ، أو كتابه ، وقول أو رسالة ، أو اشارة فهو وحى .

والوحى مصدر ، ومادة الكلمة تدل على معنيين أصليين هما الخفاء ، والسرعة ، ولذا قيل فمعناه الاعلام الخفى السريع الخاص بمن يوجه اليه بحيث يخفى على غيره ، وهذا معنى المصدر ، ويطلق ويراد به الموحى ، أى بمعنى اسم المفعول ، والوحى بمعناه اللغوى يتناول المعانى التالية :

١) الالهام الفطرى للانسان ، كالوحى الى أم موسى . قال تعالى : " وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه " (٢) .

٢) الالهام الغريزى للحيوان ، كالوحى الى النحل . قال تعالى : " وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون " (٣) .

---

(١) مختار الصحاح ٧١٣/١ .

(٢) سورة القصص الاية : ٧ .

(٣) سورة النحل الاية : ٦٨ .

٣) والاشارة السريعة على سبيل الرمز والايحاء ، كايحاء زكريا فيما حكاه القرآن . قال تعالى : " فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا "(١) .

٤) وسوسة الشيطان ، وتزيينه الشر فى نفس الانسان . قال تعالى : " وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم "(٢) .

وقال تعالى : " وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا "(٣) .

٥) وما يلقيه الله الى ملائكته من أمر ليفعلوه . قال تعالى : " اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا "(٤) .

وحاصل المعانى للوحى اللغوى : أنه الاعلام الخفى السريع ، وهذا أعم من أن يكون باشارة ، أو كتابة ، أو رسالة ، أو الهام غريزى ، أو غير غريزى ، وهو بهذا المعنى لا يختص بالانبياء ، ولا بكونه من عند الله سبحانه(٥) .

---

(١) سورة مريم الاية : ١١ .

(٢) سورة الانعام الاية : ١٢١ .

(٣) سورة الانعام الاية : ١١٢ .

(٤) سورة الانفال الاية : ١٢ .

(٥) الوحى المحمدى للشيخ محمد رشيد رضا ١/٤٤ ، الاتقان فى علوم القرآن ١/٤٤ ، مناهل العرفان فى علوم القران لمحمد عبد العظيم الزرقانى ١/٥٦ ، مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن ، الطبعة الرابعة ١/٣٢ ـ ٣٣ ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ١/٨٣ وما بعدها .

وفى الشرع : يطلق الوحى على الاعلام بالشرع ، ويطلق ويراد به المعنى المصدرى ، ويطلق ويراد به الموحى به .

<u>وتعريفه</u> : من الجهة الاولى هو اعلام الله أنبياءه ، بما يريد أن يبلغه اليهم من شرع ، أو كتاب ، بواسطة أو غير واسطة ، فهو أخص من المعنى اللغوى ، لخصوص مصدره ، ومورده ، فقد خص المصدر بالله تعالى ، وخص المورد بالانبياء .

ويعرف من الجهة الثانية : بأنه ما أنزله الله على أنبيائه وعرفهم به ، من أنباء الغيب ، والشرائع ، والحكم ، ومنهم من أعطاه كتابا ، ومنهم من لم يعطه .

وينقسم الوحى باعتبار المعنى المصدرى الى ما يأتى :

١) تكليم الله نبيه بما يريد من وراء حجاب ، اما فى اليقظة ، وذلك مثل ما حدث لموسى ـ عليه السلام ـ قال تعالى : " وكلم الله موسى تكليما " (١) .

ومثل ما حدث لنبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة الاسراء والمعراج ـ .

واما فى المنام كما فى حديث معاذ مرفوعا : (أتانى ربى فقال فيم يختصم الملأ الاعلى) . رواه الامام أحمد فى مسنده والترمذى .

---

(١) سورة النساء الاية : ١٦٤ .

٢) الالهام والقذف فى القلب ، بأن يلقى الله ، أو الملك الموكل بالوحى فى قلب نبيه ما يريد مع تيقنه أن ما ألقى اليه من قبل الله تعالى ، وذلك مثل ما ورد : (ان روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب) (١) .

٣) الرؤيا فى المنام ، ورؤيا الانبياء وحى ، وذلك مثل رؤية ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ أن يذبح ابنه ، ورؤية نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه سيدخل المسجد الحرام مع المسلمين .

وفى حديث البخارى (٢) : أول ما بدئ به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الوحى الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح .

٤) تعليم الله أنبياءه بواسطة ملك ، والمختص بذلك من الملائكة هو أمين الوحى جبريل ـ عليه السلام ـ ، وهذا القسم يعرف بالوحى الجلى ، وقد بين الله سبحانه وتعالى هذه الاقسام بقوله : " وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم " (٣) .

---

(١) رواه الحاكم وصححه عن ابن مسعود
والروع ـ بضم الراء ـ القلب والخاطر ، ـ وبالفتح ـ الفزع ، والمراد هنا الاول .
(٢) البخارى مع شرحه فتح البارى ١/٨ مطبعة الحلبى .
(٣) سورة الشورى الآية : ٥١ .

ان المراد بالوحى فى الاية الالهام ، أو المنام لمقابلته للقسمين الاخيرين: التكلم من وراء حجاب ، أو بواسطة رسول .

الوحى الذى بواسطة جبريل له ثلاث حالات :

١) أن يأتى جبريل فى صورته التى خلقه الله عليها ، وهذه الحال نادرة وقليلة ، وقد ورد عن السيدة عائشة أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم ير جبريل فى هذه الحال الا مرتين ، مرة وهو نازل من غار حراء ، وهذه فى الارض ، ومرة وهو عند سدرة المنتهى فى السماء ليلة الاسراء والمعراج (١) .

٢) أن يأتى جبريل للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مثل رجل انسى كدحية الكلبى ، أو اعرابى ، وآخر يراه الحاضرون ، ويسمعون كلامه ، ولكن لا يعرفون عن هويته شيئا .

مثاله حديث الصحيحين (٢) : هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم .

وحديث أم سلمة ورؤيتها رجلا ظنته دحية ، فأخبرها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه جبريل ، ولكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذه الحال لا يخالجه شك من أنه جبريل ، بل يعلم علم اليقين كونه جبريل .

---

(١) رواه أحمد ٦/ ٥٠ ، ومسلم ١/ ١٥٩ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الايمان ١/ ١١٤ ، وصحيح مسلم/كتاب الايمان ١/ ٣٦ .

٣) أن يأتى جبريل على صورته الملكية ، ولكن لا يرى فى هذه الحال ، بل يسمع له صوت مثل صلصلة الجرس ، أو دوى كدوى النحل ، وهذه الحال والتى قبلها دل عليهما حديث الحارث بن هشام فى سؤاله النبى — صلى الله عليه وسلم — عن كيفية الوحى . وهذا الحديث فى صحيح البخارى (١) .

هذا وان الوحى بجميع أنواعه يلازمه علم يقينى ، وضرورى من الموحى اليه ، بأن ما ألقى اليه ، وأوحى به اليه ، وحى لا شك فيه ، وأنه من عند الله ، وهذا العلم ضرورى لا يحتاج الى مقدمات ، وانما هو من باب ادراك الامور الوجدانية ، كالظمأ والجوع وغير ذلك ، فلا مجال لخطرات القلوب فيه ، ولا نزغات الشياطين (٢) .

* * *

---

(١) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ١/٨ طبعة الحلبى .

(٢) المدخل فى علوم القرآن ١/٨٧ ، مباحث فى علوم القرآن ١/٤٤ لمناع القطان .

" القرآن الكريم من أى أقسام الوحى "

بعد أن عرفت أقسام الوحى ، فاعلم أن القرآن تلقفه جبريل سماعا من الله تعالى ، بلفظه المخصوص ، ثم نزل به على نبينا - محمد - صلى الله عليه وسلم - يقظة ، وليس من القرآن شىء نزل مناما ، وهذا القول هو الصواب ، وهو الصحيح ، وهو الذى عليه أهل السنة والجماعة ، وتشهد له الادلة ، كحديث النواس بن سمعان ، كما يدل عليه نسبة القرآن الكريم الى الله فى العديد من الايات كقوله سبحانه : " وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم " (١) .

وقال تعالى : " وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله " (٢) .

وقال تعالى : " واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقائنا أئت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى " (٣) .

فالقرآن الكريم كلام الله بألفاظه وحروفه ، لا كلام جبريل ، ولا كلام محمد - صلى الله عليه وسلم - .

* * *

---

(١) سورة النمل الاية : ٦ .

(٢) سورة التوبة الاية : ٦ .

(٣) سورة يونس الاية : ١٥ .

"كيف كان بدء الوحى الى رسول الله "
- صلى الله عليه وسلم -

١) حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - أن الحارث ابن هشام - رضى الله عنه - سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ! كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده على فيفصم عنى ، وقد وعيت عنه ما قال . وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول . قالت عائشة - رضى الله عنها - ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وان جبينه ليتفصد عرقا (١) .

٢) حدثنا يحى بن بكير قال : حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : أول مابدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد الليالى ذوات العدد - قبل أن ينزع الى أهله ، ويتزود

---

(١) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ٨/١ وما بعدها طبعة الحلبى .

لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال : " اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم "(١) . فرجع بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ فقال : زملوني ، فزملوه ، حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر ـ لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ، ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب العبرانى ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ، ما شاء الله ، أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا ، قد عمى ، فقالت خديجة : يا ابن عمى اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ، فأخبره

---

(١) سورة العلق الاية : ١ ـ ٢ ، ٣ .

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ، يا ليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أو مخرجى هم . قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك ، انصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى .

قال ابن شهاب : وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر ابن عبد الله الانصارى قال : وهو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه : بينما أنا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصرى ، فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى (١) بين السماء والارض ، فرعبت منه ، فرجعت فقلت : زملونى فأنزل الله تعالى : " يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر " الى قوله : " والرجز فاهجر " (٢) . فحمى الوحى ، وتتابع ، تابعه عبد الله بن يوسف وأبو صالح ، وتابعه هلال بن رداد عن الزهرى (٣) .

---

(١) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ١/٨ وما بعدها .

(٢) سورة المدثر الاية : ١ ـ ٥ .

(٣) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ١/٨ وما بعدها .

معانى بعض الكلمات :

فغطنى : بالغين ـ المعجمة ثم المهملة ـ أى ضمنى وعصرنى .

وعند الطبرى : (فغطنى) بالمثناة الفوقية ـ بدل الطاء ـ وهو حبس النفس .

حتى بلغ منى الجهد : ـ بفتح الجيم ـ ونصب الدال ـ أى بلغ الغط منى الجهد ، أى غاية وسعى فهو مفعول حذف فاعله .

وفى شرح المشكاة : أن المعنى على النصب ، أن جبريل بلغ فى الجهد غايته .

زملونى : ـ بكسر الميم ـ مع التكرار مرتين ، من التزميل وهو التلفيف . وقال ذلك لشدة ما لحقه من هول الامر ، والعادة جارية بسكون الرعدة بالتلفف .

حتى ذهب الروع : ـ بفتح الراء ـ أى الفزع .

ما يخزيك الله أبدا : ـ بضم المثناة التحتية الساكنة ـ من الخزى ، أى ما يفضحك الله .

تصل الرحم : القرابة .

الكل : ـ بفتح الكاف وتشديد اللام ـ وهو الذى لا يستقل بأمره ، أو الثقل ـ بكسر المثلثة واسكان القاف ـ .

وتكسب المعدوم : ـ بفتح المثناة الفوقية ـ أى تعطى الناس مالا يجدونه عند غيرك ، وكسب يتعدى بنفسه الى واحد ، نحو كسبت المال ، والى اثنين ، نحو كسبت غيرى المال ، وهذا منه .

وتقرى الضيف : ـ بفتح أوله بلا همز ثلاثيا ـ . قال الابى : وسمع بضمها رباعيا ، تهيء له طعامه ونزله .

وتعين على نوائب الحق : أى حوادثه ، وانما قالت : نوائب الحق : لانها تكون فى الحق والباطل .

قال لبيد :

نوائب من خير وشر كلاهما ∴ فلا الخير ممدود ولا الشر لازب (١)

الناموس : ـ بالنون والسين المهملة ـ هو صاحب السر ، كما عند المؤلف فى أحاديث الانبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأهل الكتاب يسمونه الناموس الاكبر .

مؤزرا : ـ بضم الميم وفتح الزاى المشددة ـ وآخره راء مهملة مهموزا ـ أى قويا بليغا ، وهو صفة لنصرا .

بوادره : ـ بفتح الموحدة ـ جمع بادرة ، وهى اللحمة التى بين المنكب والعنق ، تضطرب عند فزع الانسان (٢) .

---

(١) القسطلانى شرح صحيح البخارى ١/ ٦١ـ٦٣ .

(٢) هذه المعانى ملخصة من القسطلانى شرح صحيح البخارى ١/ ٦١ـ٦٣ .

" الرد على من ينكر الوحي بأدلة علمية "

اعلم أيها القارئ الكريم ، أن الذين لا يؤمنون بالغيب ، لا تكفيهم أدلة الكتاب والسنة ، لانهم لا يؤمنون الا بالمحسوسات ، والمادة ، وما أكثر هؤلاء اليوم ، فى شباب المسلمين ، ولكن الله سبحانه وتعالى حفظ هذا الدين ، وقيض له رجالا من هذه الامة يردون على المنكرين ، بالادلة النقلية والعقلية .

وها هو العالم المعاصر ، طيب الله ثراه ، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى فى كتابه " مناهل العرفان فى علوم القرآن " عند بحث الوحى ، يذكر أدلة يرى أنها ترد على من ينكر الوحى ونتركه هنا يتحدث حتى نلخص هذه الادلة .

يقول الزرقانى (١) : اعلم أن أعداء الوحى ، ومنكريه لا يؤمنون بالشرع ، وأدلة الشرع ، انما يؤمنون بالعقل على الطريقة التى يستسيغونها ، وبالعلم الذى تواضعوا عليه فى اصطلاحهم الحديث الذى هو (جملة المعارف اليقينية التى أنتجها دستور البحث الجديد فى الوجود ، وكانت ثمرته من جعل الشك أساسا للبحث والاستناد الى القاطع الذى يؤيده الحس دون سواه) . فهم يقدمون الشك ويمعنون

---

(١) مناهل العرفان /٥٦، ٥٧ فما بعدها ، طبعة دار احياء التراث العربى .

فيه ، ولا يعترفون بغير المحسوس ، ولا يعمهون بمجرد المعقولات ، فقد سجنوا أنفسهم فى سجن المادة ، وجلسوا كثيرا من الدهر ينكرون ما وراء المادة ، ويسرفون فى الشكوك الى أبعد الحدود ، ويستخفون بأمر الالهيات ، والنبوات ، والوحى ، الى مدى بعيد ، لم تصل اليه أظلم عهود الجاهلية ، الا أن العلم صدم هؤلاء الذين ينكرون ما وراء المادة صدمة عنيفة غيرت رأى هؤلاء فى انكار ماوراء المادة .

الادلة العلمية :

١) الدليل الاول : التنويم الصناعى ، أو التنويم المغناطيسى وهو من المقررات العلمية الثابتة التى أصبحت من المسلمات ، وقد كشف عن هذا العلم الدكتور " مسمر " الالمانى ، فى القرن الثامن عشر وجاهد هو وأتباعه مدى قرن كامل من الزمان فى سبيل اثباته وحمل العلماء على الاعتراف به ، وقد نجحوا فى ذلك فاعترف العلماء به علميا ، بعد أن اختبروا به الالاف المؤلفة من الخلق ، واطمأنوا الى تجاربه .

قال الزرقانى : وأنا أضع بين يديك هنا تجربة واحدة من تجارب التنويم تقرب اليك الوحى كل التقريب ، قال : وهذه التجربة رأيتها بعينى وسمعتها بأذنى بنادى جمعية الشبان المسلمين على مرأى ومسمع من جمهور مثقف كبير حضر ليشهد

ليشهد محاضرة مهمة فى التنويم المغناطيسى ، واثبات أنه يمكن أن يتخذ سلاحا مسموما لتغيير عقيدة الشخص ، ودينه ، كما تنبه الى ذلك بعض المبشرين ، اذ فتن بهذا العدوان الخبيث شابا من خيرة الشبان المسلمين حوالى سنة ١٣٥١ هـ فى حادثة مشهورة مروعة ، قام المحاضر وهو أستاذ فى التنويم المغناطيسى ، وأحضر الوسيط ، وهو فتى فيه استعداد خاص للتأثر بالاستاذ ، والاستاذ فيه استعداد خاص للتأثير على الوسيط ، فالاول ضعيف النفس ، والثانى قويها ، ونظر الاستاذ فى عين الوسيط نظرات عميقة نافذة ، وأجرى عليه حركات يسمونها سحبات ، فما هى الا لحظة حتى رأينا الوسيط يغط غطيط النائم ، وقد امتقع لونه ، وهمد جسمه ، وفقد احساسه المعتاد حتى لقد كان أحدنا يخزه ، بالابرة وخزات عدة ، ويخزه ثان ، وثالث ، فلا يبدى الوسيط حراكا ، ولا يظهر أى عرض لشعوره واحساسه بها ، وحينئذ تأكدنا أنه قد نام ، ذلك النوم الصناعى ، أو المغناطيسى ، وهنالك تسلط الاستاذ على الوسيط ، يسأله ما اسمك ؟ فأجابه باسمه الحقيقى ، فقال الاستاذ : ليس هذا هو اسمك انما اسمك كذا ، وافترى عليه أسماء اخر ، ثم أخذ يقرر فى نفس الوسيط ، هذا الاسم الجديد الكاذب ، ويمحو منه أثر الاسم القديم الصادق ، بواسطة أغاليط يلقنها اياه ، فى صورة الادلة ، وبكلام يوجهه اليه فى صفة الامر والنهى ، وهكذا أملى عليه هذه الاكذوبة املاء ، وفرضها عليه

فرضا حتى خضع الوسيط ، وأذعن ، ثم أخذ الاستاذ ، وأخذنا ننا ديه باسمه الحقيقى المرة ، بعد الاخرى ، فى فترات متقطعة ، وفى أثناء الحديث على حين غفلة ، كل ذلك ، وهو لا يجيب ، ثم نناديه كذلك باسمه ، المصنوع ، فيجيب دون تردد ، ولا تلعثم ، ثم أمر الاستاذ وسيطه أن يتذكر دائما أن هذا الاسم الجديد ، هو اسمه الصحيح ، حتى الى ما بعد نصف ساعة من صحوه ، ويقظته ثم أيقظه ، وأخذ يتم محاضرته ، ونحن نفجأ الوسيط بالاسم الحقيقى ، فلا يجيب ، ثم نناديه باسمه الثانى ، فيجيب حتى اذا مضى نصف الساعة المضروب ، عاد الوسيط الى حاله الاولى من العلم باسمه الحقيقى ، وبهذه التجربة أثبت الاستاذ أن المنوم - بكسر الواو - يستطيع أن يمحو من نفس وسيطه كل أثر يريد محوه ، مهما كان ثابتا فى النفس كاسم الانسان عينه ، ومهما كان مغروسا فيها كعقائد الدين (١) .

٢) الدليل الثانى : أن العلم الحديث استطاع أن يخترج من العجائب ما نعرفه ونشاهده ، وننتفع به مما يسمونه التليفون ، واللاسلكى ، والميكرفون ، والراديو ، وعن طريقه أمكن الانسان أن يخاطب غيره من آفاق بعيدة ، وأن يفهمه ما شاء ، ويرشده ،

---

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن ٥٧/١ فما بعدها .

الى ما أراد ، فهل يعقل بعد قيام هذه المخترعات المادية ، أن يعجز الاله القادر عن أن يوحى الى بعض عباده ما شاء عن طريق الملك ، أو غير الملك ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

٣) الدليل الثالث : أستطاع العلم أن يملأ بعض اسطوانات من الجماد بأصوات ، وأنغام ، وبقرآن ، وأغانى ، وكلام على وجه يجعلها حاكية له بدقة ، واتقان ، وبين أيدينا من ذلك شئ كثير ، لا سبيل الى انكاره ، يسمونه (بالفوتغراف) .

قال الزرقانى : أبعد هذه المخترعات القائمة يستبعد على القادر تعالى بواسطة ملك ، ومن غير واسطة ، أن يملأ بعض نفوس بشرية صافية ، من خواص عباده ، بكلام مقدس ، يهدى خلقه ، ويظهر به حقه على وجه يجعل ذلك الكلام منتقشا فى قلب رسوله حتى يحكيه بدقة واتقان كذلك .

٤) الدليل الرابع : أننا نشاهد بعض الحيوانات الدنيا تأتى بعجائب الانظمة ، والاعمال ، مما نجهل معه أن يكون ذلك صادرا عن تفكير لها أو غريزة ، ساذجة فيها ، ومما يجعلنا نوقن بأنها لم تصدر فى ذلك الا عن ارادة عليا توحى اليها ، وتلهمها تلك العجائب ، والغرائب من الصناعات ، والاعمال ، والدقة والاحكام .

قال : واذا صح هذا فى عالم الحيوان ، فهو أولى أن يصح فى عالم الانسان ، حيث استعداده للاتصال بالافق الاعلى يكون أقوى ، وأخذه عنه يكون أتم ، ومن ذلك يكون بطريق الوحى ، وهناك أمثلة لتلك الحيوانات فى الهاماتها العلوية ، فدونك النمل ، والنحل ، وما تأتيان من ضروب الاعمال ، ودقة النظام .

وهناك حيوان غريب قال عنه الاستاذ " سلين " المدرس بجامعة السربون بفرنسا ما ترجمته : " ان الحيوانات المسماة كلوب تعيش منفردة ، وتموت بعد أن تبيض مباشرة ، وتخرج صغارها على حالة ديدان لا أرجل لها ، ولا تستطيع حماية نفسها من أية عادية ، كما لا تستطيع الحصول على غذائها ، ومع ذلك فحياتها تقتضى أن تعيش مدة سنة فى مسكن مقفل ، وفى هدوء تام ، والا هلكت ، فترى الام متى حان وقت بيضها تعمد الى قطعة من الخشب ، فتحفر فيها سردابا طويلا ، فاذا أتمته أخذت فى جلب ذخيرة اليه ، تكفى صغيرا واحدا مدة سنة ، تلك الذخيرة هى طلع الازهار ، وبعض الاوراق السكرية ، فتحشو بها قاع السرداب ، ثم تضع عليه بيضة واحدة ، ثم تأتى بنشارة الخشب ، وتكون منها عجينة تجعلها سقفا على تلك البيضة ، ثم تأتى بذخيرة أخرى فتضعها فوق ذلك السقف ، ثم تضع بيضة أخرى ، وهلم جرا حتى يفرغ بيضها ثم تترك الكل وتموت " (١) .

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٦٢ فما بعدها .

الى أن قال : فمن ذا الذى علم هذه الحشرة الضعيفة الساذجة تلك الصناعة المحصورة للعقل ، ومن أفهمها وهى تموت بعد أن تبيض مباشرة أن صغارها التى ستولد فى حاجة الى البقاء سنة فى حالة ضعف وعجز ، ومن الذى غرس فى قلبها هذه العناية بنوعها حتى كلفتها كل هذه المشقة ، فى وضع بويضاتها ، لا ريب أن قيوم الوجود يوحى الكائنات علما بما يقيمها وبما يصلحها من غير طريق الحواس التى لا تستطيع أن تكتسبه ، ومن العبث وضلال الرأى أن يثبت الباحث الطبيعى الا ما تبعثه القدرة ، الالهية الى أحقر الحشرات ثم ينفيه عن النوع البشرى ، وهو أشد ما يكون حاجة الى هذا الوحى والالهام فى حياته الفردية والاجتماعية .

٥) الدليل الخامس : العبقرية ، ويعرفها أفلاطون بأنها حال الهية مولدة للالهامات العلوية للبشر ، ويقرر الفلاسفة أنها حال علوية لا شأن للعقل فيها .

ويقول الطبيعيون : انها هبة من الطبيعة نفسها لا تحصلها دراسة ولا يوجدها تفكير (١).

* * *

---

(١) مناهل العرفان ١/٦٢ فما بعدها .

" أمثلة للعبقرية والعباقرة "

١) قال الاستاذ : (ميرى) الانجليزى ، مدرس علم النفس بجامعة "كامبردج " فى كتاب كبير له أسماه " الشخصية الانسانية " ما ترجمته :

كان للمستر بيدلر خاصة ، تكاد تلتحق بالمعجزات ، فانه كان يعين على البديهة العوامل التى اذا ضرب بعضها فى بعض ، انتجت عددا من سبعة ، أو ثمانية أرقام ، فاذا سئل مثلا ما هما العددان اللذان اذا ضرب أحدهما فى الاخر نتج العدد (١٧٨٦١) أجابك على الفور بأنهما (٣٣٧ و ٥٣) وهو يقول : انه لا يدرى على أية حال يأتى بهذا الجواب ، فكانت الاجابة عنده كأنها غريزة طبيعية .

٢) ونقل عن الشاعر الكبير " سوللى برودوم " الفرنسى أنه قال : (حدث لى فى بعض الاحيان أنى كنت أجد فجأة برهان نظرية هندسية ألقيت الى منذ سنة ، وذلك بدون أن ألق اليها أقل التفات) .

٣) وذكر المسيو " رينه " الشاعر الفرنسى : أنه ينام غالبا وهو يعمل قطعة من الشعر لم تتم ، ثم يستيقظ فيجدها تامة .

قال الزرقانى : وهذه الامثلة التى سقناها تثبت وجود اتصالات روحانية باطنة فى بعض الافراد ، تمد الانسان بعلم وهداية من طريق غير معتاد ، وذلك يقرب الوحى أيما تقريب ، فى وقت اشتد شك الناس فيه حتى كذبوا بالالهيات والنبوات ، وسخروا بالاديان ، والشرائع ، مع أنها أعظم عوامل التحول الاجتماعى ، والفكرى فى الانسان ، وأكبر الاحداث التى غيرت العالم ، وحولت مجرى التاريخ (١) .

* * *

(١) مناهل العرفان المجلد ١/ ٦٢ فما بعدها ، دار احياء التراث العربى .

" المعنى الاجمالي للايات "

من قوله : " والنجم "

الى قوله : " وهو بالافق الاعلى "

أقسم سبحانه وتعالى في هذه الايات " بالنجم " على اختلاف في المراد به هنا ، والله سبحانه وتعالى له أن يقسم من خلقه بما شاء ، بخلاف المخلوق ، فلا يجوز له أن يحلف ، الا بالخالق ، وخصص سبحانه القسم به في حال هويه الذي هو تغيره ، ليلفت النظر الى أن كل شيء يمكن تغيره ، ولا يثبت ، لا يستحق أن يكون معبودا .

ولهذا قال الخليل : " لا أحب الآفلين "(١) . ثم بين بعد القسم المقسم عليه ، وهو ثلاثة أمور :

الاول منها : أن نبينا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما ضل ، بل هو راشد ، تابع للحق ، سالك سبيله .

الثاني : أنه ، أي الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس بغاو ، حاشا وكلا ، بل منذ أن عرف الحق لم يعدل عنه قط ، وهو مؤيد بحفظ الله وتوفيقه .

---

(١) سورة الانعام الاية : ٧٦ .

الثالث : من المقسم عليه أنه - صلى الله عليه وسلم - لا ينطق عن هوى نفسه ، بل انما يتكلم بالوحى ، حسب أمر الله له ، ثم أكد سبحانه وتعالى أن هذا الوحى الذى هو القرآن علمه له شديد القوى ، الذى هو جبريل - عليه السلام - ، فوصف جبريل بقوة الجسم ، وحصافة العقل والرأى ، ثم أخبر فى هذه الايات أن جبريل استوى ، بمعنى ارتفع حالة كونه بالافق الاعلى ، وكان هذا بعد أن رآه الرسول - صلى الله عليه وسلم - على حالته التى خلقه الله تعالى عليها ، له ستمائة جناح ، سادا الافق (١) .

فأكثر المفسرين ، بل الجمهور من العلماء على أنه - صلى الله عليه وسلم - لم ير جبريل - عليه السلام - على صورته التى خلق عليها ، الا مرتين ، مرة رآه بجياد سادا الافق ، وهذه المرة التى رآه فيها فى الارض ، والمرة الثانية التى رآه فيها على صورته تلك المرة التى رآه فيها ليلة الاسراء والمعراج عند سدرة المنتهى كما قال تعالى فى هذه السورة ، كما سيأتى .

" ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى " .

* * *

---

(١) الترمذى مع شرحه تحفة الاحوذى ٩/١٦٥ .

قال تعالى : " ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى " .

==================================

" التفسير التفصيلي للآيات "

قوله تعالى : " ثم دنا " أى دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض . " فتدلى " أى نزل جبريل بالوحى .

والمعنى : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما رأى من عظمة جبريل ما رأى ، وهاله أمره من أجل صورته العظيمة التى خلقه الله عليها ، رد الله جبريل الى صورة آدمى فى حال قربه من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالوحى ، وذلك قوله تعالى : " فأوحى الى عبده ما أوحى " . يعنى أوحى الله الى جبريل ، وكان جبريل قاب قوسين أو أدنى . قال هذا الرأى ابن عباس والحسن وقتادة والربيع (١) .

وقيل : ان فى الكلام تقديما وتأخيرا ، والتقدير : ثم تدلى فدنا قاله ابن الانبار وغيره (٢) . لأن التدلى سبب الدنو ، وأصل التدلى النزول الى الشئ حتى يقرب منه فوضع موضع القرب .

---

(١) ملخصا من القرطبى ٨٨/١٧ .

(٢) فتح البيان ١٦١/٩ ، والقرطبى ٨٩/١٧ .

ومنه قول لبيد :

فتدليت عليه قافلا ∴ وعلى الارض غيابات الطفل (١)

وقال الزجاج : معنى" دنا فتدلى" ، واحد لا فرق بينهما ، بمعنى قرب ، وزاد في القرب ، كما تقول : دنا مني فلان ، وقرب ، ولو قلت: قرب مني ودنا جاز ، وقد ذهب الفراء الى أن الفاء في قوله " فتدلى " بمعنى الواو ، ويكون التقدير ، ثم تدلى جبريل عليه السلام ودنا .

قال القرطبي (٢) : وذلك مشروط بأن يكون الفعلان بمعنى واحد ، أو كالواحد ، فحينئذ يجوز أن تقدم أيهما شئت ، فتقول : مثلا ، فدنا فقرب ، وقرب فدنا ، وشتمني فأساء ، وأساء فشتمني ، لان الشتم والاساءة شيء واحد .

والجمهور على أن الذي " دنا فتدلى " هو جبريل عليه السلام ، نزل من السماء فدنا من محمد -صلى الله عليه وسلم- .

وقال ابن عباس : تدلى الرفرف لمحمد -صلى الله عليه وسلم- ليلة المعراج فجلس عليه ، ثم رفع فدنا من ربه .

---

(١) الطفل : الشمس آخر النهار ، ومنه قول الطغرائي :

مجدى أخيرا ومجدى أولا شرع ∴ والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

القاموس ٤/٧ الطبعة الثانية ، الحلبي وأولاده .

وقال في المختار : انه المطر ٣٩٤/١ .

(٢) القرطبي ٨٩/١٧ ، ابن جرير الطبري ٢٦/٢٧ .

ويقول الضحاك : ان من قال : استوى جبريل ، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالافق الاعلى ، قد يقول : دنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ربه دنو كرامة ، وتكون تدلى بمعنى هوى للسجود .

أما من قال : " تدلى " بمعنى تدلل ، كما تقول : تظنى بمعنى تظنن ، فقد أغرب ، وقوله بعيد لكون الدلال غير مرضى فى العبودية (١) .

وقال صاحب الكشاف: " فتدلى " فتعلق عليه فى الهواء ، ومنه تدلت الثمرة ، ودلى رجليه من السرير ، قال: والدوالى الثمر المعلق ، ويقال : هو مثل القرلى ، ان رأى خيرا تدلى ، وان لم يره تولى (٢) .

قال فى تحفة الاحوذى (٣) : نقلا عن ابن القيم : أما قوله تعالى فى سورة النجم : " ثم دنا فتدلى " فهو غير الدنو والتدلى فى قصة الاسراء، فان الدنو فى سورة " النجم " هو دنو جبريل وتدليه ، كما قالت عائشة وابن مسعود ، والسياق يدل عليه فانه قال : " علمه شديد القوى " وهو جبريل ، " ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى " فالضمائر كلها راجعة الى هذا المعلم الشديد القوى ، وهو ذو المرة

---

(١) القرطبى المصدر السابق ٨٩/١٧ ، ولباب التأويل فى معانى التنزيل الخازن مع حاشيته النسفى ١٩١/٤ ، وفتح البيان ١٦١/٩ .

(٢) الكشاف فى تفسيره ٢٨/٤ .

(٣) تحفة الاحوذى ١٦٦/٩ .

أى القوه ، وهو الذى استوى بالافق الاعلى ، وهو الذى دنا فتدلى فكان من محمد -صلى الله عليه وسلم- قدر قوسين أو أدنى .

فأما الدنو والتدلى الذى فى حديث الاسراء ، فذلك صريح فى أنه دنو الرب تبارك وتعالى وتدليه ، ولا تعرض فى سورة النجم لذلك ، بل فيها انه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، وهذا هو جبريل رآه محمد -صلى الله عليه وسلم- على صورته مرتين ، مرة فى الارض ومرة عند سدرة المنتهى (١) .

قال فى زاد المسير : فى المشار اليه بقوله : "ثم دنا" ثلاثة أقوال :

١) أصحها أنه جبريل دنا من محمد -صلى الله عليه وسلم- كما تقدم .

٢) والثانى دنو محمد -صلى الله عليه وسلم- من ربه . قاله ابن عباس والقرطبى .

٣) والثالث : أنه الله عز وجل ، فقد روى البخارى ومسلم فى الصحيحين (٢) من حديث شريك بن أبى نمر عن أنس بن مالك قال : دنا الجبار رب العزة ، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى .

---

(١) تحفة الاحوذى ١٦٦/٩ .

(٢) البخارى ٣٩٩/١٣ ، ومسلم ١٤٨/١ .

قال المعلق على زاد المسير ، وذكر مسلم (١) قطعة منه أى من حديث شريك ، ثم قال : فقدم ، وأخر ، وزاد ، ونقص ، وقد جاء فى رواية شريك فى هذا الحديث أوهام أنكرها عليه الحفاظ ، وغلطوه فيها منها ما نقله ابن كثير عن الحافظ أبى بكر البيهقى أنه قال : فى حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى الله عز وجل ، يعنى قوله : " ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى " .

قال البيهقى : وقول عائشة وابن مسعود وأبى هريرة ، فى حملهم هذه الايات على رؤيته جبريل أصح .

قال الحافظ ابن كثير : وهذا الذى قاله البيهقى ـ رحمه الله ـ فى هذه المسألة هو الحق ، فان أبا ذر قال : يا رسول الله ! هل رأيت ربك ؟ قال : نور أنى أراه .

وفى رواية : رأيت نورا . أخرجه مسلم ، قال وقوله : " ثم دنا فتدلى " .

كما ثبت ذلك فى الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين وعن ابن مسعود كما هو فى صحيح مسلم عن أبى هريرة ، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة فى تفسير

---

(١) مسلم ١٤٨/١ .

هذه الاية بهذا ، قال : وهذا القول هو الصواب ، وما عداه من الاقوال لا يصح (١).

قال الحافظ عبد الحق فى كتابه (الجمع بين الصحيحين) : بعد ذكر حديث أنس من رواية شريك ، وقد زاد فيه زيادة مجهولة ، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة ، مخالفة للحفاظ ، كابن شهاب ، وثابت البنانى ، وقتادة ، وفى رواية شريك قدم وأخر وزاد ، ونقص ، فيحتمل أن هذا اللفظ من زيادة شريك فى الحديث (٢) .

وقوله تعالى : " فكان قاب قوسين أو أدنى " يعنى : فكان جبريل من محمد - صلى الله عليه وسلم - على قدر قوسين ، أو أدنى من ذلك ، يعنى أو أقرب منه . يقال : هو منه قاب قوسين ، وقيب قوسين ، وقيد قوسين ، وقاد قوسين ، وقدى قوسين ، كل ذلك بمعنى قدر قوسين ، وقيل : ان معنى قوله : " فكان قاب قوسين " أنه كان منه حيث الوتر من القوس (٣) .

---

(١) زاد المسير فى علم التفسير المعلق ٩/ ٦٥ - ٦٦ ،
صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ٢١٠ ،
وصحيح البخارى شرح فتح البارى ١٣/ ٤٠٢ .
(٢) بواسطة تفسير الخازن ٦/ ٢١٤ .
(٣) تفسير ابن جرير ٢٧/ ٢٦-٢٧ ، صحيح البخارى شرح فتح البارى ١٠/ ٢٢٧.

قال الزمخشرى [1] : فان قلت : كيف تقدير قوله : " فكان قوسين "
قلت : تقديره : فكان مقدار مسافة قربه ، مثل قاب قوسين ،فحذفت
هذه المضافات ، كما قال أبو على فى قوله :

وقد جعلتنى من خزيمة اصبعا ∴ أى ذا مسافة مقدار اصبع

وقد جاء التقدير بالقوس ، والرمح ، والسوط ، والذراع ،والباع
والخطوة ، والشبر ، والاصبع [2] .

قال أبو عبيدة : القاب القدر .

وقال ابن فارس : القاب : القدر أيضا .

ويقال : بل القاب ما بين المقبض ، والسية .

قال فى مختار الصحاح [3] : ولكل قوس قابان .

قال : وقيل فى قوله تعالى : " فكان قاب قوسين " أراد قابى قوس فقلبه .

قال ابن قتيبة : سية القوس ، ما عطف من طرفيها [4] .

وقال بعضهم : أراد قابى قوس فقلبه .

---

(١) الكشاف ٤/٢٨ .
(٢) فتح البيان ٩/١٦١ .
(٣) مختار الصحاح ١/٥٥٥ .
(٤) زاد المسير فى علم التفسير ٨/٨٧ .

وفى الحديث الصحيح [١] : (ولقاب قوس أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما فيها) .

قال القرطبى [٢] : وانما ضرب المثل بالقوس لانها لا تختلف فى القاب .

وقال سعيد بن المسيب : القاب : صدر القوس العربية حيث يشد عليه السير الذى يتنكبه صاحبه ، ولكل قوس قاب واحد ، فأخبر أن جبريل قرب من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كقرب قاب قوسين .

قال الزجاج : أى فيما تقدرون أنتم ، والله سبحانه وتعالى عالم بمقادير الاشياء ، ولكنه يخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة فيما بيننا [٣] .

وقال سعيد بن جبير ، وعطاء ، وأبو اسحاق الهمدانى ، وأبو وائل شقيق ابن سلمة ، المعنى : فكان قدر ذراعين ، لان القوس هى الذراع وهى يقاس بها كل شىء ، وهى لغة بعض الحجازيين [٤] .

---

(١) البخارى فى باب الجهاد ، بدء الخلق فضائل الجهاد ، وأحمد فى المسند ٢/٤٨٢ ـ ٤٨٣ .

(٢) فتح البارى ١٠/٢٣٢ .

(٣) فتح البيان ٩/١٦١ ـ ١٦٢ .

(٤) فتح البيان ٩/١٦١ ـ ١٦٢ .

وقال الكسائى : قوله تعالى : "فكان قاب قوسين أو أدنى" أراد قوسا واحدا كقول الشاعر :

ومهمهين قذفين مرتين ⁂ قطعته بالسمت لا بالسمتين (١)

حيث أراد مهمها واحدا ، واعلم أن القوس تذكر وتؤنث ، فمن ذكر قال فى تصغيرها : قويس ، وفى المثل هو من خير قويس سهما ، ومن أنث قال فى التصغير : قويسة ، وتجمع على قسى ، وقسى ، وأقواس ، وقياس . قال الشاعر :

ووتر الاساور القياسا

يعنى الاقواس . والقوس أيضا بقية التمر فى الوعاء ، ويطلق القوس على أحد أبراج السماء الاثنى عشر ، وهى مجموعة فى قول الناظم :

الحمل والثور كذا الجوزاء وسر ⁂ طان تلى الاسد سنبل تسر
لهم وميزان وعقرب وقو ⁂ س جدى دلو حوت للشمس لقوا

فأما القوس ـ بالضم ـ فهى صومعة الراهب التى ينتسك فيها (٢) .

---

(١) السمت : الطريق ، ومعناه قطعته على طريق واحد ، مختار الصحاح ٣١٣/١ ، التعليق على القرطبى ٩١/١٧ .

(٢) القاموس ٢٥٢/٢ .

قال جرير : وذكر امرأة :

لا وصل اذا صرفت هند ولو وقفت ∴ لاستفتنتني وذا المسحين فى القوس (١)

وقد أخرج البخارى وغيره (٢) عن ابن مسعود فى هذه الاية

قال : رأى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبريل له ستمائة جناح .

قال البخارى : حدثنا طلق بن غنام ، حدثنا زائدة ، عن الشيبانى

قال : سألت زرا عن قوله تعالى : "فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى

عبده ما أوحى " . قال : أخبرنا عبد الله أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ

رأى جبريل له ستمائة جناح .

وقال الترمذى (٣) : حدثنا أحمد بن منيع ، أخبرنا عباد بن العوام

أخبرنا الشيبانى قال : سألت زر بن حبش عن قوله عز وجل : "فكان قاب

قوسين أو أدنى " فقال : أخبرنى ابن مسعود أن النبى ـ صلى الله

عليه وسلم ـ رأى جبرائيل وله ستمائة جناح ، هذا حديث حسن صحيح .

قال أحمد : فى كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال قوله :

(فكان قاب قوسين ..الخ) فيه كناية عن المعاهدة على لزوم الطاعة ، لان

الحليفين فى عرف العرب اذا تحالفا على الوفاء والصفاء ، ألصقا وتر قوسيهما (٤) .

---

(١) القرطبى ١٧/ ٩١ .

(٢) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ١٠/ ٢٣٤ ، وأخرجه النسائى بزيادة يتناثر من ريشه التهاويل من الدر والياقوت .

(٣) جامع الترمذى شرح تحفة الاحوذى ٩/ ١٦٥ .

(٤) الانتصاف ٤/ ٢٨ .

وهذا يحصل بالسلاح الحديث الان ، ذكره فى الترتيب والبيان عن تفصيل آى القرآن (١) .

وقوله " أو أدنى : فيه قولان : أن (أو) بمعنى : بل ، وهرى هذا القول مقاتل ، فقد نقله عنه صاحب زاد المسير فى علم التفسير (٢) .
وقيل (أو) بمعنى : الواو ، كقوله تعالى : " وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون " (٣) .

وهذا الذى رجحه صاحب فتح البيان (٤) حيث قال : لان المعنى فكان بأحد هذين المقدارين فى رأى الرائى ، أى لتقارب ما بينهما يشك الرائى فى ذلك ، هذا وأدنى أفعل تفضيل ، والمفضل عليه محذوف أى أو أدنى من قاب قوسين ، أو أدنى من ذلك (٥) . وقد روى : لما رأى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبريل عليه السلام على صورة الادمى ، سأله عند الافق الاعلى أن يراه على صورته التى خلق عليها فأراه ، فرآه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان بحراء قد سد الافق الى المغرب فخر مغشيا عليه ، فدنا منه قربا زائدا وضمه الى نفسه حتى أفاق ، وسكن روعه وجعل يمسح التراب عن وجهه (٦) .

---

(١) الترتيب والبيان عن تفصيل آى القرآن ١/٣٣٧ .
(٢) زاد المسير فى علم التفسير ٨/٦٧ .
(٣) سورة الذبح ـ الصافات ـ الاية : ١٤٧ .
(٤) فتح البيان ٩/١٦٢ .
(٥) الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ٤/٢٢٥ .
(٦) ابن جرير الطبرى فى تفسيره ٢٧/٢٩ .

قوله تعالى : " فأوحى الى عبده ما أوحى " . أى فأوحى الله الى عبده محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أوحى . وقال بهذا ابن عباس (١) .

وقيل : أوحى الله الى عبده جبريل . وقيل : أوحى جبريل الى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتعليم من الله ، لا من عند نفسه . وقال بهذا القول الربيع ، والحسن وابن زيد وقتادة (٢) .

والوحى فى اللغة : القاء الشىء بسرعة ، ومنه الوحاء الوحاء ـ يمد ويقصر ـ أى البدار البدار (٣) .

وقد تقدم معناه فى الكلام على الوحى فى هذه الرسالة " ما أوحى " فيه ابهام على جهة التعظيم والتفخيم للوحى الذى أوحى اليه .

قال فى البحر المحيط (٤) : والذى عرف من ذلك فرض الصلوات .

قال القرطبى (٥) : أهذا الوحى مبهم لا يعرف ، وانما تعبدنا بالايمان به فقط على سبيل الاجمال ، أو هو معلوم مفسر ؟ .

وبالثانى قال سعيد بن جبير . قال : أوحى اليه : ألم أجدك يتيما فآويتك . ألم أجدك ضالا فهديتك ، ألم أجدك عائلا فأغنيتك ، ألم نشرح لك صدرك .. الخ .

---

(١) البحر المحيط ١٥٨/٨ .
(٢) فتح البيان ١٦٢/٩ .
(٣) القرطبى ٩١/١٧ .
(٤) البحر المحيط ١٥٨/٨ .
(٥) القرطبى ٩١/١٧ـ٩٢ .

وقال الزمخشري : أوحى اليه أن الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها ، وعلى الامم حتى تدخلها أمتك ، وقيل : ان ما في قوله تعالى : " ما أوحى " للعموم ، وليست للابهام ، والمراد كل ما أوحى به اليه وهو جميع أحكام الشريعة (١) .

قال في فتح البيان (٢) : والحمل على الابهام أولى لما فيه من التعظيم ، أقول وبالله أستعين ، الاولى عندي أن نترك الكلام على عمومه ، ليشمل كل ما يوحى به الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خصوصا ، وأنا لم نر شيئا مرفوعا في ذلك الى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما أوحى به ، والذي أراه في تأويل " فأوحى الى عبده " هو ما قاله ابن جرير في تفسيره حيث قال : وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب قول من قال : معنى ذلك فأوحى جبريل الى عبده محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أوحى اليه ربه ، لان افتتاح الكلام جرى في أول السورة بالخبر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، وعن جبريل ـ عليه السلام ـ ، وقوله فأوحى الى عبده ما أوحى في سياق ذلك ، ولم يأت ما يدل على انصراف الخبر عنهما ، فيوجه ذلك الى ما صرف اليه .

---

(١) الفتوحات الالهية ٤/٢٢٥ .

(٢) فتح البيان ٩/١٦٣ .

قال فى صحيح البخارى [1] : حدثنا طلق بن غنام ، حدثنا زائدة عن الشيبانى قال : سألت زرا عن قوله تعالى : " فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى " . قال : أخبرنا عبد الله أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى جبريل له ستمائة جناح . قوله تعالى : " ما كذب الفؤاد ما رأى " يقول تعالى ذكره : ما كذب فؤاد محمد محمدا الذى رأى ولكنه صدقه ، وقد اختلف فى الذى رآه فؤاده فلم يكذبه ، فقال بعضهم الذى رأى فؤاده هو رب العالمين ، قالوا جعل بصره فى فؤاده ، فرآه بفؤاده ، ولم يره بعينه .

روى عن ابن عباس وعكرمة [2] . وقال آخرون : بل الذى رآه فؤاده فلم يكذبه جبريل ـ عليه السلام ـ روى عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله " ما كذب الفؤاد ما رأى " قال : رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والارض وعن عاصم عن زر عن عبد الله أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : رأيت جبريل عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح ، ينفض من ريشه التهاويل والدر والياقوت [3] .

---

(١) صحيح البخارى شرح فتح البارى ١٠/٢٣٤ .

(٢) تفسير ابن جرير ٢٧/٢٨ .

(٣) ابن جرير فى تفسيره ٢٧/٢٩ .

زاد المسير فى علم التفسير ٨/٦٨ .

" القـــراءة "

قد اختلف القراء فى قراءة : " ما كـذب الفـؤاد ما رأى " .

١) قـرأ عـامة القـراء من أهـل المدينة ، ومكـة ، والبصرة ، "كـذب" ـ بالتخفيف ـ أى تخفيف الـذال ـ ويكون المعنى على قراءة التخفيـف ما أوهـمه فؤاده أنه رأى ، ولم يـر ، بل صـدق الفؤاد رؤيته .

٢) وقـرأ أبو جعفـر القـارئ وهشـام عن ابن عامـر ، وأبان عن عاصـم ، والحسـن البصرى ، "كذب" ـ بالتشديد ـ ، وعليه يكون المعنى : أن الفـؤاد لم يكذب ، ولم ينكـر الذى رأى ، بـل جعلـه حقـــا وصدقـا .

ويـرى ابن جـرير : أن أولـى القراءتيـن هـى ـ التخفيـف ـ معـللا ذلك بأنه اجمـاع الحجـة من القـراء عليـه (١) .

وقد قـال الترمذى : فى تأويـل هـذه الاية : حدثنا عبـد ابن حميد ، أخبرنا عبـد الرزاق ، وابن أبى رزمـة ، وأبـو نعيـم عن اسـرائيل عن سمـاك بن حـرب عـن ابن عبـاس قال : رآه بقلبـه . هـذا حديث حسـن .

---

(١) تفسـير ابن جـرير ٢٧/٢٩ .

وقال : حدثنا عبد بن حميد ، أخبرنا عبد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله " ما كذب الفؤاد ما رأى " قال : رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبرائيل في حلة من رفرف (١) قد ملأ ما بين السماء والارض ، هذا حديث حسن صحيح .

قال في تحفة الاحوذى : وهذه الرؤية الاولى ، وكانت في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ أول مرة ، فأوحى الله اليه صدر سورة " اقرأ " ثم فتر الوحي فترة ، ذهب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها مرارا ، ليتردى من رؤوس الجبال ، فكلما هم بذلك ناداه جبريل من الهواء ، يا محمد أنت رسول الله حقا ، وأنا جبريل ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقر عينه ، وكلما طال عليه الامر ، عاد لمثلها ، حتى تبدى له جبريل ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالابطح في صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ، قد سد عظم خلقه الافق ، فاقترب منه ، وأوحى اليه عن الله ما أمره به (٢) .

---

(١) رفرف : أي ديباج رقيق حسنت صنعته ، جمعه : رفارف ، أو هو جمع رفرفه . تحفة الاحوذى ٩/١٧١ .

(٢) تحفة الاحوذى ٩/١٧١ .

وما فى قوله " ما رأى " اما موصولة ، أو مصدرية ، فى محل نصب بكذب مخففا ومشددا (١) .

قال سليمان الجمل : وحاصل المسألة أن الصحيح ثبوت الرؤية وهو ما جرى عليه ابن عباس حبر الامة ، وهو الذى يرجع اليه فى المعضلات ، وقد راجعه ابن عمر فأخبره بأنه رآه . قال : ولا يقدح فى ذلك حديث عائشة (٢) عن مسروق قال : قلت لعائشة : يا أماه هل رأى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه ؟ فقالت : لقد قف شعرى مما قلت . أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب ، من حدثك أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت :

" لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير " (٣) .

" وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب " (٤) .

ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد ، فقد كذب ثم قرأت : " وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت " (٥) . ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ، ثم قرأت : " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس " (٦) . ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين (٧) .

---

(١) فتح القدير ١٠٦/٥ ، فتح البيان ١٦٥/٩ .
(٢) مسلم ، الترمذى ١٦٨/٩ .
(٣) سورة الانعام الاية : ١٠٣ .
(٤) سورة الشورى الاية : ٥١ .
(٥) سورة لقمان الاية : ٣٤ .
(٦) سورة المائدة الاية : ٦٧ .
(٧) الترمذى ، تحفة الاحوذى ١٦٧/٩ ، ١٦٨ .

أقول : ومعنى (قف له شعرى) أى قام من الفزع لما حصل عندها من عظمة الله وهيبته ، واعتقدته من تنزيهه ، واستحالة وقوع ذلك .

قال النضر بن شميل : القف ـ بفتح القاف وتشديد الفاء ـ كالقشعريرة ، وأصله التقبض والاجتماع ، لان الجلد ينقبض عند الفزع فيقوم الشعر .

قال سليمان الجمل (١) : فعائشة لم تخبر أنها سمعت من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : لم أر ، وانما اعتمدت على الاستنباط ، وسأفرد للرؤية ببحث خاص ـ ان شاء الله ـ ولهذا لا أطيل فيها هنا .

* * *

---

(١) الفتوحات الالهية ٤/٢٢٦ .

قوله تعالى : " أفتمارونه على ما يرى "

==================================

" القراءة "

١) قرأ أهل الكوفة : حمزة والكسائى : " أفتمرونه " ـ بفتح التاء من غير ألف ـ على معنى : أفتجحدونه . واختار هذا القول أبو عبيد قائلا : لم يماروه ، وانما جحدوه . قال : ويقال مراه حقه ، أى جحده ، ومنه قول القائل :

لئن هجرت أخا صدق ومكرمة .·. لقد مريت أخا ما كان يمريكا

أى جحدته .

وقال المبرد : يقال مراه عن حقه ، وعلى حقه ، اذا منعه منه ودفعه عنه ، قال : ومثل على بمعنى عن قول بنى كعب ابن ربيعة : رضى الله عليك ، أى رضى عنك .

٢) وقرأ الاعرج ومجاهد : " أفتمرونه " ـ بضم التاء من غير ألف ـ من أمريت ، أى تريبونه ، وتشككونه(١) .

٣) وقرأ الباقون ، عامة قراء المدينة ، ومكة ، والبصرة ، وبعض الكوفيين : " أفتمارونه " ـ بألف ـ أى تجادلونه ، وتدافعونه فى أنه رأى الله ،

---

(١) قال فى البحر المحيط ، قال أبو حاتم وهو غلط ١٥٩/٨ .

والمعنيان متداخلان ، أى معنى القراءة الاولى ، وهذه الثالثة ، لان مجادلتهم جحود ، وقيل الجحود كان دائما منهم ، وهذا نوع من الجدال جديد ، حيث قالوا : صف لنا بيت المقدس ، ونريد خبر عيرنا التى فى طريق الشام[1] .

قال فى تفسير ابن جرير[2] : أما قراءة " أفتمرونه " ـ بفتح التاء ـ ، وقراءة " أفتمارونه " ـ بالمد ـ ، فالصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، وذلك أن المشركين قد جحدوا أن يكون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى ما أراه الله ليلة أسرى به ، وجادلوا فى ذلك ، فبأيتهما قرأ القارىء فقد أصاب ، وتأويل الكلام أفتجادلون أيها المشركون محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ما يرى مما أراه الله من آياته .

قال أبو حيان[3] : عدى بعلى لما فى الجدال من المغالبة على قراءة الجمهور ، وعدى بعلى على معنى التضمين ، فى قراءة حمزة والكسائى ، قال : وقد جىء بصيغة المضارع ـ يرى ـ وان كانت الرؤية قد مضت اشارة الى ما يمكن حدوثه بعد .

---

(١) ابن جرير الطبرى ٢٧/٢٩ـ٣٠ ، القرطبى ١٧/٩٣ ، معالم التنزيل / تفسير البغوى مع تفسير الخازن ٤/٢٥٨ ، زاد المسير فى علم التفسير ٨/٦٨ .

(٢) تفسير ابن جرير ٢٧/٣٠ .

(٣) البحر المحيط ٨/١٥٩ .

وقال فى فتح البيان (١) : أتى بصيغة المضارع استحضارا للحالة البعيدة فى ذهن المخاطبين .

قال صاحب الفتوحات الالهية (٢) : وأما " أفتمرونه " ـ بفتح التاء ـ فهى من مراه على كذا ، أى غلبه عليه ، وقيل من مريته .

وأما " أفتمارونه " ـ بالمد ـ فهى من ماراه يماريه مراء ، أى جادله واشتقاقه من مرى الناقة ، لان كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه ، وكان من حقه أن يتعدى بـ فى كقولك : جادلته فى كذا ، وانما ضمن معنى الغلبة ، فعدى تعديتها .

قال فى روح المعانى (٣) : واشتقاقه من مرى الناقة اذا مسح ظهرها وضرعها ، ليخرج لبنها ، وتدر به ، فشبه به الجدال ، لان كلا من المتجادلين يطلب الوقوف على ما عند الاخر ، ليلزمه الحجة ، فكأنه يستخرج دره .

قال فى القاموس (٤) : مرى الناقة يمريها مسح ضرعها ، فأمرت هى ، در لبنها ، وهى المرية ـ بالضم والكسر ـ ، وناقة مرى ، غزيرة اللبن ، أو لا ولد لها ، فهى تدر بالمرى على يد الحالب .

---

(١) فتح البيان ١٦٤/٩ ، الصاوى على الجلالين ١٣٧/٤ .

(٢) الفتوحات الالهية ٢٢٦/٤ .

(٣) الالوسى ٤٩/٢٧ .

(٤) القاموس ٣٩٢/٤ .

المعنى الاجمالى للايات :

أخبر سبحانه وتعالى فى هذه الايات أن جبريل عليه السلام الذى هو شديد القوى ، أنه قرب من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى كان منه قدر القوس ، أو الذراع ، أو أقرب من ذلك ، والمعروف أن نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم ير جبريل على صورته الا مرتين مرة فى الارض بجياد ، ومرة عند سدرة المنتهى ، وعلى كل حال فهذه الايات تدل على أن جبريل ـ عليه السلام ـ قرب من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه أوحى اليه ، ما أرسله به ربه سبحانه وتعالى الى نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الوحى ، ولم يبين سبحانه وتعالى فى هذه الايات ، ما أوحى به ، فكان مجملا شاملا ، لكل ما أوحى به الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك الاثناء ، ولا دليل على أنه خاص ، بالصلوات ، أو الفرائض دون غيرها ، خلافا لمن زعم ذلك ، كما تقدم ذكره فى التفسير التفصيلى للايات ، ثم أفادت الايات أن نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما كذب فؤاده ما رأى ، بل صدقه ، على اختلاف فى الذى رآه فؤاده ، فروى عن ابن عباس أن الذى رآه فؤاده هو رب العزة والجلال ، والقول الاخر أن الذى رآه فؤاده فلم يكذبه هو جبريل ـ عليه السلام ـ رآه سادا الافق قد ملأ ما بين السماء والارض . وهذا القول الثانى هو الذى أميل اليه وأرجحه ، لقوة أدلته .

* * *

قال تعالى : " ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى

عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ

البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى ".

==============================

" التفسير التفصيلي للايات "

قوله تعالى : " ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى " .

اختلف أهل التأويل في الذي رآه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في النزلة الاخرى ، كما اختلفوا في قوله تعالى : " ما كذب الفؤاد ما رأى " .

١) قوم قالوا : رأى جبريل ، وعلى رأى هذه الطائفة عائشة ـ رضى الله عنها ـ مستدلين بهذا الحديث[١] : حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب الثقفى ، قال : ثنا داود عن عامر عن مسروق عن عائشة ، أن عائشة قالت : يا أبا عائشة من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله ، قال : وكنت متكئا فجلست ، فقلت : يا أم المؤمنين ، انظريني ولا تعجليني ، أرأيت قول الله تعالى : " ولقد رآه نزلة أخرى " ، " ولقد رآه بالافق المبين "[٢] قالت : انما هو جبريل ، رآه مرة على خلقه وصورته التي خلق عليها ، ورآه أخرى

---

(١) صحيح مسلم ابن جرير الطبري في تفسيره
وأصله في مسلم .

(٢) سورة التكوير الاية : ٢٣ .

حين هبط من السماء الى الارض ، قالت : أنا أول من سأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن هذه الاية ، قال : هو جبريل ـ عليه السلام ـ .

٢) وطائفة أخرى من العلماء يقولون : ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى ربه ، ويمثل هذه الطائفة حبر الامة ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمرو بن حماد قال : ثنا أسباط عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : ولقد رآه نزلة أخرى : قال : ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى ربه بقلبه ، فقال له رجل عند ذلك : أليس لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ، قال له عكرمة : أليس ترى السماء قال : بلى . قال : أفكلها ترى [(١)] .

والـلام فى قوله " ولقد رآه " هى اللام الموطئة للقسم [(٢)] .

والنزلة مصدر فى موضع الحال ، والتقدير : ولقد رآه نازلا نزلة أخرى تعود على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لانه كان له صعود ، ونزول مرارا ، بحسب أعداد الصلوات المفروضة ، فلكل عرجة نزلة [(٣)] .

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبرى ٣١/٢٧ .

(٢) الفتوحات الالهية ٢٢٦/٤ .

(٣) القرطبى ٩٤/١٧ .

٣) وقال الزمخشري [١] : انتصب نزلة - نصب الظرف - الذي هو مرة ، لان الفعلة اسم للمرة من الفعل ، فكانت في حكمها .

٤) وقال في البحر [٢] : مصدر أي مرة أخرى ، أو رؤية أخرى ، والمراد بالجملة القسمية نفي الريبة ، والشك عن المرة الاخيرة ، وكانت ليلة الاسراء [٣] .

قوله تعالى : "عند سدرة المنتهى" فعند من صلة قوله رآه [٤] .

وكانت هذه الرؤية التي رآه بها عند سدرة المنتهى في ليلة الاسراء ، ومعلوم أن الاسراء كان قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر ، أو بثلاث سنين ، على الخلاف [٥] .

والرؤية الاولى كانت في بدء البعثة ، فبين الرؤيتين نحو عشر سنين ، والسدرة شجرة النبق [٦] .

وقد صح في الحديث [٧] : عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (نبقها مثل قلال هجر ، وورقها مثل آذان الفيلة .

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٩ .

(٢) أبو حيان ٨/ ١٥٩ .

(٣) روح المعاني ٢٧/ ٥٠ .

(٤) ابن جرير ٢٧/ ٣١ .

(٥) فتح البيان ٩/ ١٦٥ .

(٦) النبق : - بكسر الباء - هو حمل السدر الواحدة نبقة ، مثل كلمة وكلم ونبقات ، أيضا مثل كلمات ، مختار الصحاح ١/ ٦٤٣ .

(٧) أخرجه البخاري ٧/ ١٦٤ ، مسلم ١/ ١٥٧ .

قال مقاتل : تحصل الحلى والثمار من جميع الالوان ، لو وضعت ورقة منها فى الارض لأضاءت لاهلها ، وهى شجرة طوبى ، التى ذكرها الله فى سورة الرعد فى قوله : "طوبى لهم وحسن مئاب"(١).

وفى مكان هذه السدرة قولان :

أحدهما : أنها فوق السماء السابعة ، وهو مذكور فى الصحيحين(٢) من حديث مالك بن صعصعة .

وقال مقاتل : وهى عن يمين العرش(٣).

القول الثانى : أنها فى السماء السادسة ، وقد أخرجه مسلم فى افراده(٤) عن ابن مسعود وبه قال الضحاك(٥).

والمنتهى : مكان الانتهاء ، وقيل مصدر ميمى ، والمراد به الانتهاء نفسه . قيل : اليه ينتهى علم الخلائق ، ولا يعلم أحد ما وراء ذلك ، وقيل : ينتهى اليه ما يعرج به من الارض ، وقيل : ينتهى اليه أرواح الشهداء ، واضافة الشجرة الى المنتهى :

---

(١) سورة الرعد الاية : ٢٩ .
(٢) البخارى ١٦٤/٧ ، مسلم ١٥٠/١ .
(٣) زاد المسير ٦٩/٨ .
(٤) مسلم ١٥٧/١ .
(٥) زاد المسير ٦٩/٨ .

١) من اضافة الشيء الى مكانه ، كقولك : شجر البستان .

٢) وقيل : من اضافة المحل الى الحال ، كقولك : كتاب الفقه .

٣) وقيل : من اضافة الملك الى المالك بحذف الجار (١) .

قال ابن جرير (٢) : ولا خبر يقطع العذر بأنها — أى سدرة المنتهى — قيل ذلك لها لبعض ذلك دون بعض ، فلا قول فيه أصح من قول ربنا أنها سدرة المنتهى .

وقال فى التفسير الكبير مقررا معنى هذه الايات : كيف تجادلونه ولا ينفك من ايراد شكوككم عليه ، مع أنه رأى ما رأى عين اليقين ، والاصل أنه لا شك بعد الرؤية ، فهو جازم متيقن ، فكيف يقال بعد هذا أصابه الجن ، ثم أكده بقوله تعالى : " ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى " . قال : وذلك لانه — صلى الله عليه وسلم — لما رآه وهو على بسيط الارض ، كان يحتمل أن يقال : انه من الجن ، وهذا الاحتمال فى غاية البعد ، لكونه حصل له العلم الضرورى بأنه ملك مرسل . قال : والاحتمال البعيد لا يقدح فى الجزم واليقين ، ألا ترى أننا اذا نمنا بالليل وانتبهنا بالنهار ، نجزم بأن البحار وقت نومنا ما نشفت ولا غارت والجبال ما عدمت ، ولا سارت ، مع احتمال ذلك ، فان الله قادر على ذلك

---

(١) فتح البيان ١٦٦/٩ ، زاد المسير ٦٩/٨ ، القرطبي ٩٤/١٧ ، البحر المحيط ١٥٩/٨ .

(٢) ابن جرير ٣٢/٢٧ .

وقت نوضها ، ويعهد اليها ما كانت عليه فى يومنا ، فلما رآه عند سدرة المنتهى وهو فوق السماء السادسة ، لم يحتمل أن يكون هناك جن ، ولا انس ، فكيف وقد رآه فى السماء ، فماذا تقدرون أن تقولوا فيه [١] .

قوله تعالى : "عندها جنة المأوى" .

يقول تعالى : عند سدرة المنتهى جنة المأوى ، أى جنة مأوى الشهداء ومنازلهم [٢] . فهى كقوله تعالى : "فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون" [٣] .

قال القرطبى [٤] : هذا تعريف بموضع جنة المأوى ، وأنها عند سدرة المنتهى .

قال الحسن : هى التى يصير اليها المتقون ، وقيل الجنة التى يصير اليها أرواح الشهداء ، قاله ابن عباس ، وهى عن يمين العرش ، وقيل : ان أرواح المؤمنين كلهم فى جنة المأوى ، وسميت جنة المأوى لانها تأوى اليها أرواح المؤمنين يتنعمون بنعيمها ويتنسمون بطيب ريحها .

---

(١) الفخر الرازى مع بعض تصرف ٢٨/ ٢٩٠، ٢٩١ .
(٢) ابن جرير فى تفسيره ٢٧/ ٣٣ .
(٣) سورة السجدة الاية : ١٩ .
(٤) زاد المسير ٨/ ٦٩ .

" القـــــراءة "

عندهـــا :

١) قـرأ معاذ القارئ، وابن يعمـر ، وأبو نهيك ، " عـنده " بهـــــا، مرفوعـه على ضمير مذكر .

٢) قـرأ الجمهور : " جنـة المأوى " بالتـاء ، كقوله : " فلهم جنــات المأوى " .

٣) وقرأ علي ، وأبو الدرداء ، وأبو هـريرة ، وابن الزبير ، وأنس ، وزر ، ومحمـد بن كعـب ، وقتـادة ، وسعيد بن المسيب ، والشعـبي ، وأبو المتوكـل ، وأبو الجـوزاء ، وأبو العاليـة ، قال ثعلب : يريدون أجنــه ، وهي شاذة ، جنـه بهاء الضمير ، وجـن فعـل ماض ، والهـاء ضمير النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أي عندهـا ســـتره ايواء الله ، وجميـل صنعـه ، وقيـل : ضمـه المبيت ، والليـــل ، وقيل : جنـه بظلالـه ، ودخـل فيه ، وردت عائشـة وصحابة معهـا هـذه القـراءة ، وقالـوا : أجـن الله من قـرأهـا .

قال في البحر (١) : واذا كانت هـذه قراءة أكابر الصحابة ، فليس لاحد ردها ، والحق هو ما قاله ـ رحمه الله ـ لانه لا يحتج على صحابي بصحابي ، الا لقرينـة .

---

(١) أبو حيان ٨/١٥٩ ، زاد المسير في علم التفسير ٨/٧٠ .

الاعـــراب :

١ ـ عند : ظرف منتصب بـرآه .

٢ ـ جنة المأوى : مبتدأ ، وخبرها الظرف المتقدم عندها هذا على قراءة الجمهور ، أما على قراءة غير الجمهور ، فجنه فعل ماض ، من جن يجن ، أى ضمه المبيت (١) .

(تنبيــه)

قال الماوردى : فى معانى القرآن له : فان قيل : لم اختيرت السدرة لهذا الامر دون غيرها من الشجر ؟ قيل : لان السدرة تختص بثلاثة أوصاف :

١) ظل مديد .

٢) وطعام لذيذ .

٣) ورائحة ذكية .

فشابهت الايمان ، الذى يجمع قولا وعملا ، ونية ، فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه ، وطعمها بمنزلة النية لمكونه ، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره (٢) .

---

(١) فتح القدير للشوكانى ٥/١٠٤ .

(٢) سليمان الجمل ٤/٢٢٧ .

وقد روى أبو داود فى سننه[١] : قال : حدثنا نصر بن على قال : أنبأنا أبو اسامة عن ابن جريج عن عثمان بن أبى سليمان عن سعيد بن محمد ابن جبير بن مطعم ، عن عبد الله بن حبشى قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من قطع سدرة صوب الله رأسه فى النار) وسئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال : هذا الحديث مختصر ، يعنى من قطع سدرة فى فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما ، بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه فى النار[٢] .

قوله تعالى : " اذ يغشى السدرة ما يغشى " : اختلف فى العامل فى اذ ، فقيل : ان العامل فيها ما قبلها ، وهو على قول ، رآه ، أى رآه وقت ما يغشى السدرة الذى يغشى[٣] .

والاحتمال الاخر : العامل فيه الفعل الذى فى النزلة ، تقديره : " رآه نزلة أخرى " تلك النزلة وقت ما يغشى السدرة ما يغشى ، أى نزوله لم يكن الا بعد ما ظهرت العجائب عند السدرة ، " وغشيها ما غشى " فحينئذ نزل محمد نزلة ، اشارة الى أنه لم يرجع من غير فائدة .

---

(١) أبو داود فى قطع السدر كتاب الادب

(٢) الفتوحات الالهية ٢٢٧/٤ ، والقرطبى ٩٧/١٧ .

(٣) التفسير الكبير ٢٩٣/٢٨ ، فتح القدير ١٠٤/٥ .

وقيل : ان العامل فى الظرف ـ اذ ـ هو ما بعدها ، وعليه يكون العامل فيه "ما زاغ البصر" أى ما زاغ بصره وقت غشيان السدرة ما غشيها ، اذ لا يضر التقدم على (ما) النافية للتوسع فى الظرف(١).

أقول : والذى يتبادر أن العامل فى (اذ) هو رآه ، كما أنه العامل فى ظرف المكان الذى قبل هذا ، والله أعلم .

والغشيان : بمعنى التغطية والستر ، وبمعنى الاتيان ، يقال فلان يغشانى كل حين ، أى يأتينى ، وفى ابهام الموصول وصلته ، من التفخيم ، والتكثير ، للغاشى الذى يغشى اذ ذاك ، أشياء لا يعلم وصفها الا الله تعالى ، فقد علم بهذه العبارة ، أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى ، وجلالته ، أشياء لا يحيط بها وصف ولا يحصيها عد ، ولا يكتنهها نعت(٢).

وقد اختلف المفسرون فى الذى يغشى السدرة :

١) قال ابن جرير فى تفسيره(٣) يغشاها فراش(٤) من ذهب .

ذكر هذا القول بعدة روايات وزاد فى بعضها قال: قيل له يا رسول الله أى شىء رأيت يغشى تلك السدرة ؟قال: رأيتها يغشاها فراش من ذهب ، ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله .

---

(١) التفسير الكبير ٢٨/ ٢٩٣ ، روح المعانى للالوسى ٢٧/ ٥١ .
(٢) البحر المحيط ٨/ ١٦٠ ، فتح البيان ٩/ ١٦٧ ، الفتوحات الالهية ٤/ ٢٢٧ .
(٣) تفسير ابن جرير ٢٧/ ٣٥ .
(٤) الفراش : دويبة ذات جناحين تتهافت فى ضوء السراج ، واحدتها :فراشة ، وفى المثل : أطيش من فراشه ، مختار الصحاح ١/ ٤٩٨ .

٢) وقيل: غشيها نور الرب ، وغشيتها الملائكة من حب الله ، مثل الغربان حين يقعن على الشجر ، وهو قول مقاتل [١] .

٣) وقيل: غشيها جراد من الذهب .

٤) وقال مجاهد: غشيها رفرف أخضر [٢] .

٥) وقيل: رفرف من طيور خضر .

٦) وقيل: نور الخلائق ، وقيل غير ذلك .

وقال صاحب التفسير الكبير: ان القول: بأن ما غشيها فراش من الذهب ، قول ضعيف . قال: لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعي ، فان صح فيه خبر فلا يبعد ، والا فلا وجه له [٣] .

وأقرب الاقوال ، قولان :

١) القول الاول : أن الذى يغشى السدرة الملائكة ، لان المكان مكان لا يتعداه الملك ، فهم يرتقون اليه متشرفين به ، متبركين ، زائرين ، كما يزور الناس الكعبة ، فيجتمعون عليها [٤] .

٢) القول الثاني : أن الذى يغشى السدرة أنوار الله تعالى .

---

(١) زاد المسير فى علم التفسير ٨/ ٧٠ ، القرطبي ١٧/ ٩٦ .

(٢) فتح البيان ٩/ ١٦٧ ، البحر المحيط ٨/ ١٦٠ .

(٣) الفخر الرازي ٢٧/ ٢٩٣ .

(٤) الفتوحات الالهية ٤/ ٢٢٨ .

قال الرازى (١) : وهذا ظاهر ، لان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما وصل اليها تجلى ربه لها ، كما تجلى للجبل ، وظهرت الانوار ، لكن السدرة كانت أقوى من الجبل ، وأثبت ، فجعل الجبل دكا ، ولم تتحرك الشجرة ، وخر موسى صعقا ، ولم يتزلزل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقيل : ان ما يغشى أبهم للتعظيم ، كقول القائل : رأيت ما رأيت عند الملك ، يشير الى الاظهار من وجه ، والى الاخفاء من وجه .

وفى صحيح مسلم (٢) مرفوعا : فلما غشيها من أمر الله ما غشيها ، تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها ، وهذا اللفظ فى رواية ثابت البنانى عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ ، والمجىء بالفعل المضارع فى قوله : " اذ يغشى السدرة ما يغشى " .

النكتة فى ذلك حكاية الحال الماضية ، استحضارا لصورتها البديعة ، ويجوز أن يكون الاتيان بصيغة المضارع للايذان باستمرار الغشيان بطريقة التجدد (٣) .

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/٢٩٣ ، الفتوحات الالهية ٤/٢٢٨ .
(٢) صحيح مسلم ١/١٤٦ .
(٣) روح المعانى ٢٧/٥١ ، فتح القدير للشوكانى ٥/١٠٧ .

قوله تعالى : " ما زاغ البصر وما طغى " .

يقول تعالى ذكره : ما مال بصر محمد -صلى الله عليه وسلم- يعدل يمينا ولا شمالا عما رأى ، أى ولا جاوز ما أمر به ، فطغى ، يقول: فارتفع عن الحد الذى حد له .

وروى عن ابن عباس فى قوله : "ما زاغ البصر وما طغى " قال : ما زاغ يمينا ولا شمالا ، ولا طغى ، ولا جاوز ما أمر به(١) .

وقيل لم يمد بصره الى غير ما رأى من الايات .

قال القرطبى (٢) : وهذا وصف أدب للنبى -صلى الله عليه وسلم- فى ذلك المقام ، حيث لم يلتفت يمينا ولا شمالا .

وقال الزمخشرى (٣) : أى أثبت ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا ، من غير أن يزيغ بصره ، أو يتجاوزه ، اذ ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ، ومكن منها ، وما طغى ، وما جاوز ما أمر برؤيته .

وقال أبو حيان (٤) : ما طغى ولا تجاوز للمرئى الى غيره ، بل وقع عليه وقوعا صحيحا ، وهذا تحقيق للامر ، ونفى للريب عنه .

---

(١) ابن جرير ٢٧/٣٤ .
(٢) القرطبى ١٧/٩٨ ، زاد المسير ٨/ ٧٠ ، فتح القدير ٥/١٠٧ .
(٣) الكشاف ٤/٣٠ .
(٤) البحر المحيط ٨/ ١٦٠ .

وقال فى الفتوحات الالهية [١] : أى لم يلتفت الى ما غشى السدرة من فراش الذهب ، فلم يلتفت اليه ، فغشيان الجراد والفراش فى ذلك الوقت ابتلاء ، وامتحان لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

هذا بالنظر لكون الذى غشيها هو فراش من الذهب ، وبالنظر لكونه أنوار الله يكون المعنى ، لم يلتفت ، يمنه ولا يسره ، بل اشتغل بمطالعتها مع أن ذلك العالم غريب عن بنى آدم ، وفيه من العجائب ما يحير الناظر .

وقيل فى معنى الاية : ما زاغ البصر بصعقة ، ولا غشية ، كما أخبر عن موسى ـ عليه السلام ـ بقوله : " وخر موسى صعقا " [٢] . وذلك أنه لما تجلى رب العزة ، وظهر نوره على الجبل قطع نظره وغشى عليه ، ونبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثبت فى ذلك المقام العظيم ، الذى تحار فيه العقول ، وتزل فيه الاقدام ، وتميل فيه الابصار ، فوصف الله عز وجل قوة نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك المقام العظيم بقوله تعالى : " ما زاغ البصر وما طغى " [٣] .

---

(١) الفتوحات الالهية : ٢٢٨/٤ .

(٢) سورة الاعراف الاية : ١٤٣ .

(٣) لباب التأويل فى معانى التنزيل ٢٦٠/٦ .

لطيفة :

قال تعالى : " ما زاغ البصر وما طغى " ولم يقل ما مال وما جاوز ، لكون الميل فى ذلك الموضع ، والمجاوزة مذمومان ، فاستعمل الزيغ ، والطغيان فيه ، وفيه وجه آخر وهو أن يكون ذلك بيانا لوصول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى سدرة اليقين ، الذى لا يقين فوقه ، ووجه ذلك أن بصر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ " ما زاغ " ، أى ما مال عن الطريق ، فلم ير الشىء على خلاف ما هو عليه ، بخلاف من ينظر الى عين الشمس مثلا ، ثم ينظر الى شىء أبيض فانه يراه أصفر ، أو أخضر ، يزيغ بصره عن جادة الابصار . " وما طغى " ما تخيل المعدوم موجودا (١) .

قوله تعالى : " لقد رأى من آيات ربه الكبرى " اللام موطئة لقسم محذوف ، تقديره : والله لقد رأى (٢) .

يقول تعالى ذكره : لقد رأى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هنالك من أعلام ربه وأدلته الاعلام ، والادلة الكبرى ، وقد اختلف المفسرون فى تلك الايات الكبرى :

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/٢٩٤ .
(٢) فتح القدير ٥/١٠٧ .

١) روى عن ابن مسعود بعدة ألفاظ ، أنه رأى رفرفا أخضر ، وفى بعض الالفاظ رأى رفرفا أخضر سد الافق ، وفى بعض : رأى رفرفا أخضر من الجنة قد سد الافق [١] .

٢) وروى عن جماعة أخرى فى قوله تعالى : " لقد رأى من آيات ربه الكبرى " قالوا : جبريل رآه فى خلقه الذى يكون به فى السماوات ، قدر قوسين من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما بينه وبينه [٢] .

٣) وقال الضحاك رأى سدرة المنتهى .

٤) وقيل " ما غشى السدرة " .

ويميل القرطبى [٣] الى أن أحسن الاقوال هو ما رآه تلك الليلة فى مسراه بدء وعودة ، قال بدليل قوله تعالى : " لنريه من آياتنا " [٤] .

ويرى الزمخشرى : أن الذى رأى هو عجائب الملكوت حيث قال : والله لقد رأى من آيات ربه ، الايات التى هى كبراها وعظماها ، يعنى حين رقى به الى السماء ، فأرى عجائب الملكوت [٥] .

---

(١) ابن جرير ٢٧/٣٤ .
(٢) ابن جرير ٢٧/٣٤ .
(٣) القرطبى ١٧/٩٨ .
(٤) سورة الاسراء الاية : ١ .
(٥) الكشاف ٤ / ٣٠ .

أما معنى الرفرف الذى مر ذكره ، قال سليمان الجمل[١] ، الرفرف اما اسم جنس ، أو اسم جمع ، واحده : رفرفة ، قيل : هو ما تدلى على الاسرة من غالى الثياب ، وقيل ضرب من البسط ، وقيل الوسائد ، وقيل النمارق ، وقيل : كل ثوب عريض رفرف ، وقيل : لاطراف البسط وفصول الفسطاط رفارف .

قال فى تفسير الفخر الرازى : فى هذه الاية دليل على أن النبى - صلى الله عليه وسلم - لم ير الله تعالى ، ليلة المعراج ، وانما الذى رأى هو آيات الله ، قال ووجهه ، هو أن الله تعالى ختم قصة المعراج ها هنا برؤية الايات . وقال فى الاسراء : " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله "[٢] . قال : ولو كان رأى ربه لكان ذلك أعظم ما يمكن ، فكانت الاية الرؤية ، وكان أكبر شىء هو الرؤية ، ألا ترى أن من له مال يقال له سافر لتربح ، ولا يقال سافر لتتفرج[٣] .

---

(١) سليمان الجمل ٤/٢٢٨ .
(٢) سورة الاسراء الاية : ١ .
(٣) التفسير الكبير ٢٧/٢٩٥ .

الاعـــــراب :

١) قيـل الـكبرى ـ مفعول رأى ـ أى رأى الايات الـكبرى والعظمـى التى هـى بعض آيات ربـه ، أى حين رقى فى السماء ، رأى عجائـب الملكوت ، وتلك بعض آيات اللـه .

٢) وقيـل : من آيات هـو فى موضع المفعول ، والـكبرى صفـة لآيـات ربـه .

قال فى البحر المحيط (١) : وشل هـذا الجمع يوصف بوصـف الواحدة ، وحسن ذلك هـنا كونها فاصلة ، كما فى قوله تعالى : " لنريـك من آياتنـا الكبـرى " (٢) عند من جعلها صفة لآياتنـا .

٣) وقيل : الـكبرى نعـت لمحـذوف (٣) .

٤) وقيل : الكبرى ـ مفعول لرأى ـ ومن آيات ربه حال مقدمـة ، والتقديـر : لقد رأى الايات الـكبرى حال كونها من جملة آيات ربه (٤) .

---

(١) أبو حيـان ١٦٠/٨ .

(٢) سورة طـه الاية : ٢٣ .

(٣) القرطبـي ٩٩/١٧ .

(٤) الفتوحات الالهية ٢٢٨/٤ .

" المعنى الاجمالى لهذه الايات "

من قوله : ولقد رآه نزلة أخرى

الى قوله : الكبرى

أخبر سبحانه وتعالى فى هذه الايات أن نبينا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم رأى جبريل ـ عليه السلام ـ مرة أخرى بعد المرة الاولى ، وأكد ذلك باللام الموطئة للقسم ، وسبق هذه الاية أن أنكر سبحانه وتعالى على المشركين أنهم يجادلونه ، ويشككونه فيما رأى ، وأفادت الايات أن هذه الرؤيا لجبريل كانت ، فى العالم السماوى ليست فى عالم الارض ، بل انما هى عند السدرة ، التى ينتهى لها علم الخلائق على اختلاف فى تفسير ذلك ، وهذه الرؤيا التى رأى بها نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمين الوحى جبريل عليه السلام ـ هى احدى الرؤيتين اللتين رآه فيهما على صورته الاصلية ، والثانية من الرؤيتين كانت فى الارض ، بجياد كما تقدم ، ثم أخبر سبحانه وتعالى أن عند هذه السدرة التى هى سدرة المنتهى أن عندها الجنة التى هى مأوى المؤمنين ، قيل : انها المذكورة فى قوله تعالى : " طوبى لهم وحسن مآب " رآه صلى الله عليه وسلم عند السدرة ، حين يغشاها ما يغشاها من مخلوقات الله ، كما أن الايات تقرر أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يمل ببصره يمنه ولا يسره ، ولم يتجاوز ما أمر به ، فلم يزغ بصره ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يطغ ، مما رأى ،

بل كان رابط الجأش ، فلم يتزعزع ، ولم يفقد شيئا من قواه العقلية ، والجسدية ، كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثبت الجنان ، كما أن الايات تفيد أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى فى هذه الرحلة آيات عظيمة من ملكوت الله عز وجل ، وصفها الرب سبحانه وتعالى بأنها كبرى ، وفى هذا دليل على أنها آيات جليلة عظيمة ، ولم يبين لنا سبحانه وتعالى ما هى هذه الايات ، فأبهمها ليدل الابهام على عظمة قدرها ، وعلو شأنها .

فالواجب علينا نحن المسلمين ، أن نؤمن ايمانا جازما ، بأنه رأى آيات عظام ، جليلة القدر ، لا نعلمها ، لانه لا سبيل الى معرفتها الا من طريق الوحى .

أما من يقول : انه رأى كذا ، أو كذا ، أو رأى الله عز وجل ، فاذا صح لنا وحى فى ذلك فيجب الايمان ، بما صح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واذا لم يصح فيجب التوقف ، عندما ثبت ، وأما رؤية نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ للرب ليلة الاسراء والمعراج ، فقد اختلف فيها ، كما سترى ـ ان شاء الله ـ فى بحث الرؤية مستقلا ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

" الكلام على الرؤية "

هذا ولما كان أغلب المفسرين يتكلمون على رؤية نبينا -صلى الله عليه وسلم- للرب سبحانه وتعالى ليلة الاسراء في هذه الايات ، أحببت أن أخص الرؤية ببحث ، أذكر فيه ، الخلاف الواقع ، هل رأى محمد -صلى الله عليه وسلم- ربه ، أم لا ؟ والذى أختاره من ذلك ، ثم أذكر حكم الرؤية من حيث العقل ، وأذكر حكمها في الاخرة ، والخير أردت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

الرؤية : النظر بالعين ، وبالقلب ، ورأيته رؤية ، ورأيا وراءه ، ورأية ، ورئيانا ، وارتأيته ، واسترأيته ، والحمد لله على ريتك كنيتك ، أي رؤيتك ، والرء كشداد الكثير الرؤية (١) .

هذا وان الرؤية لله عز وجل في دار الدنيا جائزة عقلا ، غير واقعة شرعا على الصحيح . والدليل على جوازها من حيث الشرع سؤال نبينا موسى -عليه السلام- لربه ، فان الرؤية لو لم تكن جائزة لما سألها موسى لانه معصوم ، والمعصوم لا يسأل غير الجائز ، وقد قال الله تعالى : " رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين " (٢) .

---

(١) القاموس ٤/ ٣٣٣ .

(٢) سورة الاعراف الاية : ١٤٣ .

وقد قال جماعة من العلماء أن نبينا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى ربه ليلة الاسراء ، وقد نسب بعض العلماء هذا القول الى مذهب الجمهور ، ورآه الحق ، قال في الاضاءة[1] :

وقد رأى خير الورى الديان ∴ ليلة أسرى به عيانا
في المذهب الصحح المشهور ∴ وهو الذى ينمى الى الجمهور
والمؤمنون حصهم في الاخره ∴ بها منهلهم مزايا فاخره
كما أتى عن صاحب السياده ∴ فالجنة الحسنى وذى زياده
وكم أحاديث بها صريحه ∴ مرويه من طرق صحيحه

وروى هذا القول عن ابن عباس ، وعن أبى ذر ، وكعب ، والحسن ، وكان يحلف على ذلك .

كما روى عن أبى هريرة ، وابن مسعود ، وأحمد بن حنبل ، وحكى أصحاب المقالات عن أبى الحسن الاشعرى ، وجماعة من أصحابه ، أنه رآه .

قال ابن حجر[2] : وذهب جماعة الى اثباتها ، وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمدا رأى ربه وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير اثباتها ، وكان يشتد عليه اذا ذكر له انكار عائشة .

---

(١) صاحب الاضاءة أحمد المقرى المغربى المالكى الاشعرى . مخطوطه .
(٢) فتح البارى ١٠/٢٣١ .

وبه قال سائر أصحاب ابن عباس ، وجزم به كعب الاحبار ، والزهري وصاحبه معمر ، وآخرون ، وهو قول الاشعري ، وغالب أتباعه ، ثم اختلفوا هل رآه بعينه ، أو بقلبه ، وعن أحمد كالقولين (١) .

قال صاحب التحرير : انه اختار اثبات الرؤية قال : والحجج في المسألة وان كانت كثيرة ، ولكن لا نتمسك الا بالاقوى منها :

١) وهو حديث ابن عباس : أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤية لمحمد -صلى الله عليه وسلم- (٢) .

٢) وعن عكرمة قال : سئل ابن عباس هل رأى محمد -صلى الله عليه وسلم- ربه ؟ قال : نعم . وقد روى باسناد لا بأس به عن شعبة ، عن قتادة عن أنس قال : رأى محمد ربه عز وجل وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد -صلى الله عليه وسلم- ربه عز وجل ، فأخبره أنه رآه ، قال : ولا يقدح في هذا حديث عائشة ، لان عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول : لم أر ربي ، وانما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى : " وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء " (٣) .

---

(١) ابن حجر / فتح الباري ١٠/٢٣١ .

(٢) ضعيف أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ، بألفاظ مضطربة عنه موقوفا ، تعليق الشيخ محمد ناصر الدين الالباني على الطحاوية ، وتخريج أحاديثها ١/١١٣ .

(٣) سورة الشورى الاية : ٥١ .

ولقوله تعالى : " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير "(١) .

قال فى تفسير الخازن (٢) : قال صاحب التحرير : والصحابى ان قال قولا ، وخالفه غيره من الصحابة لم يكن قوله حينئذ حجة الى أن قال : ما ملخصه : ان ابن عباس قال باثبات الرؤية ، ويجب المصير الى قوله : لانه لا يمكن أن يقول هذا الا بالسمع ، ولا يستجيز أى أحد أن يكون ابن عباس يقول هذا بالاجتهاد والحدس .

٣) وقد قال معمر بن راشد : ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ، وابن عباس أثبت ما نفاه غيره ، والمثبت مقدم على النافى ، الى أن قال الشيخ محيى الدين ، فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى ربه عز وجل بعينى رأسه ليلة الاسراء لحديث ابن عباس وغيره ، مما تقدم .

قال : واثبات هذا لا يأخذونه الا بالسماع من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، هذا مما لا ينبغى أن يتشكك فيه ، ثم ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولو كان معها حديث لذكرته ، وانما اعتمدت على الاستنباط من الايات(٣) .

---

(١) سورة الانعام الاية : ١٠٣ .

(٢) تفسير الخازن ٤/ ٢٠٣ وما بعدها .

(٣) فتح البارى ١٠/ ٢٣٠ .

٤) فريق آخر من العلماء يرى أن نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم ير ربه ليلة الاسراء ، واستدل هذا الفريق وعلى رأسهم عائشة ـ رضى الله عنها ـ بما يأتى :

١ ـ حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن اسماعيل بن أبى خالد عن عامر عن مسروق قال : قلت لعائشة ـ رضى الله عنها ـ يا أمتاه هل رأى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه ؟ فقالت : لقد قف شعرى مما قلت : أين أنت من ثلاث ، من حدثكهن فقد كذب ، من حدثك أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى ربه ، فقد كذب ، ثم قرأت : " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير "(١) . " وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء "(٢) . ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ، ثم قرأت : " وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت "(٣) ، ومن حدثك أنه كتم ، فقد كذب ، ثم قرأت : " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس "(٤) . ولكنه رأى جبريل على صورته مرتين(٥) .

---

(١) سورة الانعام الاية : ١٠٣ .
(٢) سورة الشورى الاية : ٥١ .
(٣) سورة لقمان الاية : ٣٤ .
(٤) سورة المائدة الاية : ٦٧ .
(٥) صحيح البخارى شرح فتح البارى ١٢٩/١٠ فما بعدها ، مطبعة الحلبى وأولاده ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٤١/١ .

٢ ـ عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : من زعم أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى ربه فقد أعظم ، ولكن قد رأى جبريل فى صورته وخلقه سادا ما بين الافق ، أخرجه البخارى (١) .

٣ ـ أن أبا ذر ـ رضى الله عنه ـ سأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن هذه المسألة بعينها فأفتاه بما مقتضاه أنه لم يره ،

قال مسلم بن الحجاج ـ رحمه الله ـ فى صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا وكيع عن يزيد بن ابراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبى ذر قال : سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هل رأيت ربك ؟ قال : (نور أنى أراه) .

٤ ـ حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبى ح . وحدثنى حجاج بن الشاعر ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا همام كلاهما عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال : قلت : لابى ذر لو رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لسألته فقال : عن أى شىء كنت تسأله ؟ قال : كنت أسأله هل رأيت ربك ؟ قال أبو ذر قد سألته فقال : رأيت نورا .

---

(١) كتاب بدء الخلق : باب اذا قال أحدكم آمين والملائكة فى السماء ص ٥٩ .

وقال النووى فى شرحه لمسلم : أما قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (نور أنى أراه) فهو بتنوين (نور) وفتح الهمزة فى " أنى " وتشديد النون ، وفتحها " أراه " بفتح الهمزة ، هكذا ، رواه جميع الرواة فى جميع الاصول والروايات ومعناه حجابه نور ، فكيف أراه .

قال الامام أبو عبد الله المازرى : ـ رحمه الله ـ الضمير فى " أراه " عائد الى الله سبحانه وتعالى ، ومعناه أن النور منعنى من الرؤية ، كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار ، ومنعها من ادراك ما حالت بين الرائى وبينه ، وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (رأيت نورا) معناه رأيت النور فحسب ، ولم أر غيره .

قال : وروى (نورانى) ـ بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء ـ ويحتمل أن يكون معناه راجعا الى ما قلناه ، أى خالق النور ، المانع من رؤيته فيكون من صفات الافعال .

قال القاضى عياض ـ رحمه الله ـ : هذه الرواية لم تقع الينا ولا رأيناها فى شىء من الاصول .

قال فى أضواء البيان (١) : التحقيق : الذى لا شك فيه هو أن معنى الحديث هو ما ذكر من كونه لا يتمكن أحد من رؤيته لقوة النور الذى هو حجابه .

---

(١) أضواء البيان ٣/٣٦٣ .

ومن أصرح الادلة على ذلك أيضا حديث أبى موسى المتفق عليه حجابه النور أو النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره ، من خلقه (١) .

قال فى أضواء البيان : والتحقيق : أن روية الله جلئزة عقلا فى الدنيا والاخرة بدليل قول موسى : "رب أرنى أنظر اليك" لانه لا يجهل المستحيل فى حقه جل وعلا ، وأنها جائزة شرعا ، واقعة يوم القيامة ، ممتنعة شرعا فى الدنيا ، ومن أصرح الادلة فى ذلك (انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) (٢) .

الجواب عن أدلة الفريق الثانى من الفريق الاول :

١) أما احتجاج عائشة رضى الله عنها بقوله تعالى : " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار .. الاية " . فجوابه : ظاهر ، فان الادراك هو الاحاطة ، والله تعالى لا يحاط به ، واذا ورد النص بنفى الاحاطة لا يلزم منه نفى الروية ، بغير احاطة .

قال الشيخ محى الدين : وهذا الجواب فى غاية من الحسن مع الاختصار .

---

(١) مسلم / كتاب الايمان ، أحمد ٤/٤٠١ ـ ٤٠٥ .

(٢) أخرجه الحاكم وقال هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة ، ووافقه الذهبى ، المستدرك ٤/٥٣٦ ، الرويانى فى مسند الصحابة ٢/٨١٤ مخطوطه ، وابن أبى عاصم فى السنة ١/٣٢/ألف ، وابن ماجه ٢/١٣٥٩ ، والاجرى فى الشريعة ١/٣٧٥ ، مسلم كتاب الفتن ، ذكر ابن صياد ٤/٢٢٤٥ تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت .

٢) أما احتجاج عائشة ـ رضى الله عنها ـ بآية : (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا .. الاية) . فالجواب عنه من أوجه :

١ ـ أنه لا يلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية ، فيجوز وجود الرؤية من غير كلام .

٢ ـ أنه عام مخصوص بما تقدم من الادلة .

٣ ـ ما قاله بعض العلماء ان المراد بالوحى الكلام من غير واسطة .[1]

وهذا القول وان كان محتملا ، لكن الجمهور على أن المراد بالوحى هنا الالهام والرؤية فى المنام ، وكلاهما يسمى وحيا .

التوفيق بين الطائفتين ـ رأى عائشة ، ورأى ابن عباس ـ :

هذا وقد حاول بعضهم التوفيق بين رأى عائشة ، وابن عباس .

فقال من نفاها : أراد الرؤية البصرية ، ومن أثبتها يكون مراده القلب ، وتكون الرؤية القلبية ليست محل خلاف ، انما الخلاف فى الرؤية البصرية .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح [2] : وعلى هذا فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ، ونفى عائشة ، بأن يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب .

---

(١) تفسير الخازن ٤/٢٠٣ فما بعدها .

(٢) فتح البارى ١٠/٢٣١ .

قال فى شرح الطحاوية (١) : واتفقت الامة على أنه لا يراه أحد فى الدنيا بعينه ، ولم يتنازعوا فى ذلك ، الا فى نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة ، منهم من نفى رؤيته بالعين ، ومنهم من أثبتها له ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وحكى القاضى عياض فى كتابه الشفاء اختلاف الصحابة ومن بعدهم فى رؤيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وها هو كلامه ملخصا من كتابه الشفاء (٢) بتعريف حقوق المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

١) عائشة ـ رضى الله عنها ـ تنكرها ، وهو المشهور عن ابن مسعود ، وأبى هريرة ، فقد قال أبو هريرة : انما رأى جبريل ، وقد قال بقول عائشة ، وامتناع الرؤية فى الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين .

٢) ابن عباس يثبت الرؤية ، وقد روى عنه أنه رآه بقلبه ، روى عنه ذلك عطاء وأبو العالية ، وذكر ابن اسحاق أن ابن عمر أرسل الى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يسأله هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم . قال : والاشهر عنه : أنه رآه بعينى رأسه ، روى ذلك عنه من طرق وقال : ان الله تعالى اختص موسى بالكلام ، وابراهيم بالخلة ، ومحمد بالرؤية ، وذكر انه اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس :

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الالبانى ص ٢٠٩ .
(٢) الشفاء ١ / ٣٧٥ ـ ٣٧٦ فما بعدها ، تحقيق محمد أمين قره على ، أسامة الرفاعى ، جمال السروان ، نور الدين قره على ، عبد الفتاح السيد .

أما نحن بنو هاشم فنقول : ان محمدا قد رأى ربه مرتين ، فكبر كعب حتى جاوبته الجبال ، وقال : ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى ، فكلمه موسى ، ورآه محمد بقلبه ، وذكر أن الحسن البصرى كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه .

وذكر صاحب الشفاء أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم . وذكر عن أحمد بن حنبل أنه قال : أنا أقول بحديث ابن عباس ، بعينه رآه رآه ، حتى انقطع نفسه ـ يعنى نفس أحمد ـ وقال أبو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى ـ رحمه الله ـ وجماعة من أصحابه أنه رأى الله تعالى ببصره ، وعينى رأسه ، وقال : كل آية أوتيها نبى من الانبياء ـ عليهم السلام ـ فقد أوتى مثلها نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخص من بينهم بتفضيل الرؤية (١) .

الراجح عندى فى هذه المسألة :

بعد أن رأيت أيها القارئ الكريم رأى الطائفتين فى المسألة وما استدل به كل فريق ، وأقوال العلماء فى ذلك ، فاعلم أن الراجح فى نظرى ، هو أن الرؤية لله عز وجل جائزة عقلا فى الدنيا ، غير

---

(١) تلخيصا من الشفاء ١/ ٣٨١ .

واقعة على التحقيق ، لان الحديث ثبت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : لن تروا ربكم حتى تموتوا • وقد تقدم الحديث وهو في صحيح مسلم وغيره •

واذا ثبت الدليل ، فلا رأي لاحد بعد حديث المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ •

قال تعالى : " فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم " (١).

* * *

---

(١) سورة النور الاية : ٦٣ •

" رؤية الله عز وجل فى الدار الاخـــرة "

أجمع المسلمون على رؤية الله عز وجل لاهل كرامته يوم القيامــــة ، ولم يخالـف فى ذلك الا الجهمية والمعتزلة ، ومن وافقهما ، من الخـــوارج ، والامامية ، وقول هؤلاء باطـل ، مردود بالكتاب والسنة ، فقد قـــال بثبوت الرؤية يوم القيامة الصحابة والتابعون ، وأئمة الاسلام المعروفون بالامامة فى الدين ، وأهل الحديث ، وسائر طوائف أهل الكــلام المنسوبين الى السنة والجماعة [١] .

الادلة على الرؤية يوم القيامـــة :

١) قال تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " [٢] . وهـــذه الاية من أظهر الادلة فاضافة النظر الى الوجه الذى هو محله فـــى هذه الاية ، وتعديته بأداة " الى " الصريحة فى نظر العيــــن ، واخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه حقيقة موضوعة صريحة فى أن الله أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه الى الرب جل جلاله . فان النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته [٣] . وتعديه بنفسه ، فان عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله تعالى : " انظرونا نقتبس من نوركم " [٤] .

---

(١) زاد المسير فى علم التفسير ٨ / ٤٢٣ ، شرح العقيدة الطحاوية ، بتعليق محمد ناصر الدين الالبانى ، الطبعة الاولى ١ / ٢٠٤ .

(٢) سورة القيامة الاية : ٢٢ ـ ٢٣ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ١ / ٢٠٤ .

(٤) سورة الحديد الاية : ١٣ .

وان عدى بمعنى معناه التفكر مثل قوله : " أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ " (١) .

وان عدى بالى ، دل على المعاينة بالابصار " انظروا الى ثمره اذا أثمر " (٢) .

فكيف اذا أضيف الى الوجه الذى هو محل البصر .

وروى ابن مردويه بسنده الى ابن عمر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة " قال : من البهاء والحسن الى ربها ناظرة ، قال : فى وجه الله عز وجل (٣) .

وعن الحسن قال : نظرت الى ربها فنضرت بنوره .

وقال أبو صالح عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما : " الى ربها ناظرة " قال : تنظر الى ربها نظرا ، ثم حكى عن ابن عباس مثله .

٢) " لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد " (٤) .

قال بعض المفسرين : المزيد النظر الى وجه الله عز وجل .

---

(١) سورة الاعراف الاية : ١٨٥ .

(٢) سورة الانعام الاية : ٩٩ .

(٣) قال الالبانى : ضعيف جدا ، لان فى اسناده ثوير بن أبى فاختة ، كذبه الثورى ، وجزم الحافظ ابن حجر فى التقريب بضعفه ، تعليق محمد ناصر الدين الالبانى ، شرح الطحاوية ١ / ٤ ـ ٥ .

(٤) سورة ق الاية : ٣٥ .

٣) " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " . فالحسنى الجنة ، والزيادة هى النظر الى وجه الله الكريم ، فسرها بذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة من بعده .

كما فى مسلم عن صهيب قال : قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " قال : اذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ، ويبيض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ، ويجرنا من النار ، فيكشف الحجاب ، فينظرون اليه ، فما أعطاهم شيئا أحب اليهم ، من النظر اليه وهى الزيادة .

٤) " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " (١) .

قال فى شرح الطحاوية (٢) : احتج الشافعى ـ رحمه الله ـ وغيره من الائمة ، بهذه الاية على الرؤية لاهل الجنة . قال الشافعى : لما أن حجب هؤلاء فى السخط ، كان فى هذا دليل على أن أولياءه يرونه فى الرضا .

---

(١) سورة التطفيف الاية : ١٥ .

(٢) شرح العقيدة ١/٢٠٦ .

وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى : " لن تراني "(١) ، وبقوله : " لا تدركه الابصار "(٢) ، فالآيتان دليل على المعتزلة لاهل السنة .

فاستدل بالاية الاولى على رؤية الله من وجوه :

١ ـ أنه لا يظن بكليم الله موسى ـ عليه السلام ـ أن يجهل المحال في حق ربه سبحانه وتعالى .

٢ ـ كذلك لم ينكر ربنا على موسى سؤاله ، ولو كان ممنوعا لانكر عليه ، ألا ترى أن نبينا نوحا ـ عليه السلام ـ لما سأله نجاة ابنه أنكر عليه في قوله تعالى : " انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم اني أعظك أن تكون من الجاهلين "(٣) .

٣ ـ أنه سبحانه قال : " تراني " ، ولم يقل " لن أرى " ، أولاتجوز رؤيتي ، أو لست بمرئي ، والفرق بين الجوابين ظاهر . ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعاما فقال : اطعمنيه ، فالجواب الصحيح انه لا يؤكل ، اما ان كان طعاما صح القول بأنك لن تأكله ، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي ، ولكن موسى لاتتحمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى (٤) .

---

(١) سورة الاعراف الاية : ١٤٣ .

(٢) سورة الانعام الاية : ١٠٣ .

(٣) سورة هود الاية : ٤٥ .

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/٣٨٤ .

٥) أنه سبحانه وتعالى تجلى للجبل ، فجعله دكا ، فاذا جاز أن يتجلى للجبل الذى هو جماد لا ثواب له فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه فى دار كرامته .

٦) الله سبحانه وتعالى كلم موسى ، ومن جاز عليه التكلم ، والتكليم وأن يسمع مخاطبيه كلامه بغير واسطة ، فرؤيته أولى بالجواز . فلا يتم انكار الرؤية الا بانكار الكلام .

وأما ادعاء المعتزلة ان "لن" لتأبيد النفى ، وان ذلك يدل على منع الرؤية فى الاخرة ، فله جوابان :

١ ـ أن النفى "بلن" ولو جاء موصوفا بالتأبيد ، لا يدل على دوام النفى فى الاخره ، فكيف اذا أطلقت ، قال تعالى : "ولن يتمنوه أبدا" (١) ، مع قوله : "ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك" (٢) .

٢ ـ الجواب الثانى : أن "لن" لو كانت لتأبيد النفى المطلق ، لم يجز تحديد الفعل بعدها ، وقد ورد فى القرآن الكريم ، قال تعالى : "فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى" (٣) فدل ذلك على أن "لن" لا تقتضى النفى المؤبد .

---

(١) سورة البقرة الاية : ٩٥ .
(٢) سورة الزخرف الاية : ٧٧ .
(٣) سورة يوسف الاية : ٨٠ .

قال ابن مالك :

ومن رأى النفى بلن مؤبدا ⁂ فقوله اردد وسواه فاعضدا

قال الاشمونى [1] فى شرحه لالفية ابن مالك : فأما (لن) فحرف نفى تختص بالمضارع ، وتخلصه للاستقبال ، وتنصبه كما تنصب (لا) الاسم ، نحو : لن أضرب ولن أقوم فتنفى ما أثبت بحرف التنفيس ، ولا تفيد تأبيد النفى ، ولا تأكيده ، خلافا للزمخشرى الاول ، فى أنموذجه ، وللثانى فى كشافه .

وأما الاستدلال بالاية الثانية فى قوله تعالى : " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير " . على نفى الرؤية فهو غير مستقيم لان المعنى أنه سبحانه يرى ، ولا يدرك ، ولا يحاط به ، فالاية تدل على كمال عظمته ، وأنه أكبر من كل شىء ، وأنه لكمال عظمته ، لا يدرك بحيث يحاط به ، فان الادراك هو الاحاطة بالشىء ، وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى : " فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون " [2].

فلم ينف موسى الرؤية ، وانما نفى الادراك ، فالرؤية ، والادراك كل منهما يوجد مع الاخر وبدونه ، فالرب سبحانه وتعالى يرى ، ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به علما .

---

(١) الاشمونى ٣/٥٤٨ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

(٢) سورة الشعراء الاية : ٦١ .

وهذا الذى فهمه الصحابة والائمة من الاية ، كما ذكرت أقوالهم فى تفسير الاية ، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من ادراكها على ما هى عليه ، بل الاية يمكن الاستدلال بها على الرؤية بوجه لطيف كما قال العلامة الطحاوى : وذلك أن الله سبحانه وتعالى : انما ذكرها فى سياق التمدح ، ومعلوم أن المدح لا يكون الا بالصفات الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به ، وانما يمدح الرب سبحانه وتعالى بالنفى اذا تضمن أمرا وجوديا كمدحه سبحانه ، بنفى السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ، ونفى الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفى اللغوب والاعياء المتضمن كمال القدرة ، ونفى الشريك والصاحبة والولد ، والظهير ، المتضمن كمال الربوبية والالوهية ، ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمرا ثبوتيا (١) .

وأما الاحاديث الدالة على الرؤية ، رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ، فانها متواترة ، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن ، وهذه أمثلة من تلك الاحاديث الدالة على رؤية الله نوردها فيما يلى :

١) حديث أبى موسى : أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/٢٠٩ .

وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن (١) .

٢) حديث أبي هريرة : أن الناس قالوا يا رسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تمارون في القمر ليلة البدر ، ليس دونه سحاب ، قالوا : يا رسول الله ! قال : فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب . قالوا : يا رسول الله ! قال : فانكم ترونه كذلك ، يحشر الناس يوم القيامة ، فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فمنهم من يتبع الشمس ، ومنهم من يتبع القمر ، ومنهم من يتبع الطواغيت ، وتبقى هذه الامة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم . فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله ، فيقول : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا فيدعوهم ، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل ، يومئذ ، اللهم سلم سلم .

* * *

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١/٤١ـ٤٢ .

" الاسراء والمعراج "

هذا ولما كان بعض المفسرين يتعرض لقصة الاسراء والمعراج في تفسير سورة " النجم " ، وكان بعض خفافيش الابصار ، من المسلمين ، وغيرهم ، يشكك في قصة الاسراء والمعراج ، ويراها من الاساطير ، أحببت أن أتكلم كلاما في هذه الرسالة عن قصة الاسراء والمعراج ، وأكتفي في ذلك بتفسير الاية من قوله تعالى : " سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى .. " الى قوله : " لنريه من آياتنا .. " (١) من سورة الاسراء ، وما قاله المفسرون في ذلك ، واكتفى من الاحاديث بحديث من صحيح البخاري ، وحديث من صحيح مسلم .
فالاسراء والمعراج ثابتان بالكتاب والسنة ، واجماع المسلمين ، فهما بالروح والجسد ، يقظة لا مناما ، فالاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، والمعراج من بيت المقدس الى السموات ، وقد رأى - صلى الله عليه وسلم - في هذا الاسراء والمعراج آيات كثيرة ، نوه عنها القرآن الكريم ، حيث قال تعالى : " لقد رأى من آيات ربه الكبرى " (٢) . وقد أخبر سبحانه وتعالى أنه أسرى به ليريه من آياته ، فالى تفسير الاية :

---

(١) سورة الاسراء الاية : ١ .
(٢) سورة النجم الاية : ١٨ .

قال سبحانه وتعالى : " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصا الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ".

==================================

قال ابن جرير فى تفسيره (١) : " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا " أى تنزيها للذى أسرى بعبده وتبرئة مما يقول فيه المشركون ، من أن له من خلقه شريكا ، وأن له صاحبة وولدا ، وعلوا له وتعظيما ، عما أضافوه اليه ، ونسبوه من جهالتهم ، وخطأ أقوالهم .

ولفظ (سبحان) اسم وضع ، موضع المصدر ، فنصب لوقوعه موقعه .

قال القرطبى (٢) : وهو غير متمكن لانه لا يجرى بوجوه الاعراب ، ولا تدخل عليه الالف واللام ، ولم يجر منه فعل ، ولم يتصرف ، لان فى آخره زائدتين ، تقول : سبحت تسبيحا وسبحانا ، مثل : كفرت اليمين تكفيرا وكفرانا ، ومعناه التنزيه ، والبراءة لله عز وجل من كل نقص .

قال فى البحر المحيط (٣) : زعم الزمخشرى أنه علم للتسبيح كعثمان للرجل ، واضافة التنزيه أو التنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما فى حيز الصلة للمضاف ، فان ذلك من كمال أدلة قدرته ، وبالغ

---

(١) تفسير ابن جرير ١٥/٢ .

(٢) القرطبى ١٠/٢٠٤.

(٣) البحر المحيط ٦ / ٤ .

حكمته ، ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين [١] . وقد سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن معنى قول الانسان : سبحان الله . قال : انزاه الله عن السوء [٢] .

والاسراء والسرى سير الليل ، فمن قال : أسرى ، قال : يسرى اسراء ، ومن قال : سرى ، قال : يسرى سرى .

قال الشاعر :

وليلة ذات دجى سريت ∴ ولم يلتنى عن سراها ليت

متى كان الاسراء :

١) قال فى البحر [٣] : التحقيق : أن الاسراء كان بعد شق الصحيفة ، وقبل بيعة العقبة . قال : ووقع لشريك بن أبى نمر أن ذلك كان قبل أن يوحى اليه ، ولا خلاف بين المحدثين أن ذلك وهم من شريك .

٢) وقال مقاتل وقتادة : كان الاسراء قبل الهجرة بعام .

٣) وقالت عائشة : بعام ونصف فى رجب قبل الهجرة .

---

(١) أبو السعود ٥/٤٢١ .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٥/٣ .

(٣) البحر المحيط مع تصرف ٦/٦٠٥ .

٤) وعن ابن شهاب : بعد البعث بسبعة أعوام .

٥) وعن الحربى : ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة . وسنه صلى الله عليه وسلم حين أسرى به كانت سنه اذ ذاك ، واحدا وخمسين سنة وأشهر .

قال فى قرة الابصار (١) :

وبعد واحد مع الخمسين ∴ وأشهر مضت لمه يقينا

شرفه الرحمن بالاسراء ∴ وبعروجه الى السماء

حتى أراه أكبر الآيات ∴ وعاد بعد الفرض للصلاة

٦) وقال موسى بن عقبة عن الزهرى : كان الاسراء قبل الهجرة بسنة ، وكذا قال عروة .

٧) وقال السدى : بستة عشر شهرا (٢) .

هل الاسراء كان بالجسد والروح أم بالروح فقط ؟ :

١) الجمهور على أنه بالبدن والروح .

٢) وقالت طائفة : انما هو بالروح فقط ، الاكثرون من العلماء على أنه أسرى ببدنه وروحه يقظة (٣) لا مناما ، ولا ينكرون أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ رأى قبل ذلك مناما ، ثم رآه بعده يقظة لانه كان ـ عليه السلام ـ لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح .

---

(١) مخطوطة لا زالت وهى منظومة فى السيرة النبوية .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣ .

(٣) بالفتح ولا تسكن الا فى ضرورة الشعر كقوله :

فالعمر نوم والمنية يقظة ∴ والمرء بينهما خيال سارى

حاشية الشهاب على البيضاوى ٦/ ٤ .

أدلـــة الجمهـــور :

١) قوله تعالى : " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا الذى باركنا حوله " •

قالوا : فالتسبيح انما يكون عند الامور العظام ، فلو كان مناما لم يكن فيه كبير شئ ، ولم يكن مستعظما ، ولما بادرت كفار قريش الى تكذيبه ، ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم •

٢) وأيضا فان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ، وقد قال : " أسرى بعبده ليلا " •

وقال تعالى : " وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس "(١)•

قال ابن عباس : هى رؤيا عين أريها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة أسرى به ، والشجرة الملعونة هى شجرة الزقوم• رواه البخارى (٢) •

٣) قال تعالى : " ما زاغ البصر وما طغى "(٣)• والبصر من آلات الذات لا الروح •

---

(١) سورة الاسراء الاية : ٦٠ •

(٢) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ١٣/١٠ ، مطبعة الحلبى •

(٣) سورة النجم الاية : ١٨ •

٤) أيضا أنه حمل على البراق (١) ، وهو دابة بيضاء براقة لها لمعان ، وهو - بضم الباء - من دواب الجنة ، سمى به لشدة سرعته كالبرق الخاطف ، وانما يكون الحمل للبدن لا للروح ، لانها لا تحتاج فى حركتها الى مركب تركب عليه .

أدلة القائلين : بأنها رؤيا فقط بالروح :

١) أن معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - كان اذا سئل عن مسرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كانت رؤيا من الله صادقة .

٢) روى عن عائشة - رضى الله عنها - أنها كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن أسرى بروحه ، وقد تعقب هذا القول ابن جرير (٢) . وقال : انه مردود ، وأنكره ، وشنع على من نقله ، وقال : انه خلاف ظاهر القرآن .

قال ابن جرير (٣) : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : ان الله أسرى بعبده محمد - صلى الله عليه وسلم - من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، كما أخبر الله عباده ، وكما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ان الله حمله على

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوى ٦/٤ .
(٢) تفسير ابن جرير ١٥/١٤ ، ابن كثير ٣/٢٣ .
(٣) تفسير ابن جرير ١٥/١٣-١٤ .

البراق حتى أتاه به وصلى هنالك بمن صلى من الانبياء والرسل ، فأراه ما أراه من الايات ، قال : ولا معنى لقول من قال : أسرى بروحه دون جسده ، لان ذلك لو كان كذلك لم يكن فى ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلا على نبوته ، ولا حجة على رسالته ، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك ، كانوا يدفعون به عن صدقه فيه ، اذ لم يكن منكرا عندهم ، ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة ، من بنى آدم أن يرى الرائى منهم فى المنام ، ما على مسيرة سنة ، فكيف ما هو على مسيرة شهر ، أو أقل ، الى أن قال : فان الله أخبر فى كتابه أنه أسرى بعبده ، ولم يخبر أنه أسرى بروح عبده ، وليس لاحد أن يتعدى ما قال الله الى غيره ٠

وقال ابن كثير (١) : واذا حصل الوقوف على مجموع هذه الاحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها ، يحصل مضمون ما اتفقت عليه ، من مسرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة الى بيت المقدس ، وأنه مرة واحدة ، وان اختلفت عبارات الرواة فى أدائه ، أو زاد بعضهم فيه ، أو نقص منه ، فان الخطأ جائز على من عدا الانبياء ـ عليهم السلام ـ الى أن قال : والحق أنه ـ عليه السلام ـ أسرى به يقظة لا مناما ، من مكة الى بيت المقدس ، راكبا البراق ، فلما انتهى الى باب المسجد ، ربط الدابة عند الباب ،

---

(١) ابن كثير ٣/ ٢٢ـ٢٣ ٠

ودخله فصلى فى قبلته تحية المسجد ركعتين ، ثم أوتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها ، فصعد فيه الى السماء الدنيا ، ثم الى بقية السماوات السبع ، فتلقاه من كل سماء مقربوها ، وسلم على الانبياء الذين فى السماوات حسب منازلهم ، ودرجاتهم الى أن مر بكليم الله موسى ــ عليه السلام ــ فى السماء السادسة ، كما مر على الخليل ابراهيم فى السابعة ، وقد تجاوز منزلتيهما ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعلى سائر الانبياء ، حتى انتهى الى مستوى يسمع فيه صريف الاقلام ، أى أقلام القدر بما هو كائن ، ورأى سدرة المنتهى ، وغشيها من أمر الله عظمة عظيمة ، من فراش من ذهب ، وألوان متعددة ، ورأى هناك جبريل له ستمائة جناح على صورته ، ورأى رفرفا أخضر قد سد الافق ، كما رأى البيت المعمور ، وابراهيم الخليل مسند اليه ظهره ، وهذا البيت كعبة السماء ، يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ، يتعبدون فيه ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة ، ورأى الجنة والنار ، وفرض الله عليه الصلوات خمسين ، ثم خففها الى خمس رحمة منه ولطفا بعباده ، وفى هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة ، وعظمتها ، ثم هبط الى بيت المقدس ، وهبط معه الانبياء ، فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة ،

والظاهر : أن صلاته بالانبياء فى بيت المقدس كانت بعد رجوعه من السماوات ، بدليل أنه كان كلما مر بأحد من الانبياء يسأل عنه جبريل ، وجبريل يخبره باسمه ،

قال ابن كثير : وهذا اللائق ، لانه كان أولا مطلوبا الى الجناب العلوى ، ليفرض عليه وعلى أمته ، ثم لما فرغ من الذى أريد به ، اجتمع مع اخوته من النبيين ، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه فى الامامة ، باشارة جبريل اليه ، ثم خرج من بيت المقدس ، وركب البراق ، وعاد الى مكة بغلس [١] .

وقال فى تفسير القرطبى [٢] : ثبت الاسراء فى جميع مصنفات الحديث ، وروى عن الصحابة فى كل أقطار الاسلام ، فهو من المتواتر ، بهذا الوجه ، وذكر النقاش ممن رواه عشرين صحابيا قال : وذهب معظم السلف والمسلمين الى أنه كان اسراء بالجسد وفى اليقظة ، وأنه ركب البراق ، بمكة ووصل الى بيت المقدس ، وصلى فيه ، ثم اسرى بجسده ، وعلى هذا تدل الاخبار وليس فى الاسراء بجسده ، وحال يقظته استحالة ، ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة ، ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ، ولما قالت : أم هانىء : لا تحدث الناس فيكذبوك ، ولما فضل أبو بكر بالتصديق ، ولما أمكن قريش التشنيع ، والتكذيب ، حتى أن أقواما ارتدوا ، فلو كانت رؤيا لم يستنكروا ، خصوصا وأنه أخبرهم عن عيرهم ، أنها بمكان كذا ، وأنه مر عليها ، ففزع فلان ، قالوا : أخبرنا متى تأتى العير ؟ قال : تأتيكم يوم كذا ، قالوا : أية ساعة ؟ قال :

---

(١) ابن كثير مع تصرف قليل ٣/ ٢٣ .

(٢) القرطبى فى تفسيره ، ملخصا فى الكثير ١٠/ ٢٠٨ـ٢٠٩ .

ما أدرى ، طلوع الشمس من هنا أسرع ، أم طلوع العير من ههنا ؟ فقال رجل ذلك اليوم هذه الشمس قد طلعت ، وقال رجل : هذه عيركم قد طلعت ، وقد سألوه عن وصف بيت المقدس فوصفه لهم .

قال القرطبى : وأما قول عائشة ومعاوية ـ رضى الله عنهما ـ بأنه أسرى بروحه فقط ـ فيجاب عنه : بأن عائشة كانت اذ ذاك صغيرة ، ولم تشاهد ، ولم تحدث عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأما معاوية ـ رضى الله عنه ـ فانه كان اذ ذاك غير مسلم ، غير مشاهد للحال ، ولم يحدث عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قال فى البحر المحيط (١) : الظاهر أن هذا الاسراء كان بشخصه ولذلك كذبت قريش به ، وشنعت عليه ، وحين قص ذلك على أم هانئ ، قالت : لا تحدث الناس بها فيكذبوك ، ولو كان مناما ما استنكرت ذلك ، فالقول : ان الاسراء كان بالجسد والروح هو قول الجمهور من أهل العلم . قال : وهذا الذى ينبغى أن يعتقد ، وحديث الاسراء مروى فى المسانيد عن الصحابة فى كل أقطار الاسلام ، رواه عشرون من الصحابة .

---

(١) البحر المحيط لابو حيان ٦/٥ .

قال : وما روى عن عائشة ومعاوية ــ رضى الله عنهما ــ فلا حجة فيه فلعله لا يصح عنهما ، ولو صح لا دليل فيه ، لانهما لم يشاهدا لصغر عائشة ، ولكون معاوية اذ ذاك غير مسلم ، ولكونهما لم يسندا ذلك الى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا حدثا عنه .

قال فى فتح القدير (١) : والذى دلت عليه الاحاديث الصحيحة الكثيرة هو ما ذهب اليه معظم السلف ، والخلف ، من أن الاسراء بجسده وروحه يقظة الى بيت المقدس ، ثم الى السماوات ، ولا حاجة الى التأويل وصرف هذا النظم القرآنى وما يماثله ، من ألفاظ الحديث الى ما يخالف الحقيقة ، ولا مقتضى لذلك الا مجرد الاستبعاد ، وتحكيم محض العقول القاصرة ، عن فهم ما هو معلوم ، من أنه لا يستحيل عليه سبحانه شئ .

قال : ولو كان مجرد رؤيا كما يقوله من زعم أن الاسراء كان بالروح فقط ، وأن رؤيا الانبياء حق ، لم يقع التكذيب من الكفرة ، ومن استدل بأن هذا الاسراء كان بالروح على سبيل الرؤيا بقوله تعالى : " وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس " . فعلى تسليم أن المراد بهذه الرؤيا هو هذا الاسراء ، فالتصريح الواقع هنا بقوله تعالى : " سبحان الذى أسرى بعبده " ، والتصريح فى الاحاديث الصحيحة الكثيرة ، بأنه أسرى

---

(١) فتح القدير للشوكانى ٣/٢٠٦ .

به لا تقصر عن الاستدلال بها على تأويل هذه الرؤيا الواقعة فى الآية برؤيا العين ، فانه قد يقال لرؤية العين رؤيا .

قال فى الفتوحات الالهية (١) : قوله "بعبده" أى بروحه وجسده على المعتمد ، وقال "بعبده" دون نبيه ، أو حبيبه لئلا تضل به أمته ، كما ضلت أمة المسيح ، حيث ادعته الاها ، أو لان وصفه بالعبوديه المضافة الى الله تعالى أشرف المقامات والاوصاف .

وقال فى أضواء البيان (٢) : ويؤيد ما ذكره العلماء من كونه أسرى بجسده ، وأنها رؤيا عين لا رؤيا منام ، قوله تعالى : "لنريه من آياتنا" ، "ما زاغ البصر وما طغى" ، "لقد رأى من آيات ربه الكبرى" قال : وما زعمه بعضهم من أن الرؤيا لا تطلق بهذا اللفظ الا على رؤيا المنام مردود ، بل التحقيق أن لفظ الرؤيا يطلق فى لغة العرب على رؤية العين يقظة ، ومنه قول الراعى ، وهو عربى قح :

فكبر للرؤيا وهش فؤاده ... وبشر نفسا كان قبل يلومها

فانه يعنى رؤية صائد بعينه ، ومنه قول أبى الطيب :

ورؤياك أحلى فى العيون من الغمض

---

(١) الفتوحات الالهية ٦٠٨/٢ .

(٢) أضواء البيان ٣٥٧/٣ .

قال : وقد تواترت الاحاديث الصحيحة عنه أنه أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، وأنه عرج به من المسجد الاقصى حتى جاوز السماوات السبع ، كما دلت الاحاديث المذكورة على أن الاسراء والمعراج كليهما بجسمه وروحه يقظة لا مناما ، وعلى ذلك من يعتد به من أهل السنة والجماعة ، فلا عبرة بمن أنكر ذلك من الملحدين .

قال فى روح المعانى (١) : وايثار لفظة العبد للايذان بتمحضه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى عبادته سبحانه ، وبلوغه فى ذلك غاية الغايات القاصية ، ونهاية النهايات النائية ، حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه . والعبودية على ما نص عليه العارفون أشرف الاوصاف وأعلى المراتب ، وبها يفتخر المحبون ، كما قيل :

لا تدعنى الا بيا عبدها ∴ فانه أشرف أسماء

وقال آخر :

بالله ان سألوك عنى قل لهم ∴ عبدى وملك يدى وما أعتقته

قال : وذكروا أنه لم يعبر الله تعالى عن أحد بالعبد مضافا الى ضمير الغيبة المشار به الى الالوهية ، الا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى ذلك من الاشارة ما فيه .

---

(١) روح المعانى للالوسى ١٥/٤ .

أقول : قد ورد عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح ، فانما أنا عبد الله ورسوله ، فقولوا عبد الله ورسوله ، أو كما قال .

ولا مانع من أن يكون المعنى الثانى مرادا ، فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكرم الخلق على الله ، فهو سيد ولد آدم ولا فخر ، والله سبحانه وتعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وقال فى حقه : " ولسوف يعطيك ربك فترضى " (١) . وقد خصه الله عز وجل من بين سائر الانبياء بالشفاعة العظمى ، اظهارا لفضله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

هذا ومن الاكاذيب المشهورة فى قصة الاسراء ، والمعراج ، أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أراد العروج صعد على صخرة بيت المقدس ، وركب البراق ، فمالت الصخرة ، وارتفعت لتلحقه فأمسكتها الملائكة ، ففى طرف منها أثر قدمه الشريف ، وفى الطرف الاخر أثر أصابع الملائكة ، عليهم السلام ، فهى واقفة فى الهواء ، قد انقطعت من كل جهة ، لا يمسكها الا الذى يمسك السماء ، أن تقع على الارض سبحانه وتعالى (٢) .

---

(١) سورة الضحى الاية : ٥ .

(٢) روح المعانى ١٥/ ١٠ .

" فائـــــــدة "

قال فى فتح البيان [1] : اذا كان الاسراء لا يكون الا فى الليـــل ، فلابــد للتصريح بذكر الليـل من فائدة .

فقيـل : أُراد بقوله تعالى : " ليــلا " تقليل مدة الاسراء ، وأنـــه أسـرى به فى بعـض الليـل من مكة الى الشام ، مسـافة أربعين ليلة ، ووجــه دلالـة ليـلا على تقليـل المـدة ما فيه من التنكيـر الدال على البعضيـــة ، بخـلاف ما اذا قلـت : سـريت الليـل ، فانه يفيـد استيعاب السـير فيــه جميعـا .

وقد اسـتدل صاحـب الكشاف [2] على افـادة " ليـلا " للبعضية ، بقـراءة عبد الله ، وحذيفـة ، من الليـل ، أى فى جـزء قليـل من الليل . قـال : والتقليـل والتبعيـض متقاربـان ، فاسـتعمل فى التبعيض ما هـو للتقليـل .

* * *

---

(١) فتح البيـــان ٥/٣٢١ .
(٢) الـكشـــاف ٢/٤٣٦ .

" ما هي الحكمة في اسرائه الى بيت المقدس "

دون العروج به من مكة

" وما سبب تسمية مسجد القدس بالاقصى "

١) قيل الحكمة فى اسرائه الى بيت المقدس : انه محشر الخلائق .

٢) قيل انه : مجمع أرواح الانبياء .

٣) وقيل : ليخبر الناس بصفات المسجد فيصدقوه فى الباقى ، وهذا الوجه الاخير أظهر الاوجه فى نظرى ، والله أعلم .

أما سبب تسمية مسجد القدس بالاقصى فقيل :

١) سمى بالاقصى ، لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ، فهو أبعد الى من بالحجاز .

٢) وفى تاريخ القدس أنه سمى به لانه أبعد المساجد التى تزار .

٣) وقيل لبعده عن الاقذار ، والخبائث .

٤) وقيل لانه لم يكن وراءه مسجد حينئذ (١) .

أما البركة التى ذكرت حول المسجد الاقصى ، فهى دنيوية وأخروية ، الا أن البركة ليست الا حول المسجد كما أخبر ، أما فى داخل المسجد فالبركة فى كل من المسجدين ، بل هى فى المسجد الحرام أتم ، لما فى الصلاة فى المسجد الحرام من كثرة الثواب .

---

(١) فتح القدير للشوكانى ٣/٢٠٦ ، فتح البيان ٥/٣٢٢ .

قال فى تفسير الخازن : "باركنا حوله" يعنى بالثمار ، والانهار ، والاشجار ، أو بالانبياء والصالحين ، لانه أى المسجد ، كان قبلة الانبياء قبل نبينا - صلى الله عليه وسلم ، وقد سماه الله مباركا ، قال : لانه مقر الانبياء ، ومهبط الوحى ، والملائكة ، واليه يحشر الخلق يوم القيامة ، فقد بارك الله سبحانه وتعالى حول المسجد الاقصى ببركات الدنيا والاخرة (١) .

قال تعالى : "لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير" . فى هذه الاية ذكر العلة التى أسرى بالرسول - صلى الله عليه وسلم - من أجلها ، أى ما أراه الله سبحانه فى تلك الليلة من العجائب ، التى من جملتها قطع هذه المسافة الطويلة فى جزء من الليل ، ومن تبعيضية ، وانما أتى بها تعظيما لايات الله ، فان الذى رآه - صلى الله عليه وسلم - وان كان جليلا عظيما ، فما هو الا بعض بالنسبة الى آيات الله تعالى ، وعجائب قدرته (٢) ، وجليل حكمته ، كما قال القائل (٣) :

وان نظرت فى السموات العلى ∴ وما لها من الشيات والحلى
وسقفها المرفوع من غير عمد ∴ والنيرات المشرقات بالامد
وما حوته الارض والبحار ∴ أبصرت ما فيه النهى تحاره
هذا وما قد غاب عنا أكثر ∴ من البدائع التى لا تحصر

---

(١) فتح القدير للشوكانى ٣/٢٠٦ ، تفسير الخازن ٤/١٠٤ .
(٢) فتح القدير ٣/٢٠٦ .
(٣) منظومة صاحب اضاءة الدجنه ، أحمد المقرى .

(حديث خرافة لا مستند له عقلا ولا شرعا)

قال فى روح المعانى (١) : ومن العجائب ما سمعته عن الطائفة الكشفية والمهدة على الراوى أن للروح جسدين ، جسد من عالم الغيب لطيفة لا دخل للعناصر فيه ، وجسد من عالم الشهادة ، كثيف مركب من العناصر ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين عرج به ، ألقى كل عنصر من عناصر الجسد ، العنصرى فى كرته ، فما وصل الى فلك القمر حتى ألقى جميع العناصر ، ولم يبق معه الا الجسد اللطيف ، فرقى به حيث شاء الله تعالى ، ثم لما رجع عليه الصلاة والسلام ، رجع اليه ما ألقاه ، واجتمع فيه ما تفرق منه .

قال الالوسى : ولعمرى انه حديث خرافة لا مستند له شرعا ولا عقلا ، فانظر أيها القارئ ، ما أجرأ هؤلاء القوم حيث يدسون فى التفسير والحديث ما أملته عليهم مبادئهم ، وأهواؤهم ، ولو كان ظاهر الكذب مناقضا للاحاديث الصحيحة ، فلابد لطالب العلم ، وهو يقرأ كتب التفسير أن يحذر كل الحذر مما يدس فى التفسير ، فهناك أهل الاهواء ، والفرق الضالة يضعون لصالح مبادئهم لا يتورعون . وفى الآونة الاخيرة جاء من يسمى بالمستشرقين ، وحاولوا النيل والطعن فى

---

(١) روح المعانى للالوسى ١٥/١٠ .

الديـن ، بواسـطة ما دسـوه هم أنفسهم ، أو تلامذتهم ، الذين تخرجـوا على أيديهم ، وتبـوءوا المراكـز العاليـة بواسطتهم ، بعد أن أخذوا عليهم العهـود ، والمواثيـق بالطعـن فى الشـريعة الغـراء ، والـدس فيهـا ، والنيـل من صاحـب الرسـالة ـ صلى الله عليه وسـلم ـ عن طريق تشكيك أبناء المسـلمين فى أمـور دينهم ، وتـارة عن دس الامـور التافهـة الساقطة فـى سـيرة الرسـول ـ صلى الله عليه وسـلم ـ ولـكن مهما فعلـوا ، فاللـه سبحانه وتعالى حافظ لهذا الديـن ، الى أن يـرث الله الارض ومن عليهـا ، فالقـرآن العظيم لا يأتيـه الباطـل من بيـن يديـه ، ولا من خلفـه ، محفـوظ ، قال تعـالى : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون "(١) .

كما أن السـنة المطهـرة قيض الله لها رجالا ، يعرفـون صحيحهـا من غيره ، ويعرفـون الاحاديث الموضوعـة ، مهما حاول واضعوهـا اخفاءهـا فهم جهابـذة ، نقـاد ، نـور الله بصائرهـم ، لمعرفـة الحق ، وتمحيـص السـنة ، ورد ما ليس من السنة على صاحبـه ، مهما بلـغ شـأوه ، فجـزى الله أهـل العلم عن الاسـلام والمسـلمين خيرا .

* * *

---

(١) سـورة الحجـر الايـة : ٩ .

هذا .. وأختم بحث الاسراء والمعراج بحديثين ، أحدهما فى صحيح البخارى ، عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ . والثانى فى صحيح مسلم ، عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ، واقتصرت عليهما لكثرة الاحاديث ، وهذه رواية البخارى قال : باب حديث الاسراء ، وقول الله تعالى : " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا " . قال :

١) حدثنا يحى بن بكير ، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب ، حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، سمعت جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر اليه ، باب المعراج .

٢) حدثنا هدبة بن خالد ، حدثنا همام بن يحى ، حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ـ رضى الله عنهما ـ أن نبى الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حدثهم عن ليلة أسرى به ، بينما أنا فى الحطيم ، وربما قال فى الحجر مضطجعا ، اذ أتانى آت فقد ، قال وسمعته يقول : فشق ما بين هذه الى هذه ، فقلت للجارود ، وهو الى جنبى ، ما يعنى به ، قال من ثغرة نحره الى شعرته .

وسمعته يقول : من قصه الى شعرته ، فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ، ثم حشي ، ثم أتيت بدابة دون البغل ، وفوق الحمار أبيض ، فقال له الجارود ، هو البراق يا أبا حمزة ، قال أنس : نعم ، يضع خطوه ، عند أقصى طرفه ، فحملت عليه ، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا ، فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد . قيل وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء ، جاء ، ففتح ، فلما خلصت فاذا فيها آدم ، فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحبا بالابن الصالح ، والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح ، قيل من هذا ، قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة ، قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، فسلمت فردا ثم قالا : مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح . فلما خلصت ، اذا يوسف قال : هذا يوسف ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبا بالاخ الصالح ، والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟

قال : محمد . قيل : أو قد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به
فنعم المجئ جاء ، ففتح ، فلما خلصت الى ادريس قال : هذا ادريس
فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبا بالاخ الصالح ، والنبى
الصالح ، ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، قيل من هذا ؟
قال جبريل : قيل ومن معك : قال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قيل : أوقد
أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به فنعم المجئ جاء ، فلما
خلصت ، فاذا هارون ، قال هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه ،
فرد ، ثم قال : مرحبا بالاخ الصالح ، والنبى الصالح ، ثم صعد بى
حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل ،
قيل ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ، قال : نعم .
قال : مرحبا به ، فنعم المجئ جاء ، فلما خلصت ، فاذا موسى ، قال
هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ، ثم قال : مرحبا بالاخ الصالح
والنبى الصالح ، فلما تجاوزت بكى ، قيل له ما يبكيك ، قال : أبكى
لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها
من أمتى ، ثم صعد بى الى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل
من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد
بعث اليه ؟ قال : نعم . قال مرحبا به ، فنعم المجئ جاء ، فلما خلصت
فاذا ابراهيم ، قال : هذا أبوك فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه ، فرد
السلام ، قال : مرحبا بالابن الصالح ، والنبى الصالح ، ثم رفعت الى

سدرة المنتهى ، فاذا نبقها مثل قلال هجر ، واذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال هذه سدرة المنتهى ، واذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان ، فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران ، فالنيل والفرات ، ثم رفع لى البيت المعمور ، ثم أتيت باناء من خمر ، واناء من لبن ، واناء من عسل ، فأخذت اللبن ، فقال هى الفطرة أنت عليها ، وأمتك ثم فرضت على الصلوات ، خمسين صلاة ، كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال : ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وانى والله قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة ، فارجع الى ربك فأسأله التخفيف لامتك ، فرجعت فوضع عنى عشرا ، فرجعت الى موسى ، فقال مثله ، فرجعت ، فوضع عنى عشرا ، فرجعت الى موسى ، فقال مثله ، فرجعت ، فوضع عنى عشرا ، فرجعت الى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرا ، فرجعت الى موسى فقال مثله ، فرجعت ، فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت ، فقال مثله ، فرجعت ، فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت الى موسى فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم قال : ان أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وانى قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بنى اسرائيل ، أشد المعالجة ، فارجع الى ربك فلسأله

التخفيف لامتك ، قال : سألت ربى حتى استحييت ، ولكن أرضى وأسلم ، قال : فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتى ، وخففت عن عبادى (١) .

وهذه رواية مسلم فى الاسراء والمعراج ، بعد أن سمعت رواية البخارى قال : حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت البنانى ، عن أنس بن مالك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : أتيت بالبراق ، وهو دابة ، أبيض طويل ، فوق الحمار ، ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، قال : فربطته بالحلقة التى يربط به الانبياء قال : ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فجاءنى جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل - صلى الله عليه وسلم - اخترت الفطرة ، ثم عرج بنا الى السماء ، فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت : قال جبريل ، قيل : ومن معك : قال محمد ، قيل : وقد بعث اليه ، قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا ، فاذا أنا بآدم ، فرحب بى ، ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا الى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل - عليه السلام - فقيل من أنت ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا ، فاذا أنا بابنى الخالة ، عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكرياء ، صلوات الله عليهما ، فرحبا ودعوا لى بخير ،

---

(١) صحيح البخارى ٥/٦٦-٦٩ ، طبعة احياء التراث العربى .

ثم عرج بي الى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قيل : وقد بعث اليه ، قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا ، فاذا أنا بيوسف ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذ هو قد أعطى شطر الحسن ، فرحب ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا الى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ـ عليه السلام ـ ، قيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قال : وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه ، قال ففتح لنا ، فاذا أنا بادريس فرحب ، ودعا لي بخير ، قال الله عز وجل : "ورفعناه مكانا عليا" ثم عرج بنا الى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث اليه ، ففتح لنا ، فاذا أنا بهارون ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرحب ، ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا الى السماء السادسة ، فاستفتح ـ جبريل عليه السلام ـ قيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك : قال : محمد ، قيل : وقد بعث اليه ، قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا ، فاذا أنا بموسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرحب ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا الى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قيل : وقد بعث اليه ، قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا ، فاذا أنا بابراهيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسندا ظهره الى البيت المعمور ، واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون اليه ،

ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى ، واذا ورقها كآذان الفيلة ، واذا ثمرها كالقلال (١) ، قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشى ، تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، فأوحى الله الى ما أوحى ، ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، فنزلت الى موسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ما فرض ربك على أمتك ، قلت: خمسين صلاة ، قال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف ، فان أمتك لا يطيقون ذلك ، فانى قد بلوت بنى اسرائيل ، وخبرتهم ، قال : فرجعت الى ربى ، فقلت يا رب : خفف على أمتى ، فحط عنى خمسا ، فرجعت الى موسى ، فقلت : حط عنى خمسا ، قال : ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فأسأله التخفيف ، قال : فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى ـ عليه السلام ـ حتى قال يا محمد : انهن خمس صلوات كل يوم وليلة ، لكل صلاة عشر ، فذلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فان عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا ، فان عملها كتبت سيئة واحدة ، قال : فنزلت حتى انتهيت الى موسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته فقال : ارجع الى ربك فأسأله التخفيف ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : فقلت قد رجعت الى ربى فاستحييت (٢) .

---

(١) القلال : ـ بكسر القاف ـ جمع قلة ، والقلة جرة عظيمة تسع قربتين أو أكثر . النووى ٢/١٤ .

(٢) مسلم بشرح النووى ٢/٢٠٩ ـ ٢١٥ .

وبهذه الاحاديث أنهى الكلام على قصة الاسراء والمعراج فأرجو أن يكون ما كتبت فيها ، مقنعا ، لاولائك الذين ينكرونها ، أو ينكرون أن الاسراء والمعراج ، لم يكن بالجسم ، أو يلصقون بها أمورا خرافية لا أصل لها فى الشريعة ، ولم تثبت من طريق صحيح ، ولا ضعيف ، وان كنت أعلم أن الملحدين ، والمجادلين ، لا يتركون الحادهم وجدالهم ، الا اذا أراد الله ذلك .

ونهج سبيلى واضح لمن اهتدى ∴ ولكنها الاهواء عمت فأعمت
قد اسمعت لو ناديت حيا ∴ ولكن لا حياة لمن تنادى
باب الجدال عريض ليس يغلقه ∴ طول المقال فأثنى رأس ملجمه

قال تعالى : " فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور "(١).

* * *

---

(١) سورة الحج الآية : ٤٥ .

قوله تعالى : " أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى "

==================================

" التفسير التفصيلى للايات "

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى الوحى الى نبينا ، وذكر ما ذكر من آثار قدرته ، بدأ سبحانه بمحاجة المشركين ، حيث عبدوا ما لا يعقل ولا يضر ، ولا ينفع ، أى : أخبرونى عن هذه الالهة التى تعبدونها من دون الله ، هل لها قدرة توصف بها ، وهل أوحت اليكم شيئا كما أوحى الى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أم هى جمادات لا تعقل ولا تنفع .

قال أبو السعود (١) : الهمزة فى ـ أفرأيتم ـ للانكار ، والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شئونه تعالى ، المنافية لها غاية المنافاة ، والمعنى أعقب ما سمعتم من آثار كمال عظمته واحكام قدرته ، ونفاذ أمره فى الملأ الاعلى ، وما تحت الثرى ، وما بينهما رأيتم هذه الاصنام ، مع غاية حقارتها وذلتها شركاء لله على ما تقدم من عظمته .

---

(١) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ٥/ ٢٢٢ .

وقال ابن جرير[١] : أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة الثالثة بنات الله ، ويشهد له " ألكم الذكر ٠٠ الخ " ٠

وقيل في المعنى : أخبروني عن آلهتكم ، هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الاية السابقة ، وروى في معناها ، أظننتم أن هذه الاصنام التي تعبدونها تنفعكم ، أو أنها تشفع لكم في الاخرة ،

وقيل : أفرأيتم الى هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم ، وان تركتموها لا تضركم ،

والظاهر عندي ، وفي رأيي أنه الصواب هو ماذكره ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ ورأى في هذه الاية قلبية ، ومفعولها الاول واضح ، أما مفعولها الثاني فمقدر لدلالة الحال عليه[٢] ،

أوجه القراءة في اللات :

١) قرأ عامة القراء بتخفيف التاء ٠

٢) وقرأ ابن عباس ومجاهد وأبو صالح ، قال في زاد المسير[٣] : وورش عن يعقوب ٠

---

(١) تفسير ابن جرير ٣٤/٢٧ ٠
(٢) أبو السعود ٢٢٢/٥ ٠
(٣) زاد المسير ٨ / ٧٢ ٠

أقول : والظاهر أن هذا خطأ ، لان ورشا من رواة نافع ، ولعل الصواب رويس عن يعقوب ، قرأ هؤلاء اللات - بتشديد التاء - .

قال ابن جرير: أولى القراءتين ، قراءة من قرأ - بالتخفيف ، قال : لاجماع الحجة من القراء عليه(١) .

٣) وقرأ الدوري عن الكسائي ، والبزي عن ابن كثير ، "أفرأيتم اللاه" بالهاء في الوقف(٢) .

قال ابن جرير(٣) : واختلف أهل العربية في وجه الوقف على اللات :

١) فكان بعض أهل النحو من أهل البصرة يقول : اذا سكت فقل اللات بالتاء ، ولغة العرب يسكتون على ما فيه الهاء بالتاء ، يقولون : رأيت طلحت ، وكل شيء مكتوب بالهاء يقفون عليه بالتاء .

٢) وبعض النحويين من أهل الكوفة يقف على "اللات" بالهاء فيقول : في الوقف : أفرأيتم "اللاه" الى أن قال ابن جرير : ان أفشى اللغات ، وأكثرها في العرب :

---

(١) ابن جرير الطبري في تفسيره ٣٥/٢٧ .
(٢) القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ١٠١/١٧ .
(٣) ابن جرير ٣٥/٢٧ .

١ - هو الاختيار فى كل ما لم يضف أن يكون الوقف عليه بالهاء ..

٢ - وما كان مضافا فجائز - الوقف عليه - بالهاء ، وبالتاء أيضا ، فوجه الوقف بالتاء للاضافة ، ووجه الوقف بالهاء ، لانه يفرد ويوقف عليه .

قال فى القاموس[١] : "واللات" مشددة التاء -صنم- ، وقرأ بها ابن عباس وعكرمة وجماعة ، سمى بالذى كان يلت عنده السويق بالسمن .

وفى الصحاح : "اللات" اسم صنم ، كان لثقيف ، وكان بالطائف ، فبعض العرب يقف عليها بالتاء ، وبعضهم بالهاء ، وهذه الاصنام الثلاثة ، قد اشتهرت عند العرب ، من بين تلك الاصنام الكثيرة وقد عظم اعتقادهم فيها ، أكثر من غيرها .

الاختلاف فى اشتقاقها ، ومن أين أخذت ، ولمن هى من العرب ، وأين أماكنها :

قال الواحدى : كانوا يشتقون لها أسماء من أسماء الله تعالى ، فقالوا : من الله "اللات" ، ومن العزيز "العزى" ، وهو تأنيث الاعز ، بمعنى العزيز[٢] .. ومناة من منى الله الشئ اذا قدره ، قيل : أصل اللات من لات يليت فألفها عن ياء لوجود ليت ، فالتاء فيه أصلية[٣] ، وقيل :

---

(١) القاموس ١٥٦/١ ، طبعة دار الفكر .
(٢) فتح البيان ١٦٨/٩ .
(٣) الفتوحات الالهية ٢٢٩/٤ .

زائدة ، وأصله لويه ، من لوى يلوى ، فألفها من واو ، لانهم كانوا يلوون أعناقهم اليها ، أو يلتوون عاكفين عندها ، ويطوفون بها .

قال القرطبى (١) : كانت " اللات " لثقيف ، " والعزى " لقريش ، وبنى كنانة ، ومناة لبنى هلال .

وقال هشام : كانت مناة لهذيل وخزاعة ، فبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليا ـ رضى الله عنه ـ فهدمها عام الفتح .

قال : ثم اتخذوا اللات بالطائف (٢) . وهى أحدث من مناة وهى صخرة مربعة ، وكان سدنتها من ثقيف (٣) .

وكانوا قد بنوا عليها بناء ، فكانت قريش وجميع العرب تعظمها ، ولم تزل كذلك الى أن أسلمت ثقيف ، فبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المغيرة بن شعبة لهدمها وحرقها ففعل .

قال القرطبى (٤) : أما العزى ، فهى أحدث من اللات ، اتخذها ظالم بن أسعد ، وكانت بوادى نخلة الشامية ، فوق ذات عرق ، وقد بنوا عليها بيتا .

---

(١) القرطبى ١٧/٩٩ .
(٢) ابن جرير ٢٧/٣٥ .
(٣) قال فى القاموس : سدن سدنا وسدانة : خدم الكعبة ، أو بيت الصنم ، فهو سادن ، والجمع : سدنة ٤/٢٣٤ .
(٤) القرطبى ١٧/٩٩ .

ذكر فى البحر المحيط (١) : كانت العزى شيطانة تأتى ثلاث سمرات ببطن نخلة ، فلما افتتح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة ، بعث خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ فقال (ائت بطن نخلة) ، فانك تجد ثلاث سمرات ، فاعضد الاولى ، فأتاها فعضدها ، فلما جاء اليه قال : هل رأيت شيئا ؟ قال : لا . قال : فاعضد الثانية ، فأتاها فعضدها ، ثم أتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : هل رأيت شيئا ؟ قال : لا ، قال : فاعضد الثالثة ، فأتاها فاذا هو بحبشية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها تصرف بأنيابها ، وخلفها دبية السلمى ، وكان سادنها فقال :

ياعز كفرانك لا سبحانك ... انى رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها ، فاذا هى حممة ، ثم عضد الشجرة ، وقتل دبية السادن ، ثم أتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره فقال : تلك العزى ولن تعبد أبدا .

وقال سعيد بن جبير : العزى حجر أبيض كانوا يعبدونه ، ومناة صنم لخزاعة ، وقيل لهذيل ، وقيل : انها كانت للانصار ، وعن ابن عباس أن اللات اسم رجل كان يلت السويق للحاج (٢) ، فلما مات عكفوا على

---

(١) البحر المحيط ٨/١٦١ ، الالوسى ٢٧/٥٥ وعزا الحديث للنسائى وفتشت عنه ولم أجده .

(٢) البخارى مع فتح البارى ١٠/٢٣٥ .

قبره ، فعبدوه ، وقيل : كان يبيع السويق والسمن عند صخرة ، ويصبه عليها ، فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة ، اعظاما لصاحب السويق ، وقيل : انه كان رجلا في شعف (١) من الجبال له غنم يسلي (٢) منها السمن ، ويأخذ الاقط (٣) منها ويجمع رسلها (٤) ثم يتخذ منها حيسا (٥) فيطعم الحاج .

وقيل : كان رجل من ثقيف ، يقال له صرمة بن غنم ، وقيل غير ذلك .

قال الشاعر : ينهى ثقيفا عن العود الى عبادة اللات :

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها ❊ وكيف ينصركم من ليس ينتصر (٦)

أقول : وقد رأيت الاختلاف في المراد باللات والعزى ، والاختلاف في اماكنهم ، ويمكن الجمع أن تكون أصناما سميت باسم اللات ، فأخبر كل عن صنم بمكانه ، وهكذا يقال في العزى .

قال في البحر المحيط (٧) : والذي يظهر أنها كانت ثلاثتها في الكعبة لان المخاطب في ذلك بقوله " أفرأيتم " هم قريش .

---

(١) رأس الجبل . القاموس ٣/ ١٦٤ .
(٢) بمعنى يتخذه منها .
(٣) الاقط : محركه مثلثة يتخذ من المخيط الغنمي . القاموس ٢/ ٣٦٢ .
(٤) الرسل : ـ بالكسر ـ اللبن ما كان . القاموس ٣/ ٣٩٥ .
(٥) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط . مختار الصحاح ١/ ١٦٥ .
(٦) فتح البيان ٩/ ١٦٩ ، القرطبي ١٧/ ١٠٠ .
(٧) البحر المحيط ٨/ ١٦١ .

وجهـا القـراءة فى منـــاة :

١) قـرأ الجمهور مناة ، بدون هـمز مقصورة .

٢) وقرأ ابن كثير منـاءة ـ بالمد والهمز ـ كما فى قولـــه :

ألا هل أتى تيم بن عبد منـاءة ... على النـأى فيما بيننا ابن تميـم

ـ ووزنها فعلـة على قـراءة الجمهور ، وسـميت بذلك ، لان دمـــاء النسائك [١] كانت تمـنى عندها ، أى تراق ، وبذلك سميت مـنى لكثرة ما يـراق عندهـا من الدمـاء [٢].

ـ وقيل وزنها مفعلـة ، فالالف منقلبـة عن واو ، كما فى مقالة ، والهمـز أصـل ، وهـى مشـتقة من النـوء على قـراءة ابن كثير ، كأنهم كانـوا يسـتمطرون عندهـا الانواء تبركا بها [٣].

الوقـف علـى منـاة :

١) وقف جمهور القراء عليها بالتـاء اتباعـا لرسم المصحـف .

٢) ووقف عليها ابن كثير وابن محيصن بالهاء [٤].

قال فى الصحاح : ومناة اسم صنم كان بين مكة والمدينة ، والهاء فيها للتأنيث ، ويسكت عليها بالتـاء .

---

(١) النسائك : جمع نسيكة ، أى ذبيحة ، ما يتقرب به . قال تعالى : " قـل ان صلاتـى ونسكى " . الاية من سورة الانعام : ١٦٢ .

(٢) القرطبـى ١٧/١٠١ .

(٣) البحر المحيط ٨/١٦١ ، روح المعانى ٢٧/٥٥ .

(٤) فتح القدير للشوكانى ٥/١٠٥ .

" تنبيهـــــــات "

التنبيـــــه الاول :

قوله " مناة الثالثة الاخرى " . قال الفخر الرازي [(١)] : الاخـــر لا يصح أن يقال ، الا اذا كان الاول مشاركا للثانـي ، فلاتقول : رأيت امـرأة ورجـلا آخـر ، وتقـول : رأيـت رجـلا ، ورجـلا آخـر ، لاشتراك الاول والثاني في كـونهما من الرجال ، وقوله سبحانه وتعالى هنا " الثالثة الاخرى " يقتضي على هـذه القاعـدة أن تكون العـزى ثالثـة أولى ، ومنـاة ثالثـة أخـرى ، وليـس كذلك .

وقد أجاب علماء التفسير عن هـذا بوجـوه اخترنا منها الاتي :

١) " الاخـرى " كما هي تستعمل للذم . قال الله تعالى : " وقالـت أولاهـم لأخراهـم " [(٢)] . أي لمتأخرتهـم ، وهـم الاتباع ، ويقـال لهم الاذنـاب لتأخرهـم في المراتـب ، فهي صفة ذم ، كأنه تعالـى يقـول : ومنـاة الثالثـة المتأخـرة الذليلـة ، وعلى هـذا ، فللاصنام الثلاثـة ترتيب ، فالاول كان وثنا على صورة آدمي ، والعزى صورتهـا صـورة نبـات ، ومنـاة صورتها صـورة صخـرة ، وهـي جمـاد ، فالادمـي أشـرف من النبات ، والنبات أشـرف من الجماد ، فالجمـاد متأخر ، والمناة جماد ، فهي في الاخريـات من المراتب [(٣)] .

---

(١) التفسـير الكبير ٢٩٦/٢٧ .
(٢) سـورة الاعـراف الايـة : ٣٩ .
(٣) القرطبي ١٠٢/١٧ ، فتح القدير ١٠٥/٥ ، زاد المسير في علم التفسير ٧٢/٨ .

٢) أن فى الكلام محذوفا ، تقديره " أفرأيتم اللات والعزى " المعبودين بالباطل ، " ومناة الثالثة " المعبودة الاخرى .

٣) هل التنبيه أن الاصنام ، كان فيها كثرة ، واللات والعزى اذا أخذتا متقدمتين ، فكل صنمة توجد فهى ثالثة ، فهناك ثوالث ، فكأنه يقول : لهما ثوالث كثيرة ، وهذه ثالثة أخرى .

٤) فى الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : ومناة الاخرى الثالثة .

التنبيه الثانى :

ما فائدة الاتيان بالفاء فى هذه الاية : " أفرأيتم اللات " وقد استعمل فى مواضع من القرآن بغير الفاء كقوله تعالى : " قل أرأيتم ما تدعون من دون الله "(١) .

والجواب : أن الفاء هنا جاءت للتعقيب لما قدم من عظمة آيات الله فى ملكوته أن رسول الله الى الرسل الذى يسد الافاق ببعض أجنحته ، ويهلك المدائن بشدته ، وقوته ، لا يمكنه أن يتعدى السدرة فى مقام جلال الله وعزته(٢) .

---

(١) سورة الزمر الاية : ٣٨ .

(٢) التفسير الكبير ٢٩٧/٢٧ .

قال: أفرأيتم هذه الاصنام مع ذلتها وحقارتها شركاء الله مع ما تقدم ، فجاء بالفاء ، أى عقب ما سمعتم من عظمة آيات الله تعالى الكبرى ، ونفاذ أمره ، فى الملأ الاعلى ، وما تحت الثرى ، فانظروا الى اللات والعزى ، تعلموا فساد ما ذهبتم اليه وعولتم عليه .

التنبيه الثالث :

أين تتمة الكلام الذى يفيد فائدة ما ؟

والجواب : أنه محذوف تقديره : أفرأيتم هذه حق الرؤية ، فان رأيتموها علمتم ، أنها لا تصلح شركاء نظير ذلك ، ما يذكر فيمن ينكر كون ضعيف يدعى ملكا يقول لصاحبه : أما تعرف فلانا مقتصرا عليه مشيرا الى بطلان ما يذهب اليه[1] .

* * *

(١) أبو السعود ٥/٢٢٢ ، الفخر الرازى ٢٧/٢٩٧ .

قوله تعالى : " أفرأيتم اللات والعزى " .

الى قوله تعالى : " تلك اذا قسمة ضيزى " .

وقوله تعالى : " ألكم الذكر وله الانثى " .

قال سبحانه وتعالى على جهة التقريع والتوبيخ " ألكم الذكر وله الانثى " ، ردا على قولهم الملائكة بنات الله والاصنام بنات الله (١) .

وأورد صاحب الشهاب على البيضاوى هنا اشكالا ، وأجاب عنه قولهم الملائكة بنات الله ، فانه اذا أريد به ذلك يكون مغايرا للاصنام ، فلا يصح قوله انه فى محل المفعول الثانى ، كما قيل .

قال : ويدفع بأنه حينئذ انكار لبنات الله كلها ، ومن جملتها ما حل فى هذه ، وهو المقصود منها ، فكانه عينها ، فالرابط حينئذ العموم فى الخبر الشامل للمبتدأ ، فانه أحد الروابط كما حققه النحاة (٢) .

والمعنى : أى كيف تجعلون لله ما تكرهون من الاناث ، وتجعلون لانفسكم ما تحبون من الذكور .

وقيل : ان ذلك قولهم الملائكة بنات الله .

وقيل : المراد كيف تجعلون اللات والعزى ومناة ، وهى اناث ، فى زعمكم شركاء لله ، ومن شأنهم أن يحتقروا الاناث (٣) .

---

(١) القرطبى ١٧/١٠٢ .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوى ٨/١١٣ .

(٣) فتح البيان ٩/١٦٨ ، فتح القدير للشوكانى ٥/١٠٨ .

قال أبو السعود (١) : شهادة بينة ، فانه توبيخ مبنى على التوبيخ الاول ، وحيث كان مداره تفضيل جانب أنفسهم على جانبه تعالى ، بنسبتهم اليه تعالى الاناث ، مع اختيارهم لانفسهم الذكور ، وجب أن يكون مناط الاول نفى تلك النسبة ، حتى يتسنى بناء التوبيخ الثانى عليه .

وظاهر أن ليس فى شىء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا أثر ، قال : وأما ما قيل : من أن هذه الجملة " ألكم الذكر وله الانثى " مفعول ثان للرؤية ، وخلوها عن العائد الى المفعول الاول ، لما أن الاصل أخبرونى : أن اللات والعزى ومناة ، ألكم الذكر وله هن ، أى تلك الاصنام ، فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل ، وتحقيق مناط التوبيخ ، فمع ما فيه من التمحلات التى ينبغى تنزيه ساحة التنزيل عن أمثالها يقتضى اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جانب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه .

قال ابن كثير (٢) : التقدير : أى أتجعلون له ولدا ، وتجعلون ولده أنثى ، وتختارون لانفسكم الذكور .

وقال فى البحر المحيط (٣) : المعنى : ألكم النوع المحبوب المستحسن الموجود فيكم ، وله النوع المذموم بزعمكم ، وهو المستثقل . قال : وحسن ابراز

---

(١) أبو السعود ٢٢٢/٥ ، روح المعانى ٥٦/٢٧ .

(٢) ابن كثير ٢٥٤/٤ .

(٣) أبو حيان ١٦١/٨ .

الانثى كونه نصا فى اعتقادهم أنهن اناث ، وأنهن بنات الله تعالى الله ، وان كان فى الحاق تاء التأنيث فى اللات ، وفى مناة ، وألف التأنيث فى العزى ، ما يشعر بالتأنيث ، لكنه قد سمى المذكر بالمؤنث ، فكان فى قوله الانثى نص على اعتقاد التأنيث فيها .

وحسن ذلك أيضا ، كونه جاء فاصلة ، اذ لو أتى ضميرا ، فكان التركيب ألكم الذكر وله هن لم تقع فاصلة (١) .

وقال الزجاج : وجه تلفيق هذه الاية مع ما قبلها أن تقول : أخبرونى عن آلهتكم ، هل لها شىء من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة فى الآى السالفة .

قال أبو حيان (٢) : فجعل المفعول الثانى لأفرأيتم جملة الاستفهام التى قدرها ، وحذفت لدلالة الكلام السابق عليها ، وعلى تقديره : يبقى قوله تعالى : " ألكم الذكر وله الانثى " متعلقا بما قبله من جهة المعنى ، لا من جهة الاعراب ، كما قرر ذلك صاحب البحر .

أقول : ولو قال الزجاج : وجه انتظام هذه الاية مع ما قبلها ، أو اتصالها لكان أولى ، من حيث الادب مع القرآن الكريم ، كما نص على ذلك فى البحر ،

---

(١) قال فى القاموس : أواخر آيات التنزيل فواصل ، بمنزلة قوافى الشعر ، الواحدة فاصلة ٤/ ٣٠ .

(٢) البحر المحيط مع الدر اللقيط ٨/ ١٦٢ .

لان التلفيق يدل على أن الكلام فيه نقص ، أو كان يحتاج الى ترابط ، وكلام الله تعالى كامل مترابط ، لا يليق فيه أن يقال تلفيق ، والله أعلم .

وقد ذكر ابن عطية ، كلاما هنا لم أره لغيره ، وقد رد عليه أبو حيان ولابد من ذكره للفائدة .

قال ابن عطية : أفرأيتم خطاب لقريش وهى من رؤية العين ، لانه أحال على أجرام مرئية ، ولو كانت أرأيت التى هى استفتاء لم تتعد ،

أقول : استدل ابن عطية على أن رأى هنا بصرية بأمرين :

أحدهما : أنه أحال على شىء من الاجرام ، وعلى هذا فرأى التى بمعنى ؛ أخبرنى التى يسميها ابن عطية استفتاء ، لم تقع على الاجرام فى نظره .

الثانى : أن ابن عطية يرى : أن رأى التى بمعنى أخبرنى ، والتى يسميها استفتاء لا تتعدى .

قال صاحب البحر (١) : يعنى ابن عطية بالاجرام ، اللات والعزى ومناة .

قال: وأرأيت التى هى استفتاء بمعنى أخبرنى تقع على الاجرام، نحو أرأيت زيدا ما صنع .

---

(١) البحر المحيط مع الدر اللقيط ١٦٢/٨ مع تصرف أحيانا فى بعض كلامه .

قال: وقوله : ولو كان أرأيت التي هي استفتاء ، بمعنى التي تقول النحاة فيها أنها بمعنى أخبرني ، لم تتعد ، والتي هي بمعنى الاستفتاء تتعدى الى اثنين ، أحدهما منصوب ، والاخر في الغالب جملة استفهامية قال أبو حيان : ودل كلام ابن عطية على أنه لم يطالع ما قاله الناس في أرأيت ، اذا كانت استفتاء على اصطلاحه ، وهي التي بمعنى أخبرني .

وجها الاعراب في هذه الاية :

" أفرأيتم اللات والعزى .. " الخ .

١) اللات والعزى : مفعول أول لافرأيت ، ومفعولها الثاني جملة " ألكم الذكر وله الانثى " ولم يعد ضمير من جملة الاستفهام على " اللات والعزى ومناة " ، وان كان الاصل ، لان قوله ، وله الانثى هو في معنى ، وله هذه الاناث فأغنى عن الضمير .

٢) وقيل : ان المفعول الثاني لافرأيتم جملة استفهام محذوفة دل الكلام السابق عليها ، فيكون التقدير : أخبروني عن آلهتكم ، هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السالفة (١) .

---

(١) البحر المحيط ١٦١/٨ ، روح المعاني ٥٦/٢٧ ، تفسير الجلالين مع الفتوحات الالهية ٢٣٠/٤ .

قوله تعالى : " تلك اذا قسمة ضيزى "

تلك اشارة الى القسمة المفهومة من الجملة الاستفهامية .

قال فى التفسير الكبير (١) : ويحتمل أن يقال : معناه تلك النسبة قسمة وذلك لانهم ما قسموا ، وما قالوا لنا البنون وله البنات ، وانما نسبوا الى الله البنات ، وكانوا يكرهونهن كما قال تعالى : " ويجعلون لله ما يكرهون " (٢) فلما نسبوا الى الله البنات حصل من تلك النسبة قسمة جائرة .

يقول جل ثناؤه : قسمتكم هذه قسمة جائرة ، غير مستوية ناقصة غير تامة ، لانكم جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لانفسكم ، وآثرتم أنفسكم بما ترضونه .

تقول العرب : ضزته حقه ـ بكسر الضاد ـ ، وضزته ـ بضمها ـ فأنا أضيزه ، وأضوزه ، وذلك اذا نقصته حقه ومنعته ، قال الشاعر :

فان تنأ عنا ننقصك وان تغب ... فسهمك مضئوز وأنفك راغم

ومن العرب من يقول : ضيز ـ بفتح الضاد ـ وترك الهمز فيهما .
ومنهم من يقول : ضأز ـ بالفتح والهمز ـ وضئوزى ـ بالضم والهمز ـ .
قال ابن جرير : ولم يقرأ أحد بشىء من هذه اللغات (٣) .

---

(١) التفسير الكبير ٢٩٧/٢٨ .
(٢) سورة النحل الاية : ٦٢ .
(٣) ابن جرير ٣٦/٢٧ ، والقرطبى ١٠٢/١٧ .

وأما الضيزى ـ بكسر الضاد ـ فانها فعلى ـ بضم الفاء ، وانما كسرت الضاد منها كما كسرت من قولهم ، بيض ، وعين ، لان واحدها بيضاء ، وعيناء ، ليؤلفوا بين الجمع والاثنين والواحد .

قال ابن جرير (١) : وكذلك كرهوا ضم الضاد من ضيزى ، فتقول : ضورى مخافة ، أن تصير بالواو ، وهى من الياء .

وقال الفراء : انما قضيت على أولها بالضم ، لان النعوت للمؤنث تأتى اما بفتح ، وأما بضم ، فالمفتوح سكرى ، وعطشى ، والمضموم الانثى والحبلى ، فاذا كان اسما ليس بنعت كسر أوله كقوله تعالى : " وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين " (٢) . كسر أولها ، لانها اسم ليس بنعت ، وكذا الشعرى .

قال فى حاشية الشهاب / على البيضاوى : وقد اختلف فيها ـ يعنى ضيزى ـ فقيل ياؤها أصلية ، وقيل مبدلة من واو على أنه واوى ، وقد تهمز ووزنه ، قيل فعلى ـ بضم الفاء ـ كسرت لتسلم الياء على القول المشهور فيه ، ولم تجعل فعلى بالكسر ابتداء ، لان مذهب سيبويه ان فعلى بالكسر لم يجئ عن العرب فى الصفات ، فلذا جعله منقولا عن المضموم ، فانه شائع فيها كحبلى ، ولذا قيل : انه مصدر كذكرى وصف به مبالغة ، وخالفه

---

(١) ابن جرير ٢٧/٣٦ .

(٢) سورة الذاريات الاية : ٥٥ .

غيره متمسكا بأنه ورد صفة أيضا فى ألفاظ أربعة حكاها وهى : مشية حيكى ، وامرأة عزهى ، وسعلى ، وكيصى . ورد بأن هذا من النوادر ، فالحمل على الكثير المطرد فى بابه أولى ، وأيضا أن يقول فى حيكى وكيصى ، ما قاله فى ضيزى ، وأما عزهى ، وسعلى ، فالمسموع فيه عزهاة ، وسعلاة (١) .

" لطيفتان "

١) الاولى : "اذا" فى قوله تعالى : "تلك اذا قسمة " جواب ماذا ؟

قال فى التفسير الكبير : يحتمل وجهين :

١ - نسبتكم البنات الى الله تعالى اذا كان لكم البنون قسمة ضيزى .

٢ - نسبتكم البنات الى الله تعالى مع اعتقادكم أنهن ناقصات ، واختياركم البنين مع اعتقادكم أنهم كاملون ، اذا كنتم فى غاية الحقارة ، والله تعالى فى نهاية العظمة قسمة ضيزى .

٢) اللطيفة الثانية : اذا قيل : ما أصل اذا قلنا هو اذا التى للظرف قطعت الاضافة عنها فحصل فيها تنوين ، وبيانه أنك تقول : آتيك اذا طلعت الشمس ، فكأنك أضفت اذ لطلوع الشمس ، وقلت :

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوى ٨/ ١١٣ ، روح المعانى ٢٧/ ٥٧ .

آتيك وقت طلوع الشمس ، فاذا قال قائل : آتيك ، فتقول له : اذا أكرمك ، أى اذا آتيتنى أكرمك ، فلما حذفت الاتيان لسبق ذكره فى قول القائل أتيت بدله بتنوين ، وقلت : اذن كما تقول : وكلا آتيناه .

القراءة فى "ضيزى" :

١) قرأ جمهور السبعة ، عاصم ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائى "ضيزى" بكسر الضاد من غير همز .

٢) وقرأ ابن كثير ـ بكسر الضاد ـ لكنه همز .

٣) وقرأ أبى بن كعب ومعاذ القارىء ، وزيد بن على "ضيزى" ـ بفتح الضاد والياء الساكنة ـ (١) .

قال صاحب البحر المحيط : وجه قراءة الجمهور أنه صفة على وزن فعلى ، بضم الفاء ، كسرت لتصح الياء ، ووجه قراءة ابن كثير على انه مصدر كذكرى ، ووجه قراءة الباقين على أنه مصدر كدعوى ، وصف به ، أو وصف كسكرى ، وناقة خرمى .

* * *

---

(١) زاد المسير فى علم التفسير ٨/ ٧٣ ، البحر المحيط ٨/ ١٦٢ ، الفتوحات الالهية ٤/ ٢٣٠ .

" المعنى الاجمالي للآيات "

يقول سبحانه وتعالى لقريش منكرا عليهم أخبروني عن هذه الالهة التي زعمتموها آلهة ، هل لها قدرة توصف بها ، وهل أوحت اليكم شيئا ، بل انها جمادات لا تعقل ، ولا تسمع ، ولا تنفع ، ولا تضر، فكيف تجعلونها لله شركاء ، أو تجعلونها بنات الله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . أعقب ما سمعتم من آثار قدرته ، وعظمته ، وعلو شأنه ، واحكام قدرته ونفاذ أمره في الملأ الاعلى ، وما تحت الثرى ، وما بين ذلك ، رأيتم هذه الاصنام مع حقارتها ، وذلتها شركاء لله ، وكيف تجعلون لله ما تكرهون من الاناث ، وتجعلون لانفسكم ما تحبون من الذكور ، انها والله نسبة ، وقسمة جائرة ، ناقصة عوجاء ، غير عادلة ، كيف لا ؟ وفيها نسبة الادنى للاعلى ، ولو كان هذا بالعقل فقط ، لكان العقل يقول : بدهيا في القسمة الصحيح : أن ينسب الاعلى في زعمهم، لله عز وجل ، تعالى الله عن ذلك كله ، وينسب الادنى ، للادنى ، فالله سبحانه وتعالى منزه عن الولد " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " . فهو الله سبحانه وحده ، متفرد بالكمال المطلق والديمومة ، هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، منزه عن جميع النواقص، " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " (١) . " بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم

---

(١) سورة الشورى الاية : ١١ .

لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل "(١) .

قال تعالى منكرا عليهم مقالتهم هذه الشنعاء " ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون ، للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم ، ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون "(٢) .

ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون ، فهؤلاء الكفار الذين اتخذوا من دون الله آلهة ، وزادوا فى الشناعة بنسبة الولد الى الله ، ونسبة الانثى التى يشمئزون منها ويكرهونها لا شك أنهم لا عقول لهم ، فلو كانت العقول وحدها يتوصل بها الى الحق ، لوصل هؤلاء الى الحق ، ولكن العقل وحده لا يوصل الى الغاية المطلوبة ، فلابد من توفيق الله وحده ، والا لتاه العقل ، وانحط ، كما حصل لهؤلاء ، فمن يدعى بعد هذا ، أن العقل يحسن أو يقبح فى الامور النقلية ـ الشرعية ،

---

(١) سورة الانعام الاية : ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) سورة النحل الاية : ٥٧ ـ ٦٢ .

فانما هو زائغ غير مستنير بالوحيين الكتاب والسنة ، بل انما المدار على الاوامر الشرعية ، والنواهي ، فما أمرنا بفعله فهو الحسن ، وما نهينا عنه فهو القبيح شرعا ، وصدق القائل [١] :

فما لعقل وحده توصل ∴ الى قبيح أو الى ما يجمل

بل ما بفعله أمرنا فالحسن ∴ وضده انقاد لقبح بالرسن

وقد خص سبحانه وتعالى هذه الاصنام الثلاثة بالذكر لكونها كانت مشهورة عند العرب من بين تلك الاصنام ، والاوثان التي كانت موجودة عندهم بكثرة ، تنبيها على أنها اذا كانت هذه الثلاثة المشهورة المعروفة عندكم لا تنفع ولا تضر ، ولا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ، فأحرى أن تنفع من يعبدها من دون الله ، فغيرها من الاصنام ، والاوثان ، التي لم تكن بشهرتها عند العرب أجدر بأن لا يتعلقوا به ، ويعلموا أنه لا يغني عنهم من الله شيئا ، سواء كان ذلك الذي اتخذوه من دون الله ، صنما على صورة رجل صالح ، أم غيره ، من معبوداتهم الاخرى ، كالاحجار والاشجار وغير ذلك .

* * *

---

(١) القائل هو أحمد المقري في منظومته " اضاءة الدجنه " .
وقد ذكر القرطبي هذا المعنى . القرطبي ١/ ٢٦٥ .

قال تعالى : " ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان "

==================================

" التفسير التفصيلى للآيات "

قوله تعالى : " ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم " .

" ان " بمعنى النفى - أى ما هى - يعنى الاوثان - الا أسماء سميتموها ، يعنى نحتموها وسميتموها آلهة ، قلد فيها الاخير الاول ، وتبع الابناء فى ذلك الآباء ، وفى هذا من التحقير لشأنها مالا يخفى ، كما تقول فى تحقير رجل : ما هو الا اسم اذا لم يكن مشتملا على صفة معتبرة (١) .

وقيل : ما الاوثان (٢) ، أو الاصنام (٣) باعتبار ما تدعونه من كونها آلهة الا أسماء محضة ، ليس فيها شئ من معنى الالوهية التى تدعونها ، لانها لا تبصر ، ولا تسمع ، ولا تعقل ، ولا تفهم ، ولا تضر ، ولا تنفع ، فهى تسميات ألقيت على جمادات لا معنى تحتها (٤) .

---

(١) القرطبى ١٧/١٠٣ ، فتح القدير ٥/١٠٩ .
(٢) الوثن : فى اللغة محركة الصنم ، جمع وثن : أوثان . القاموس ٤/٢٧٦ .
(٣) الصنم : فى اللغة خبث الرائحة وفسوء العبد ، والوثن يعبد ، معرب القاموس ٤/١٤٢ .
(٤) زاد المسير فى علم التفسير ٨/٧٣ ، فتح البيان ٩/١٧ .

وقال البيضاوى : الضمير للاصنام ، أى ما هى باعتبار الالوهية الا أسماء تطلقونها عليها ، لانكم تقولون : انها آلهة ، وليس فيها شىء من معنى الالوهية .

٢) أو الضمير راجع للصفة التى تصفونها بها من كونها آلهة ، وبنات وشفعاء ، أى ليست الصفة المذكورة ، أو ليس صفتها المذكورة الا مجرد تسمية لا حقيقة لها .

وقال الشهاب : ان المعنى الاول راجع الى الثانى .

٣) أو الضمير راجع الى الاسماء المذكورة ، فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها ، والعزى لعزتها ، ومناة لاعتقادهم أنها تستحق أن يتقرب اليها بالقرابين [١] .

وقال الالوسى [٢] : فى تفسيره : قوله " سميتموها " صفة للاسماء ، وضميرها لها لا للاصنام ، والمعنى : جعلتموها أسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى ، فاذا قيست الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى ، وان قيست الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم ، وانما اختير ههنا المعنى الاول ، من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الاصنام التى يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس

---

(١) البيضاوى مع الشهاب ٨/١١٣ .

(٢) الالوسى ٢٧/٥٧ .

لها مسميات قطعا ، كما فى قوله سبحانه وتعالى : " ما تعبدون من دونه الا أسماء " (١) . لا أن هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية .

قال أبو البقاء فى قوله تعالى : " ان هى الا أسماء " يجب أن يكون المعنى ذوات أسماء لقوله : سميتموها ، لان الاسم لا يسمى (٢) .

الاعـــراب :

سميتموها : تطلب مفعولين .

مفعولها الاول : محذوف تقديره سميتم بها أنتم وآباؤكم أصناما .

ومفعولها الثانى : هو الهاء فى سميتموها .

والواو فى سميتموها فاعل ، وأنتم ضمير فصل ، فى محل رفع تأكيد للواو فى سميتموها ، جئ به لاجل التوصل لعطف وآباؤكم عليهما .

قال ابن مالك :

وان على ضمير رفع متصل ∴ عطفت فافصل بالضمير المنفصل (٣)

* * *

---

(١) سورة يوسف الاية : ٤٠ .

(٢) الفتوحات الالهية : ٤/ ٢٣٠ .

(٣) منهج السالك الى ألفية ابن مالك ، الاشمونى ٢/ ٤٢٩ .

تنبيهات ذكرها في التفسير الكبير :

١) الاول : ما الفائدة في قوله تعالى : " سميتموها " مع أن جميع الاسماء أو بعضها هم الذين وضعوها فلم ينكر عليهم .

قال في المسألة خلاف ، ولكن الذم لا يتم الا بقوله : " ما أنزل الله بها من سلطان " . وتوضيح ذلك أن الاسماء لا تخلو من أحد أمرين :

١ ــ اما أن ينزلها الله تعالى فلا كلام فيها .

٢ ــ واما أن يضعها للتفاهم .

فينبغي أن لا يكون في ضمن تلك الفائدة مفسدة أعظم منها ، لكن ايهام النقص في صفات الله تعالى أعظم منها ، فالله تعالى ما جوز وضع الاسماء للحقائق ، الا حيث تسلم عن المحرم ، فلم يوجد في هذه الاسماء ، دليل نقلي ، ولا وجه عقلي ، لان ارتكاب المفسدة العظيمة لاجل المنفعة القليلة لا يجوزها العاقل ، فاذن " ما أنزل الله بها من سلطان " ووضع الاسم لا يجوز الا بدليل نقلي أو عقلي ، وهو أنه يقع خاليا عن وجوه المضار الراجحة (١) .

قال في قواعد المنهج :

درء المفاسد مقدم على ٠٠ جلب المصالح كما قد نقلا (٢)

---

(١) التفسير الكبير ٢٨/٢٩٩ ، والفتوحات الالهية ٤/٢٣٠ .
(٢) مخطوطة في قواعد الفقه .

٢) الثانى : كيف قال : " سميتموها أنتم " ؟ مع أن هذه الاسامى لاصنامهم كانت قبلهم ؟ .

قال : فى ذلك لطيفة ، وهى أنهم لو قالوا : ما سميناها ، وانما هى موضوعة قبلنا قيل لهم : كل من يطلق هذه الالفاظ فهو كالمبتدئ الواضع ، وذلك لان الواضع الاول لهذه الاسماء لما لم يكن واضعا لها بدليل عقلى لم يجب اتباعه ، فمن يطلق اللفظ ، لان فلانا أطلقه لا يصح منه ، كما لا يصح أن يقول أضلنى الاعمى ، ولو قاله ، لقيل له : بل أنت أضللت نفسك ، حيث اتبعت من عرفت أنه لا يصلح للاقتداء به .

٣) الثالث : قال : الاسماء لا تسمى ، وانما يسمى بها ، فكيف قال " سميتموها " ؟ ذكر جوابين عن ذلك ، أحدهما : لغوى ، والثانى معنوى .

١ ــ أما اللغوى : فهو أن التسمية وضع الاسم ، فكأنه قال : أسماء وضعتموها ، فاستعمل سميتموها استعمال وضعتموها ، ويقال سميته زيدا ، وسميته بزيد ، فسميتموها بمعنى سميتم بها .

٢ ــ أما الجواب المعنوى عن السؤال فهو أنه لو قال : أسماء سميتم بها لكان هناك غير الاسم شئ يتعلق به الباء فى قوله "بها" لان قول القائل : سميت به ، يستدعى مفعولا آخر تقول : سميت بزيد ابنى ، أو عبدى ، أو غير ذلك ، فيكون قد جعل للاصنام

اعتبارا وراء أسمائها ، واذا قال : " ان هى الا أسماء سميتموها " أى وضعتموها فى أنفسها لا مسميات لها ، لم يكن ذلك ، فاذا قال قائل : هذا باطل بقوله تعالى : " وانى سميتها مريم "(١) . حيث لم يقل : وانى سميتها بمريم ، ولم يكن ما ذكرت مقصودا ، والا لكانت مريم غير ملتفت اليها ، كما قلت فى الاصنام ، قال : والجواب عن هذا الايراد الذى أورده القائل : أن نقول : بينهما بون عظيم ، وذلك لان هناك قال : " سميتها مريم " فذكر المفعولين ، فاعتبر حقيقة مريم بقوله " سميتها " واسمها بقوله " مريم " . وأما ههنا فقال : " ان هى الا أسماء سميتموها " أى ما هناك الا أسماء موضوعة ، فلم تعتبر الحقيقة ، ههنا واعتبرت فى مريم (٢) .

قوله تعالى : " ما أنزل الله بها من سلطان " : أى من حجة ، ولا برهان . قال مقاتل : لم ينزل لنا كتابا لكم فيه حجة كما تقولون : انها آلهة والباء فى " بها " بمعنى مع ، كما يستعمل القائل : ارتحل فلان بأهله ومتاعه ، أى ارتحل ومعه الاهل والمتاع كذا ههنا (٣) .

* * *

---

(١) سورة آل عمران الاية : ٣٦ .
(٢) التفسير الكبير ٢٨/٣٠٠ .
(٣) القرطبى ١٧/١٠٣ ، التفسير ٢٨/٣٠٠ .

" المعنى الاجمالى لهذه الآيات "

يقول سبحانه وتعالى : " ما هذه الاسماء التى سميتموها ، وهى اللات والعزى ومناة الثالثة ، الا أسماء فقط ، لا مدلول لها على مسمى ، بل انما هى أسماء جوفاء لا تدل على معنى من المعانى ، فانما هى جمادات حقيرة ذليلة ، مربوبة لله تبارك وتعالى ، كما أنكم مربوبون له ، اختلقتم لها أسماء ، واصطنعتم لها تلك الاسماء ، بدون دلالة على مسميات فى الحقيقة وانما فعلتم" أيها المشركون ذلك تقليدا لآبائكم ، تبع الاخر فيها الاول ، وقلد فيها الابناء الاباء ، من غير دليل ، ولا حجة ، ولا برهان ، تتعلقون به ، فذلك من عند أنفسكم ، فلا حجة عند الاباء ، بل ذلك افتراء من عند أنفسهم ، افتروه ووضعوه ليس لهم متمسك ، من الدليل العقلى ، ولا من الدليل النقلى ، وأما الابناء ، فأحسن حجة عندهم أنهم وجدوا الاباء على شىء ، فهم على آثارهم مقتدون ، وهذا هو ديدنهم ، فلا يحكمون النقل ولا العقل ، فى الامور ، فهم يقلدون تقليدا أعمى ، من باب سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ، قال سبحانه وتعالى : نعيا عليهم فى ذلك :

" وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ، واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين ، وجعلوا الملائكة الذين عند الرحمن اناثا

أو شهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون • وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم • ان هم الا يخرصون • أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون • بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة • وانا على آثارهم مهتدون • وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة • وانا على آثارهم مقتدون » (١)

* * *

(١) سورة

قال تعالى : " ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والأولى " .

==================================

" التفسير التفصيلي للآيات "

قوله تعالى : " ان يتبعون الا الظن " ان هنا نافية بمعنى ما ، والمعنى ما يتبعون فيما ذكر من التسمية ، والعمل بها " الا الظن " الا توهم، أن ما هم عليه حق توهما باطلا ،

فالظن : هنا المراد به التوهم ، وقد شاع استعماله فيه .

قال فى حاشية الشهاب على البيضاوى (١) : والتوهم ادراك الطرف المرجوح ، ويفهم من كلام الراغب أن التوهم من أفراد الظن .

أقول : والذى جرى عليه أهل الاصول فى تعريفاتهم للظن ، والشك والوهم ، هو أن الظن ما كان أحد طرفيه راجحا على الاخر ، وأن الشك هو ما استوى طرفاه ، واعتدلا ، فلا راجح ولا مرجوح ، والوهم ما كان أحد طرفيه مرجوحا على الاخر .

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوى ١١٣/٨ ، وروح المعانى ٥٨/٢٧ .

قال فى مراقى السعود (١) :

والظن والوهم وشك ما احتمل ∴ لراجح وضده وما اعتدل

والنكتة فى الالتفات فى "يتبعون" الى الغيبة ، للايذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم ، وحكاية جناياتهم لغيرهم (٢) .

قال الفخر الرازى فى تفسيره : كيف ذمهم باتباع الظن ، وقد وجب علينا اتباعه فى الفقه ؟

قال : يجوز بناء الامر على الظن الغالب عند العجز ، عن درك اليقين ، والاعتقاد ليس كذلك ، لان اليقين غير متعذر علينا ، والى هذا الاشارة بقوله تعالى : "ولقد جاءهم من ربهم الهدى" أى اتبعوا الظن ، وقد أمكنهم الاخذ باليقين ، وفى العمل يمتنع ذلك أيضا (٣) .

القراءة فى "يتبعون" :

١) قرأ الجمهور : "ان يتبعون" بياء الغيبة .

---

(١) ألفية الاصول لعلامة زمانه سيدى عبد الله بن حاج ابراهيم العلوى الموريتانى بشرح مالك دهره محمد الامين بن أحمد زيان ، الحضرى الجكنى الموريتانى
(٢) روح المعانى ٥٨/٢٧ ، ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ٢٢٤/٥ ، الفتوحات الالهية ٢٣١/٤ .
(٣) التفسير الكبير ٣٠١/٢٨ .

٢) وقرأ ابن عباس ، وابن وثاب ، وطلحة ، والاعمش ، وعيسى بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وأيوب ، وابن السميقع ، قرأ هؤلاء بتاء الخطاب [١] .

قوله تعالى : "وما تهوى الانفس" هذه الجملة معطوفة على قوله "ان يتبعون الا الظن" وقيل العطف هنا للمغايرة [٢] .

والمعنى : الذى تشتهيه أنفسهم الامارة بالسوء ، وتميل اليه من غير التفات الى ما هو الحق الذى يجب اتباعه ، ولا ريب أن من اتبع ظنه ، وما اشتهته نفسه ، بعد أن جاء الهدى والبيان الشافى ، لا ريب أنه لا يعتد به ، ولا يعد انسانا .

و "ما" قيل موصولة ، والعائد عليها مقدر .

وقيل : ان "ما" مصدرية .

قال فى حاشية الشهاب على البيضاوى [٣] : لو جعلت مصدرية سلمت من التقدير ، وأل فى الانفس قيل :

١ ـ للعهد .

٢ ـ وقيل : انها عوض عن المضاف اليه .

٣ ـ وقيل : للجنس [٤] .

---

(١) البحر المحيط ١٦٢/٨ ، فتح البيان ١٧١/٩ ، روح المعانى ٥٨/٢٧ ، القرطبى ١٠٣/١٧ .
(٢) فتح البيان ١٧١/٩ .
(٣) حاشية الشهاب على البيضاوى ١١٤/٨ .
(٤) روح المعانى ٥٨/٢٧ .

هذا ولا شك أن النفس من حيث هي انما تهوى غير الافضل ، لكونها مجبولة على حب الملاذ ، وانما الذى يسوقها الى حسن العاقبة توفيق الله سبحانه وتعالى ، ثم العقل .

قال فى لباب التأويل فى معانى التنزيل (١) فى تأويل هذه الاية يعنى : هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام ، وقيل : وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم ، والذى ينبغى أن تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بمتابعة هوى النفس .

وقال ابن كثير : (٢) أى ليس لهم مستند الا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم ، والا حظ نفوسهم فى رياستهم ، وتعظيم آبائهم الاقدمين .

** فروع مهمة **

١) الاول : على أن ما فى قوله : " وما تهوى الانفس " مصدرية ، ما الفائدة فى العدول عن صريح المصدر الى الفعل مع زيادة ما ، وفى ذلك تطويل .

قال فى تفسير الفخر الرازى : هناك فائدة فى أصل الوضع ، وهى أنه اذا قال قائل : أعجبنى صنعك ، نعلم من الصيغة أن الاعجاب من

---

(١) تفسير الخازن مع البغوى ٦/٢٦٤ .

(٢) ابن كثير ٤/٢٥٤ .

مصدر قد تحقق ، وكذلك اذا قال : أعجبني ما تصنع ، يعلم أن الاعجاب من مصدر هو فيه ، فلو قال : أعجبني صنعك ، ولمصنع أمس ، وصنع اليوم لا يعلم أن المعجب أي صنع هو ، قال : اذا علمت هذا فنقول : ههنا قوله : "وما تهوى الانفس" يعلم منه أن المراد أنهم يتبعون ماتهوى أنفسهم في الحال والاستقبال ، اشارة الى أنهم ليسوا بثابتين على ضلال واحد ، وما هوت أنفسهم في الماضي شيئا من أنواع العبادة فالتزموا به وداموا عليه ، بل كل يوم هم يستخرجون عبادة ، واذا انكسرت أصنامهم اليوم ، آتوا بغيرها غدا ، ويغيرون وضع عبادتهم ، بمقتضى شهوتهم اليوم (١) .

٢) الفرع الثاني : تقدم أن قلنا ان "ما" اما مصدرية ، واما موصولة ، والفرق بين المصدرية ، والموصولة : هو أن المتبع على أنها مصدرية هو الهوى نفسه ، وعلى أنها موصولة ، فالمتبع هو مقتضى الهوى ، كما اذا قلت : أعجبني مصنوعك .

٣) الفرع الثالث : قال تعالى : "وما تهوى الانفس" بلفظ الجمع مع أنهم لا يتبعون ما تهواه كل نفس ، فان من النفوس ما لا تهوى ، ما تهواه غيرها . والجواب : عن ذلك أن يقال : هذا من باب مقابلة الجمع بالجمع .

---

(١) التفسير الكبير ٢٨/٣٠١ .

معناه : اتبع كل واحد منهم ما تهواه نفسه ، يقال : خرج الناس بأهليهم ، أى كل واحد بأهله ، لا كل واحد بأهل الجميع .

٤) الفرع الرابع : قال الفخر الرازى : ذكر هنا اتباع الظن ، وما تهوى الانفس لامرين تقديريين . قال : يتبعون الظن فى الاعتقاد ، ويتبعون ما تهوى الانفس فى العمل والعبادة ، وكلاهما فاسد ، لان الاعتقاد ينبغى أن يكون مبناه على اليقين ، وكيف يجوز اتباع الظن فى الامر العظيم ، وكلما كان الامر أشرف وأخطر ، كان الاحتياط فيه أوجب وأحذر ، وأما العمل فالعبادة مخالفة للهوى ، فكيف تبنى على متابعته(١) .

قوله تعالى : " ولقد جاءهم من ربهم الهدى " .

اختلف فى هذه الجملة ، قيل : انها حال من ضمير " يتبعون " مقررة لبطلان ما هم عليه من اتباع الظن ، والهوى ، والمراد بالهدى ، هو القرآن الكريم ، أو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو المعجزات .

قال الالوسى (٢) : أو القرآن العظيم على أنه بمعنى الهادى ، أو جعله هدى مبالغة ، أى ما يتبعون الا ذلك ، والحال لقد جاءهم من ربهم جل شأنه ، ما ينبغى لهم معه تركه ، واتباع سبيل الحق .

---

(١) التفسير الكبير ٢٨/٣٠١ .

(٢) روح المعانى ٢٧/٥٨ .

وقال القرطبى : جاءهم البيان من جهة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنها ليست بآلهة .

قال فى حاشية الشهاب على البيضاوى [١] : هذه الجملة حال مقيدة لما قبلها ، وهذا الظاهر ، لان المعنى يتبعون الظن ، وهوى النفس فى حال ينافى ذلك ، وهذا أحسن من جعلها معترضة ، وهذه الحال تسمى الحال المقررة للاشكال .

قال فى فتح البيان : والجملة معترضة ، أو حال من فاعل يتبعون ، وأيا ما كان ففيها تأكيد لبطلان اتباع الظن ، وهوى النفس ، وزيادة تقبيح لحالهم ، فان اتباعهما من أى شخص كان قبيح ، وممن هداه الله بارسال الرسل ، وانزال الكتب أقبح [٢] .

وقال ابن جرير [٣] : فى تأويل الاية : ولقد جاء هؤلاء المشركين بالله من ربهم البيان ، مما هم منه ، على غير يقين ، وذلك تسميتهم ، اللات والعزى ومناة الثالثة ، بهذه الاسماء ، وعبادتهم اياها ، جاءهم من ربهم الهدى فى ذلك ، والبيان بالوحى الذى أوحيناه الى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن عبادتها لا تنبغى ، وأنه لا تصلح العبادة الا لله الواحد القهار .

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوى ٨/١١٤ .
(٢) فتح البيان ٩/١٧١ .
(٣) ابن جرير ٢٧/٣٧ .

وفى الاية تعجيب من حال هؤلاء المشركين ، اذ لم يتركوا عبادة أصنامهم بعد وضوح البيان (١) .

وقال فى تفسير البحر المحيط (٢) : فى الاية توبيخ ، وأن ما هم عليه باطل ، حيث يفعلون هذه القبائح ، والهدى قد جاءهم ، فكانوا أولى من يقبله ، ويترك عبادة من لا تجدى عبادته .

وقال فى التفسير الكبير (٣) : فى الاية اشارة الى أنهم على حال لا يعتد به لكون اليقين مقدورا عليه ، وقد تحقق اليقين بمجىء الرسل ، وفى الهدى ثلاثة أقوال :

١) القرآن .

٢) الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

٣) المعجزات .

---

(١) زاد المسير ٨/ ٧٤ .

(٢) أبو حيان ٨/ ١٦٣ .

(٣) الفخر الرازى ٢٨/ ٣٠١ .

قوله تعالى : " أم للانسان ما تمنى "

"أم" هذه هى "أم" المنقطعة ، ومعنى الهمزة فيها الانكار والنفى ، أى ليس للانسان ما تمنى ، واختلف فى المراد بما تمنوا .

قيل : المراد طمعهم فى شفاعة الالهة ، وهو تمن على الله فى غاية البعد .

وقيل : قولهم : "ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى "[١] .

وقيل : قول الوليد بن المغيرة : (لاوتين مالا وولدا)[٢] .

وقيل : تمنى بعضهم أن يكون هو النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قال فى ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم[٣] : "أم" منقطعة وما فيها من "بل" للانتقال من بيان أن ما هم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى أنفسهم ، الى بيان أن ذلك مما لا يجدى نفعا أصلا ، والهمزة للانكار والنفى ، أى ليس للانسان كل ما يتمناه ، وتشتهيه نفسه من الامور التى من جملتها أطماعهم الفارغة ، فى شفاعة الالهة ، ونظائرها التى لا تكاد تدخل تحت الوجود .

وقال القرطبى : ليس للانسان ما تمنى من البنين دون البنات ، وقيل ليس للانسان ما تمنى من غير جزاء[٤] .

---

(١) سورة

(٢) سورة مريم الاية : ٧٧ .

(٣) تفسير أبى السعود ٢٢٤/٥ .

(٤) القرطبى ١٠٤/١٧ ، الكشاف ٣١/٤ .

وقال صاحب لباب التأويل فى معانى التنزيل [١] : المعنى : أيظن الكافر أن له ما يتمنى ، ويشتهى من شفاعة الاصنام ، أى ليس الامر كما يظن ويتمنى .

قال ابن كثير [٢] عند تفسير هذه الاية : أى ليس كل من تمنى خيرا حصل له . قال تعالى : " ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب " [٣] ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال ، ولا كل من ود شيئا يحصل له .

قال الامام أحمد [٤] : حدثنا اسحاق ، حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبى سلمة عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (اذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى ، فانه لا يدرى ما يكتب له من أمنيته) .

وقال فى البحر المحيط : أم للانسان ما تمنى ، هو متصل بقوله : " وما تهوى الانفس " ، " بل للانسان " ، والمراد به الجنس ، ما تمنى أى ما تعلقت به أمانيه ، أى ليست الاشياء ، والشهوات تحصل بالامانى ، بل الله الآمر ، وقولكم : ان آلهتكم تشفع وتقرب ، زلفى ليس لكم ذلك [٥] .

---

(١) لباب التأويل فى معانى التنزيل ٦/٢٦٤ تفسير الخازن مع البغوى .

(٢) ابن كثير ٤/٢٥٤ .

(٣) سورة النساء الاية : ١٢٣ .

(٤) المسند ٢/٣٥٧ .

(٥) أبو حيان ٨/١٦٣ .

وقال ابن جرير (١) فى تأويل الاية : يقول تعالى ذكره : أم اشتهى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أعطاه الله من هذه الكرامة التى كرمه بها من النبوة والرسالة ، وانزال الوحى عليه ، وتمنى ذلك ، فأعطاه اياه ربه فلله ما فى الدار الاخرة والاولى ، وهى الدنيا يعطى من يشاء من خلقه ما شاء ، ويحرم من شاء منهم ما شاء .

أقول : وتفسير ابن جرير لهذه الاية بما ذكر لم أره لغيره ، فانه جعل الانسان هنا نبينا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وجعل تمنى بمعنى اشتهى ، وجعل المتمنى ، النبوة والرسالة ، وانزال الوحى عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ والله أعلم .

قوله تعالى : " فلله الاخرة والاولى "

فى الاية تعليل لانتفاء ما تمنوا ، لان اختصاص ملك أمور الاخرة والاولى جميعا به تعالى ، مقتضى لانتفاء أن يكون للانسان أمر من الامور ، بل ما شاء الله تعالى له كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وقدمت الاخرة اهتماما بما هو أهم أطماعهم عندهم من الفوز فيها ، ولكونها فاصلة ، فلم يراع الترتيب الوجودى (٢) ، كقوله تعالى : "وان لنا للاخرة والاولى" (٣) .

---

(١) تفسير ابن جرير ٢٧/٢٧ .

(٢) روح المعانى ٢٧/٥٨ ، البحر المحيط ٨/١٦٣ .

(٣) سورة الليل الاية : ١٣ .

قال البيضاوى (١) فى تأويل الاية : يعطى منهما ما يشاء لمن يريد ، وليس لاحد أن يتحكم عليه فى شئ منهما .

قال فى حاشية الشهاب على البيضاوى اشارة الى ما يفيده : تقديم لله من الحصر ، لانه اذا اختص بملكهما ، والتصرف فيهما لم يكن لاحد تصرف فيهما ، والتحكم نوع من التصرف ، فلا يشفع ، ولا يشفع ما لم يرد الله ذلك (٢) .

وذكر فى تفسير الخازن : ان معنى الاية : أن الانسان اذا اختار معبودا على ما تمناه واشتهاه ، فلله الاخرة والاولى ، يعاقبه على فعله ، ذلك ان شاء فى الدنيا والاخرة ، وان شاء أمهله الى الاخرة (٣) .

قال صاحب الفخر الرازى : فى تعلق الفاء فى قوله " فلله الاخرة والاولى " بالكلام وجوه ، ملخص ما قال فى ذلك :

الاول : أن تقديره الانسان اذا اختار معبودا فى دنياه على ما تمناه واشتهاه ، فلله الاخرة والاولى ، يعاقبه على فعله فى الدنيا ، وان لم يعاقبه فى الدنيا فيعاقبه فى الاخرة .

الثانى : أنه تعالى لما بين أن اتخاذ اللات والعزى باتباع الظن وهوى الانفس كأنه قرره ، وقال : ان لم تعلموا هذا فلله الاخرة والاولى ، وهذه

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوى ١١٤/٨ .

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) تفسير الخازن ٢٦٤/٦ .

الاصنام ليس لها من الامر شيء ، فكيف يجوز الاشراك ، فعلى الاول يكون قوله تعالى : " وكم من ملك " موكدا للمعنى الاول ، وعلى الثانى يكون " وكم من ملك " الخ .

جواب كلام كأنهم قالوا : لا نشرك بالله شيئا ، وانما هذه الاصنام شفعاؤنا ، فقال : وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا .

الثالث : من الوجوه : هذه تسلية لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين لم يؤمنوا به ولا برسالته بعد البيان الشافى ، قال الله لا تيأس " فلله الاخرة والاولى " أى لا يعجزون الله .

الرابع : ترتيب حق على دليله ، وهو أنه تعالى لما بين رسالة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : " ان هو الا وحى يوحى " وبين بعض ما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو التوحيد قال : اذا علمتم صدق محمد ببيان رسالة الله تعالى " فلله الاخرة والاولى "(١) .

لانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبركم عن الحشر ، فهو صادق ، وهذا الوجه غير واضح لى توجيهه .

---

(١) التفسير الكبير ٢٨/٣٠٣ .

الخامس: أن الكفار كانوا يقولون: للمؤمنين أهؤلاء أهدى منا، وقالوا: "لو كان خيرا ما سبقونا اليه"[1]. فقال تعالى: "ان الله اختار لكم الدنيا وأعطاكم الاموال ولم يعط المؤمنين بعض ذلك الامر بل قلتم: لو شاء الله لاغناهم، وتحققتم هذه القضية "فلله الاخرة والاولى" قولوا فى الاخرة ما قلتم فى الدنيا يهدى الله من يشاء كما يغنى الله ما يشاء[2].

* * *

---

(١) سورة الاحقاف الاية : ١١ .

(٢) التفسير الكبير ٢٨/٣٠٣ .

" المعنى الاجمالى للآيات "

أخبر سبحانه وتعالى عن حال هؤلاء المشركين الذين سموا تلك الاصنام والاوثان ، بأسماء لا مدلول لها ، أخبر عنهم أنهم لا يتبعون فى تلك التسمية ، والعبادة ، الا التوهم ، الموجود عندهم لفساد عقائدهم وما يهوونه ، ويشتهونه ، دون استناد الى دليل نقلى أو عقلى ، فهم ضالون ، غافلون ، لاهون معرضون ، لا يفكرون ، الا فيما تشتهيه أنفسهم ، ولو كان مخالفا للمنقول والمعقول ، قال تعالى : " ان هم الا كالانعام بل هم أضل "(١) .

وقال تعالى : " صم بكم عمى فهم لا يرجعون "(٢) .

وقال تعالى : " فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور "(٣) . هؤلاء منهمكون فى غيهم معرضون عن غيره ، ومع هذا جاءهم الهدى من الله عز وجل ، أرسلت اليهم الرسل ، أنزلت اليهم الكتب ، جاءهم رسول منهم يعرفون نسبه ، ولغته ، جاءهم بالوحى من عند الله ، يعرفون صدقه ، قبل أن يرسل اليهم ، وقبل أن يكون أمينا على وحى السماء ، كانوا يسمونه الامين فى الجاهلية ، ومع

---

(١) سورة الفرقان الاية : ٤٤ .

(٢) سورة البقرة الاية : ١٨ .

(٣) سورة الحج الاية : ٤٦ .

ما جاءهم من أوجه الهدى ، أصروا واستكبروا ، وعاندوا ، ولم يكن عندهم يقابلون به ، هذا الحق والهدى والنور ، الا الاعراض ، والاماني الفارغة الكاذبة . قال تعالى : " ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به " (١) .

وقال الشاعر :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ∴ تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فالله سبحانه وتعالى ، هو المالك المختص بالاخرة ، وهذه الدنيا ، ليس لاحد كائنا من يكون أن يتصرف أو يتحكم في شيء من أمر الدنيا والاخرة الا باذنه سبحانه وتعالى ، فالدنيا والاخرة ملكه يفعل فيهما ما يشاء " ألا له الخلق والامر " (٢) لا معقب لحكمه " ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين " (٣) . يهدي من يشاء ويضل من يشاء لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى ، ويغني من يشاء ، ويفقر من يشاء ، يخلق من ما يشاء كيف يشاء ، " يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير " (٤) .

---

(١) سورة النساء الاية : ١٢٣ .

(٢) سورة الاعراف الاية : ٥٤ .

(٣) سورة الانعام الاية : ٦٢ .

(٤) سورة الشورى الاية : ٤٩ ـ ٥٠ .

هذا تصريف المالك فى ملكه ، وهو عدل لا جور فيه ، فان أحسن الى العبد وأعطاه سوءله ، فذلك بمحض الفضل ، وان كانت الاخرى فذلك عدل له ، وبما أن كثيرا من المفسرين يذكرون ، عند قوله تعالى : " أفرأيتم اللات والعزى " قصة الغرانيق ، يقولون : ان الشيطان ألقى بعد قراءة نبينا - صلى الله عليه وسلم - " أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى " تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ، ونسجوا حول هذه القصة أقوالا كثيرة ، وروايات مضطربة ، يأباها العقل ، والنقل ، كما سترى - ان شاء الله - .

أحببت أن أفرد هذه القصة ببحث خاص فى هذه الرسالة أساهم به فى الذب عن السنة المطهرة ، وعن ما دسه الحاقدون على الاسلام ، وعلى نبينا - صلى الله عليه وسلم - " يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسولا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون "(١) .

* * *

---

(١) سورة التوبة الاية : ٣٢ - ٣٣ .

" الفرانيق فى اللغة "

قال فى القاموس[1] : الفرنوق ، كزنبور ، وفردوس ، طائر مائى أسود ، وقيل أبيض ، كالفرنيق ـ بالضم ـ ، أو الفرنوق ، والفردنوق الكركى ، أو طائر يشبهه ، والفرنيق ـ بالضم ـ ، وكزنبور ، وقنديل وسموأل ، وفردوس ، وقرطاس ، وعلابط الشاب الابيض الجميل ، جمعه الفرانيق ، والفرانقه ، والفرانق ، وكزنبور الخصلة من الشعر المفتلة وشجر ، جمعه الفرانق ، أو الفرنوق ، والفرانق الذى يكون فى أصل الموسج اللين النبات ، جمعه الفرانيق ، ولمة غرانقه وغرانقية ناعمة تفيئها الريح ، والفرنوق الناعم المستتر من النبات ، وشاب غرانق علابط قام ، وامرأة غرانق ، وغرانقية شابة ممتلئة .

وقبل الشروع فى الكلام على قصة الفرانيق : اعلم أيها القارىء الكريم أن الامة مجمعة على أن الانبياء معصمون ، من الكبائر والصغائر وكل ما يدنس ، ولم يخالف فى ذلك من الامة الاسلامية ، الا من لا يعتد بقوله .

وهذه أدلة عصمة الانبياء موجزة كما ذكرها فى كتاب " عصمة الانبياء "[2] .

---

(١) القاموس ٣/٢٨١ .

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمى البكرى فخر الدين الرازى ١/٢٨ فما بعدها .

قال : ويدل على وجوب العصمة للانبياء الوجوه التالية :

١) لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم فى استحقاق الذم عاجلا والعقاب آجلا أشد من حال عصاة الامة ، وهذا باطل ، فصدور الذنب أيضا باطل .

٢) لو صدر الذنب عنهم ، لما كانوا مقبولى الشهادة لقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا "(١) . ففى الاية الامر بالتثبت والتوقف فى قبول شهادة الفاسق ، الا أن هذا باطل ، فان من لم تقبل شهادته فى حال الدنيا ، فكيف تقبل شهادته فى الاديان الباقية الى يوم القيامة .

قال : وأيضا فانه تعالى شهد بأن محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ شهيد على الكل يوم القيامة .

قال تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا "(٢) . ومن كان شهيدا لجميع الرسل ، يوم القيامة ، كيف يكون بحال لا تقبل شهادته فى الجنة .

---

(١) سورة الحجرات الاية : ٦ .

(٢) سورة البقرة الاية : ١٤٣ .

٣) لو صدر الذنب عنهم لوجب زجرهم ، لان الادلة قائمة على وجوب الامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، الا أن زجر الانبياء غير جائز ، لقوله تعالى : " ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة " (١) فكان صدور الذنب عنهم ممتنعا .

٤) لو صدر الفسق عن محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ لكنا اما مأمورين بالاقتداء به فى هذه الحال ، وهذا لا يجوز ، أو اما أن نكون غير مأمورين بالاقتداء به ، وهذا أيضا باطل ، لقوله تعالى : " قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله " (٢) .

ولما كان صدور الفسق يفضى الى هذين القسمين الباطلين كان صدور الفسق عنه محالا .

٥) لو صدرت المعصية عن الانبياء لكانوا موعودين بعذاب الله عز وجل لقوله تعالى : " ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ندخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين " (٣) . وباجماع الامة هذا باطل ، فكان صدور المعصية عنهم باطلا .

---

(١) سورة الاحزاب الاية : ٥٧ .
(٢) سورة آل عمران الاية : ٣١ .
(٣) سورة النساء الاية : ١٤ .

٦) أنهم ـ عليهم السلام ـ كانوا يأمرون بالطاعات ، وينهون عن المعاصى ، فلو فعلوا المعاصى لدخلوا تحت قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون " (١) ومعلوم أن هذا فى غاية القبح .

٧) قال فى وصف ابراهيم واسحاق ويعقوب : " انهم كانوا يسارعون فى الخيرات " (٢) ، فأل فى الخيرات تفيد العموم ، وذلك يدل على أنهم كانوا فاعلين لكل الخيرات ، تاركين لكل المعاصى .

٨) قال تعالى : " وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار " (٣) فدلت هذه الاية على أنهم كانوا من المصطفين الاخيار فى كل الامور ، وهذا ينافى صدور الذنب عنهم .

٩) قال تعالى حكاية عن ابليس : " فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين " (٤) فلما أقر ابليس انه لا سبيل له على اغواء المخلصين ، أوجب ذلك القطع بعدم صدور المعصية عنهم .

---

(١) سورة الصف الاية : ٣ .
(٢) سورة الانبياء الاية : ٩٠ .
(٣) سورة ص الاية : ٤٧ .
(٤) سورة ص الاية : ٨٣ .

١٠) قال تعالى : "ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين"(١) . فيجب القطع بأن الذين لم يتبعوا ابليس هم الانبياء ، فلم يقع منهم ذنب قط .

١١) أنه تعالى قسم المكلفين الى قسمين :

١ - حزب الشيطان : قال تعالى : "أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون"(٢) .

٢ - حذب الله : قال تعالى : "أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون"(٣) . ولا شك أن حزب الشيطان هو الذى يفعل ما يريد الشيطان ، ويأمره به ، فلو صدرت الذنوب عن الانبياء لصدق عليهم أنهم من حزب الشيطان ، وهذا باطل .

١٢) قال : ان أصحابنا رحمهم الله تعالى ، بينوا أن الانبياء أفضل من الملائكة ، والملائكة ثبت بالادلة ، أنهم ما أقدموا على شئ من الذنوب ، فلو صدرت الذنوب عن الانبياء ، لامتنع أن يكونوا زائدين فى الفضل على الملائكة ، لقوله تعالى : "أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار"(٤) .

---

(١) سورة سبأ الاية : ٢٠ .
(٢) سورة المجادلة الاية : ١٩ .
(٣) سورة المجادلة الاية : ٢٢ .
(٤) سورة ص الاية : ٢٨ .

١٣) قال فى حق ابراهيم : " انى جاعلك للناس اماما "(١) . فالامام هو الذى يقتدى به ، فلو صدر الذنب عن ابراهيم لكان اقتداء الخلق بابراهيم فى ذلك الذنب واجبا ، وهذا باطل .

١٤) قال تعالى : " لا ينال عهدى الظالمين "(٢) . فكل من أُقدم على الذنب كان ظالما لنفسه ، لقوله تعالى : " فمنهم ظالم لنفسه "(٣) . فاذا لم يصل عهد الامامة الى المذنب العاصى فبأن لا يصل عهد النبوة اليه أولى (٤) .

* * *

---

(١) سورة البقرة الاية : ١٢٤ .

(٢) سورة البقرة الاية : ١٢٤ .

(٣) سورة فاطر الاية : ٣٢ .

(٤) عصمة الانبياء المصدر السابق ٣٢/١ تلخيصا .

" قصة الغرانيق "

اعلم أن هذه القصة التي أصبحت مشهورة في كتب التفسير يذكرونها عند قول الله عز وجل : " أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى " .. الخ .

يقولون : ان الشيطان ألقى بعد قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه الاية (تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى) فلما سجد في آخر السورة سجد معه المشركون ، أعني أهل مكة ، معللين ذلك السجود معه بأنه لم يذكر آلهتهم بخير قط في غير ذلك اليوم ، واستبشروا لذكره أصنامهم ، ورأوا أن هذا تطورا جديدا يمكن معه تحسين العلاقة ، بينهم وبين نبينا - صلى الله عليه وسلم - وسمع المسلمون في الحبشة بذلك وفرحوا به كثيرا ، ثم لم يلبث الامر الا قليلا ، حتى قيل للنبي - صلى الله عليه وسلم - ان المشركين سمعوا منه الثناء على آلهتهم ، وذلك هو سبب سجودهم ، فحزن الرسول - صلى الله عليه وسلم لذلك ، فنزل قوله تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم "(١) .

---

(١) سورة الحج الاية : ٥٢ .

فهذه القصة التى ذكرنا لم تثبت ثباتا صحيحا ولا حسنا ، يعتمد عليه بل كل ما ورد فيها ، انما هو مراسيل ، لم تبلغ درجة الاحتجاج ، مع أن فى الايات ، ما يبين بطلانها ، كما سترى أيها القارئ ـ ان شاء الله ـ بل ان أعداء الدين هم الذين روجوها ، وعظموا أمرها ليدخلوا منها للطعن فى الدين ، لانهم يعلمون أنهم اذا أثبتوا تسلط الشيطان على نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى لن يتأتى لهم أبدا ـ تمكنوا من رد الوحى كله ، كيف شاءوا ، لانه يصبح عرضة للخطأ ، ولم يبق معصوما ، وحينئذ يسهل لهم كل شئ ، يريدون نقضه من الدين ، والحق الذى لا غبار عليه أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل للشيطان تسلطا على نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقطع علائقه منه ، ونصوص القرآن شاهدة ، بذلك ، وكذا السنة ، واجماع المسلمين .

ومما يدل على كذب هذه القصة ، وأنها من وضع الزنادقة ، كما صرح بذلك بعض أهل العلم ، مثل امام الائمة ابن خزيمة ، الآيات القرآنية التالية :

قال تعالى : " انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون " (١) .

وقال تعالى : " ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين " (٢) .

---

(١) سورة النحل الايتان ٩٩ـ١٠٠ .
(٢) سورة الحجر الاية : ٤٢ .

وقال تعالى : " وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة "(١).

وقال تعالى : " وما كان لى عليكم من سلطان "(٢).

وقال تعالى : " هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم "(٣).

وقال تعالى : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون "(٤).

وقال تعالى : " وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى "(٥).

وقال تعالى : " وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد "(٦).

وقال تعالى : " ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين"(٧).

وقال تعالى : " ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا "(٨).

---

(١) سورة سبأ الاية : ٢١ .

(٢) سورة ابراهيم الاية : ٢٢ .

(٣) سورة الشعراء الايتان : ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٤) سورة الحجر الاية : ٩ .

(٥) سورة النجم الايتان : ٣ ـ ٤ .

(٦) سورة فصلت الايتان : ٤١ ـ ٤٢ .

(٧) سورة الحاقة الايات : ٤٤ ـ ٤٦ .

(٨) سورة الاسراء الاية : ٧٤ .

فهذه الايات تدل دلالة واضحة على أن الله عصم عبادة المؤمنين وعلى رأس هؤلاء المؤمنين نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، عصمهم من الشيطان ، فكل من يدعى بعد هذا أن الله سلط على نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشيطان ، فقد كذب بهذا القرآن العظيم ، وكل مكذب بهذا القرآن يكون كافرا .

واعلم أيها القارئ الكريم : أن التمنى المذكور فى قوله تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته " (١) .

المراد به التلاوة لقول الشاعر (٢) :

تمنى كتاب الله أول ليلة ∴ وآخرها لاقى حمام المقادر

تمنى كتاب أول ليلة ∴ تمنى داود الزبور على رسل

لانه صلى الله عليه وسلم ، كان يتمنى أن يأتى شئ يطمئن أولئك الكفار حاشا وكلا ، فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن يوما يجامل المشركين ، أو يحابيهم ، بل عرف من أول دعوته الى أن ذهب الى الرفيق الاعلى بمعاداتهم ، ونبذ آلهتهم ، وحتى قبل أن يوحى اليه كان يكره عاداتهم ولا يجاريهم فيها ، وكان ذا عزلة عنهم ، فكيف يسوغ لعاقل أن يتصور

---

(١) سورة الحج الاية : ٥٢ .

(٢) الشاعر هو حسان ـ رضى الله عنه ـ ، تفسير الخازن ٣/٢٨٤ .

أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يود أن ينزل عليه وحى يذكر آلهة وأصنام المشركين بخير ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

واليك أيها القارئ الكريم مقتطفات من أقوال العلماء فى رد هذه الفرية ، وفى معنى الاية المذكورة ، ذلك المعنى الذى يتناسب مع عصمة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يجعل فى التفسير دسا على الاسلام ورسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قال سليمان بن حرب : ان " فى " بمعنى عنده ، أى ألقى الشيطان فى قلوب الكفار عند تلاوة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كقوله عز وجل : " ولبثت فينا من عمرك سنين "(١) . أى عندنا ، وهذا المعنى حكاه ابن عطية عن أبيه عن علماء الشرق ، وذكره ابن جرير نقلا عن السلف حيث قال : وهذا القول أشبه بتأويل الكلام بدلالة قوله تعالى : " فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته "(٢) . على ذلك ، لان الايات التى أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها لا شك أنها آيات تنزيه ، فمعلوم بذلك أن الذى ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه ، وأبطله ، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه فتأويل الكلام اذن :

وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تلا كتاب الله ، وقرأ أو حدث ، وتكلم ألقى الشيطان فى كتاب الله الذى تلاه ، وقرأه ، أو فى

---

(١) سورة الشعراء الاية : ١٨ .

(٢) سورة الحج الاية : ٥٢ .

حديثه الذى حدث وتكلم ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان بقوله تعالى :
" فيذهب الله ما يلقى الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله " .

قال الالبانى (١) : هذا هو المعنى المراد من هذه الاية الكريمة وهى كما ترى ليس فيها الا أن الشيطان يلقى عند تلاوة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يفتن به الذين فى قلوبهم مرض ، ولكن أعداء الدين الذين قصدوا له فى كل طريق ، وترصدوا له كل مرصد ، لا يرضيهم الا أن يدسوا فيه ما ليس منه ، ولم يقله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكروا ما ستراه فى الروايات الاتية ، مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة ، وذلك ديدنهم منذ القديم ، كما فعلوا فى غير ما آية ، وردت فى غيره ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الانبياء كداود ، وسليمان ، ويوسف ـ عليهم السلام ـ فسروا فى تفسيرها ، من الاسرائيليات ما لا يجوز نسبته الى رجل مسلم ، فضلا عن نبى مكرم ، كما هو مبين فى محاله من كتب التفسير والقصص ، فحاذر أيها المسلم أن تغتر بشىء منها فتكون من الهالكين (ودع ما يريبك الا ما لا يريبك) (٢) كما قال نبيك ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

---

(١) العلامة محدث هذا العصر عالم الشام محمد ناصر الدين الالبانى فى كتابه " نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق " ٤/١ وما بعدها .

(٢) قال السيوطى : صحيح ، وقال الحاكم : حسن صحيح ، وقال الذهبى : سنده قوى . أخرجه أحمد والترمذى فى الزهد ، والنسائى وابن ماجه ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥٢٩/٣ .

قال صاحب النسفى [١] : ان هذا القول غير مرضى ، أعنى القول بنسبة تلك الغرانيق العلى .. الخ . الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

١) لانه لا يخلو اما أن يتكلم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بها عمدا وهذا محال لا يجوز .

٢) أو يكون قد أجرى الشيطان ذلك على لسانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبرا ، بحيث لا يقدر على الامتناع منه ، وهذا أيضا ممتنع ، لان الشيطان لا يقدر على ذلك فى حق غيره من العباد الصالحين لقوله تعالى : " ان عبادى ليس لك عليهم سلطان " . ففى حقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولى .

٣) أو يكون ذلك جرى على لسانه سهوا وغفلة ، وهذا مردود أيضا ، لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه فى حال تبليغ الوحى .

قال النسفى : ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله ، ولانه تعالى قال فى صفة المنزل عليه : " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " .

وقال تعالى : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " .

---

(١) مدارك التنزيل ، وحقائق التأويل ٣/ ٧٩ـ٨٠ .

وقال فى حقه - صلى الله عليه وسلم - : " لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى " . فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق الا وجه واحد ، وهو أنه عليه السلام سكت عند قوله " ومناة الثالثة الاخرى " فتكلم الشيطان بهذه الكلمات ، متصلا بقراءة النبى - صلى الله عليه وسلم - فوقع عند بعضهم أنه عليه السلام هو الذى تكلم بها ، فيكون هذا القاء فى قراءة النبى - عليه الصلاة والسلام - وكان الشيطان يتكلم فى زمن النبى - صلى الله عليه وسلم - ويسمع كلامه ، فقد قال يوم بدر : " لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم "(١) .

قال صاحب لباب التأويل فى معانى التنزيل (٢) : فان قلت : قد قامت الدلائل على صدقه ، وأجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الاخبار عن شىء منه ، بخلاف ما هو به لا قصدا ، ولا عمدا ، ولا سهوا ولا غلطا ، قال تعالى : " وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " فكيف يجوز الغلط على النبى - صلى الله عليه وسلم - فى التلاوة ، وهو معصوم منه ،

وقد ذكر العلماء عن هذا الاشكال أجوبة نجملها فيما يأتى :

١) توهين أصل هذه القصة ، وذلك أنه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صحيح ، أو سليم متصل ، وانما رواها المفسرون

---

(١) سورة الانفال الاية : ٤٨ .
(٢) علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم الخازن ٣/ ٣٨٣ .

والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل سقيم وصحيح ، والذى يدل على ضعف هذه القصة ووضعها اضطراب رواتها ، وانقطاع سندها ، واختلاف ألفاظها ، فقائل يقول : كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وآخر يقول : قرأها وهو فى نادى قومه .

وآخر يقول : قرأها وقد أصابته سنة .

وآخر يقول : بل حدث نفسه بها فجرى ذلك على لسانه .

وآخر يقول : ان الشيطان قالها على لسان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأتك الى غير ذلك من اختلاف ألفاظها ، والذى فى الصحيح من حديث عبد الله ابن مسعود أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قرأ (والنجم) فسجد فيها وسجد من كان معه غير أن شيخا من قريش أخذ كفا من حصى أو تراب فرفعه الى جبهته ، قال عبد الله : فلقد رأيته بعد قتل كافرا ، وصح من حديث ابن عباس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سجد بالنجم ، وسجد معه المسلمون ، والمشركون والجن والانس[1] .

فهذا الذى جاء فى الصحيح ، ولم يذكر فيه شىء من تلك الالفاظ ، وما ذكره المفسرون عن ابن عباس فى هذه القصة قد رواه عنه الكلبى وهو ضعيف جدا .

---

(١) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ٢٠٧/٣ .

٢) الجواب الثانى : أن الحجة قد قامت بالدليل الصحيح ، واجماع الامة على عصمة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة ، وهو تمنيه أن ينزل عليه مدح اله غير الله ، أو أن يتسور عليه الشيطان ، ويشبه عليه القرآن ، حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى نبهه جبريل ، فهذا كله ممتنع فى حقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال تعالى : "ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين "(١) .

٣) الجواب الثالث : فى تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اذا قرأ يرتل القرآن ترتيلا ، ويفصل الآى تفصيلا ، كما صح عنه فى قراءته ، فيحتمل أن الشيطان ترصد لتلك السكتات ، فدس فيها : ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا لصوت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسمعه من دنا منه من الكفار فظنوها من قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسجدوا معه لسجوده ، فأما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذم الاوثان ، وعيبها ، وأنهم كانوا يحفظون السورة كما أنزلها الله عز وجل .

---

(١) سورة الحاقة الاية :

٤) الجواب الرابع : فى تحقيق تفسير الاية ، وقد ذكروا أن التمنى يكون بمعنى حديث النفس ، وبمعنى التلاوة ، فعلى الاول يكون معنى قوله الا اذا تمنى أى خطر بباله ، وتمنى بقلبه بعض الامور ، ولا يبعد أنه اذا قوى التمنى اشتغل الخاطر ، فحصل السهو فى الافعال الظاهرة .

وعلى الثانى : وهو تفسير التمنى بالتلاوة يكون معنى قوله : " الا اذا تمنى " أى تلا ، وهو ما يقع للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من السهو فى اسقاط آية أو آيات أو كلمة ، ونحو ذلك ، ولكنه لا يقر على ذلك السهو ، بل ينبه عليه ، ويذكر به للوقت والحين (١) .

قال : وحاصل هذا أن الغرض من هذه الاية أن الانبياء والرسل وان عصمهم الله عن الخطأ فى العلم ، فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم ، بل حالهم فى ذلك ، كحال سائر البشر .

قال الالوسى (٢) : وقد أنكر كثير من المحققين هذه القصة ، فقال البيهقى : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل .

وقال القاضى عياض : يكفيك فى توهين هذا الحديث أنه لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند صحيح سليم متصل ، وانما أولع به وبمثله المفسرون ، والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .

---

(١) تفسير الخازن ٣/٢٨٦ .

(٢) روح المعانى ١٨/١٥٩ وما بعدها .

قال : وسئل عنها الامام محمد بن اسحاق جامع السيرة ، فقال : انها من وضع الزنادقة ، ليلقوا بين الضعفاء ، وارقاء الدين ، ليرتابوا في صحة الدين ، وحضرة الرسالة بريئة من مثل هذه الرواية .

قال : وذكر غير واحد أنه يلزم على القول بأن الناطق بذلك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسبب القاء الشيطان الملبس بالملك أمور منها :

١) تسليط الشيطان عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو معصوم بالاجماع من الشيطان لا سيما في مثل هذا من أمور الوحي والتبليغ والاعتقاد ، قال تعالى : " ان عبادي ليس لك عليهم سلطان " .

٢) زيادته في القرآن ما ليس منه ، وذلك مما يستحيل عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لمكان العصمة .

٣) اعتقاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما ليس بقرآن أنه قرآن مع كونه بعيد الالتئام متناقضا ممتزج المدح بالذم ، وهذا خطأ شنيع لا ينبغي أن يتساهل في نسبته اليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

٤) أنه اما أن يكون عند نطقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك معتقدا ما اعتقده المشركون من مدح آلهتهم ، بتلك الكلمات ، وهذا كفر محال في حقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

٥) أن يكون معتقدا معنى آخر مخالفا لما اعتقدوه ، ومباينا لظاهر العبارة ، ولم يبينه لهم مع فرحهم ، وادعائهم أنه مدح

آلهتهم ، فيكون مقرا لهم على الباطل ، وحاشاه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقر على الباطل .

٦) كونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشتبه عليه ما يلقيه الشيطان بما يلقيه عليه الملك ، وهو يقتضى أنه ـ عليه السلام ـ على غير بصيرة فيما يوحى اليه .

٧) كما يقتضى أيضا جواز تصور الشيطان بصورة الملك ملبسا على النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولا يصح ذلك كما قال فى الشفاء لا فى أول الرسالة ، ولا بعدها ، والاعتماد فى ذلك دليل المعجزة (١) .

وقال ابن العربى : تصور الشيطان فى صورة الملك ملبسا على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتصوره فى صورة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ملبسا على الخلق ، وتسليط الله تعالى له على ذلك كتسليطه فى هذا ، فكيف يسوغ فى لب سليم استجازة ذلك .

٨) التقول على الله اما عمدا ، أو خطأ ، أو سهوا ، وكل ذلك محال فى حقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أجمعت الامة على ما قال القاضى عياض على عصمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما كان طريقه البلاغ .

---

(١) روح المعانى ١٨/١٦١ ، الشفاء ١/

٩) الاخلال بالوثوق بالقرآن ، فلا يؤمن فيه التبديل والتغيير ، ولا يندفع كما قال البيضاوى بقوله تعالى : " فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته " لانه أيضا يحتمل الى غير ذلك .

قال ابن كثير (١) : عند قوله تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى .. " الخ . قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة الى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركى قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح .

وقد ذكر ابن العربى (٢) : فى كتابه ، فضل تنبيه الغبى على مقدار النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشرة أدلة على بطلان قصة الغرانيق ، وأسمى هذه الادلة بالمقامات العشر ، نوجزها فيما يلى :

١) المقام الاول : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا أرسل الله اليه الملك بوحيه ، فانه يخلق له العلم به حتى يتحقق أنه رسول من عنده ، ولولا ذلك لما صحت الرسالة ، ولا تبينت النبوة ، فاذا خلق الله له العلم به تميز عنده من غيره ، وثبت اليقين ، واستقام سبيل الدين ولو كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا شافهه الملك بالوحى

---

(١) ابن كثير ٣/٢٤١ الطبعة الاولى سنة ١٣٨٤ هـ .
(٢) بواسطة رسالة الشيخ الالبانى ١/٤ فما بعدها .

لا يدرى أملك هو ، أم شيطان ، أم انسان ، أم صورة ، مخالفة لهذه الاجناس ألقت اليه كلاما ، وبلغت اليه قولا ، لم يصح أن يقول : انه من عند الله ، ولا ثبت عندنا أنه أمر الله ، فهذه سبيل متيقنه ، وحالة متحققه لابد منها ، ولا خلاف فى المنقول ، ولا فى المعقول فيها ، ولو جاز للشيطان أن يتمثل فيها أو يتشبه بها ما أمضاه على آية ، ولا عرف منه حق من باطل ، فارتفع بهذا المقام اللبس وصح اليقين .

٢) المقام الثانى : أن الله قد عصم رسوله من الكفر ، وأمنه من الشرك ، واستقر ذلك من دين المسلمين باجماعهم فيه ، واطباقهم عليه ، فمن ادعى أنه يجوز عليه أن يكفر بالله ، أو يشك فيه طرفة عين ، فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ، بل لا تجوز عليه المعاصى ، فضلا عن أن ينسب الى الكفر فى الاعتقاد ، بل هو المنزه عن ذلك فعلا واعتقادا .

٣) المقام الثالث : أن الله قد عرف رسوله بنفسه وبصره بأدلته ، وأراه ملكوت سماواته ، وعرفه سنن من كان قبله من الرسل ، فلم يكن يخفى عليه من أمر الله ما نعرفه نحن اليوم ، ونحن حثالة أمته ، ومن خطر له ذلك ، فهو ممن يمشى مكبا على وجهه ، غير عارف بنبيه ولا ربه .

٤) المقام الرابع : قال ابن العربى : تأملوا فتح الله اغلاق النظر عنكم الى قول الرواة الذين هم أعداء الاسلام ، ممن صرح بعداوته أن

النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما جلس مع قريش تمنى أن لا ينزل عليه من الله وحى ، فكيف يجوز لمن معه أدنى مسكة أن يخطر بباله أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ آثر وصل قومه على وصل ربه ، وأراد أن لا يقطع أنسه بهم بما ينزل عليه من عند ربه من الوحى الذى كان حياة جسده وقلبه .

٥) المقام الخامس : أن قول الشيطان " تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهم لترتجى " للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقبوله منه ذلك ، تجعله يلتبس الشيطان عليه بالملك ، ويختلط التوحيد بالكفر عليه ، حتى لم يفرق بينهما .

قال : وأنا من أدنى المؤمنين منزلة ، وأقلهم معرفة بما وفقنى الله له ، وآتانى من علمه ، لا يخفى على وعليكم ، ان هذا كفر ، لا يجوز وروده من عند الله ، ولو قاله أحد لكم لتبادر الكل اليه قبل التفكير بالانكار والردع ، والتثريب ، والتشنيع ، فضلا عن أنه يجهل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ حال القول ، ويخفى عليه قوله ، ولا يتفطن لصفة الاصنام ، بأنها الغرانقة العلى ، وأن شفاعتهن ترتجى ، وقد علم علما ضروريا أنها جمادات ، لا تسمع ولا تبصر ولا تنطق ، ولا تضر ، ولا تنفع ، ولا تنصر ، ولا تشفع ، بهذا كله كان يأتيه جبريل مساء صباح ، وعليه انبنى التوحيد ، ولا يجوز نسخه من جهة المنقول ، فكيف يخفى هذا على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

٦) المقام السادس : قال تعالى : " وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره " (١) .

فقول ابن العربى : " كاد " يكون كذا معناه قارب ولم يكن فأخبر فى هذه الاية أنهم قاربوا أن يفتنوه عن الذى أوحى اليه ولم تكن فتنة .

٧) المقام السابع : لم يفتر ولو فتنوك وافتريت لاتخذوك خليلا ، فلم تفتن ، ولا افتريت ، ولا اتخذوك خليلا .

٨) المقام الثامن : " ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا " (٢) . فأخبر سبحانه وتعالى أنه ثبته ، وقرر التوحيد والمعرفة فى قلبه ، وضرب عليه سرادق العصمة ، وآواه فى كنف الحرمة ، ولو وكله الى نفسه ، ورفع عنه ظل عصمته لحظة ، لألم بما راموه فهذه الاية نص فى عصمته من كل ما نسب اليه .

٩) المقام التاسع : ان هذه الاية نص فى غرضنا دليل على صحة مذهبنا أصل فى براءة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما نسب اليه انه قال : وذلك أنه قال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته " . فأخبر الله تعالى أن من سنته

---

(١) سورة الاسراء الاية : ٧٣ .
(٢) سورة الاسراء الاية : ٧٤ .

فى رسله ، وسيرته فى أنبيائه ، أنهم اذا قالوا عن الله قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه ، كما يفعل سائر المعاصى ، كما تقول : ألقيت فى الدار كذا ، فهذا نص فى أن الشيطان زاد فى الذى قاله النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قاله ، وذلك أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اذا تلا سكت فى مقاطع الآى سكوتا محصلا ، وكذلك كان حديثه مترسلا فيه متأنيا ، قال : فتتبع الشيطان تلك السكتات التى بين قوله : "ومناة الثالثة الاخرى" وبين قوله : "ألكم الذكر وله الانثى" . فقال : يحاكى صوت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ "انهن الغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى" . فأما المشركون الذين فى قلوبهم مرض لقلة البصيرة وفساد السريرة فتلوها عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونسبوها اليه لجهلهم ، حتى سجدوا معه اعتقادا منهم أنه معهم ، أما المؤمنون فانهم يؤمنون بالقرآن ويعلمون أنه حق ويرفضون ما سواه ، وتشمئز نفوسهم من الباطل فلم يصدقوه .

قال ابن العربى : وكل هذا ابتلاء وامتحان من الله ، ثم ختم كلامه بما مضمونه : أوصيكم أن تجعلوا القرآن امامكم ، وحروفه أمامكم ، ولا تحملوه ما ليس فيه ، ولا تربطوا به ما ليس منه .

قال : والطبرى مع جلالة قدره وسعة باعه ، وصفاء فكره ، قد ذكر روايات باطلة لا أصل لها ، ولو شاء ربك لما رواها أحد ، ولا سطرها ، ولكنه فعال لما يريد ، عصمنا الله واياكم بالتوفيق والتسديد ، وجعلنا واياكم من أهل التوحيد ، بفضله ورحمته .

قال القاضي عياض[1] : اعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين :

١) أحدهما في توهين أصله .

والثاني : على فرض تسليمه .

أما المأخذ الاول : فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواة ثقة بسند متصل سليم ، وانما أولع به وبمثله المفسرون ، والمؤرخون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم ، وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال : لقد بلي الناس ببعض أهل الاهواء والتفسير ، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقله ، واضطراب رواياته ، وانقطاع اسناده ، واختلاف كلماته .

فقائل يقول : انه في الصلاة .

وآخر يقول : قالها في نادي قومه ، حين أنزلت عليه السورة .

وآخر يقول : ان الشيطان قالها على لسانه ، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأتك .

وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قرأها ، فلما بلغ النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك قال : والله ما هكذا أنزلت ، الى غير ذلك من اختلاف الرواة .

---

(١) في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى . تحقيق محمد أمين قره وزملائه ٢/٢٢٩ فما بعدها .

قال : ومن حكيت عنه هذه الرواية من المفسرين ، لم يسندها أحد منهم ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية ، والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب - الشك فى الحديث - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان بمكة ، وذكر القصة .

وقال أبو بكر البزار : هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ، ولم يسنده عن شعبة الا أمية ابن خالد ، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، وانما يعرف عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، فقد بين لك أبو بكر - رحمه الله - أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نبه عليه ، مع وقوع الشك فيه الذى لا يوثق به ، ولا حقيقة معه .

وأما حديث الكلبى فمما لا تجوز الرواية عنه ، ولا ذكره لقوة ضعفه ، وكذبه ، كما أشار اليه البزار ، هذا توهين القصة من جهة النقل .

٢) أما من جهة المعنى ، فقد قامت الحجة ، وأجمعت الامة على عصمته - صلى الله عليه وسلم - ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة .

اما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله ، وهو كفر ،

أو أن يتسور عليه الشيطان ، ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ، حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلام ، وذلك كله

ممتنع فى حقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو يقول ذلك النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قبل نفسه عمدا ، وذلك كفر ، أو سهو ، وهو معصوم من هذا كله .

الى أن قال القاضى عياض : ووجه ثان ، وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا ، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام ، متناقض الاقسام ، ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ، وهذا لا يخفى على أدنى متأمل ، فكيف بمن رجح حلمه ، واتسع فى باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه .

قال القاضى عياض : ولقد طالبه قريش ، وثقيف اذا مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه اليها ، ووعدوه الايمان به ان فعل ، فما فعل ، ولا كاد .

قال القاضى عياض : وأما المأخذ الثانى : فهو مبنى على تسليم الحديث لو صح أعاذنا الله من صحته ، ولكن مع كل حال ، فقد أجاب عن ذلك أئمة ، بأجوبة منها الغث ، والسمين ، ولكن أقرب تلك الاجوبة : ان الشيطان هو الذى ألقى ذلك فى سكتة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين الآيتين ، محاكيا نغمة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأشاع ذلك المشركون عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة ، قبل ذلك على ما أنزلها الله ، وتحققهم من حال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذم الاوثان ، وعيبها على ما عرف عنه .

قال فى أضواء البيان [١] : هذا القول الذى زعمه كثير من المفسرين ، وهو أن الشيطان ألقى على لسان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الشرك الاكبر ، والكفر البواح الذى هو قولهم (تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى) يعنون اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ، الذى لا شك فى بطلانه ، فى نفس سياق آيات النجم ، التى تخللها القاء الشيطان ، المزعوم قرينة قرآنية ، واضحة على بطلان هذا القول لان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قرأ بعد موضع الالقاء المزعوم بقليل قوله تعالى : " فى اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى " (ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) . وليس من المعقول أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسب آلهتهم هذا السب العظيم فى سورة النجم ، متأخرا عن ذكره لها بالخير المزعوم ، الا وغضبوا ، ولم يسجدوا لان العبرة بالكلام الاخير ، مع أنه قد دلت آيات قرآنية على بطلان هذا القول ، وهى الايات الدالة على أن الله لم يجعل للشيطان سلطانا على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ واخوانه من الرسل واتباعهم المخلصين ، وقد تقدمت الايات فى أول البحث .

قال : واعلم أن مسألة الغرانيق مع استحالتها شرعا ، ودلالة القرآن على بطلانها لم تثبت من طريق صالح ، للاحتجاج ، فقد صرح بعدم

---

(١) أضواء البيان ٥/ ٧٣ وما بعدها .

ثبوتهـا خلق كثير من علماء الحديث ، كما هـو الصواب ، والمفسرون يـروون هـذه القصة عن ابن عباس من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، ومعلوم أن الكلبى متروك ، وقد بين البزار ـ رحمه الله تعالى ـ أنهـا لا تعرف من طريق يجوز ذكره ، الا طريق أبى بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذى وقع فى وصله .

وقد اعترف الحافظ ابن حجر (١) مع انتصاره لثبوت هذه القصة بأن طرقها كلها ، اما منقطعة ، أو ضعيفة ، الا طريق سعيد بن جبير . قال : واذا علمت ذلك فاعلم أن طريق سعيد بن جبير لم يروها بها أحد متصلة الا أمية بن خالد ، وهو وان كان ثقة فقد شك فى وصلها ، فقد أخرج البزار ، وابن مردويه ، من طريق أمية بن خالد عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب ثم ساق حديث القصة المذكورة .

وقال البزار : لا يرى متصلا الا بهذا الاسناد ، تفرد بوصله أمية ابن خالد ، وهو ثقة مشهور .

وقال البزار : وانما يروى من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس والكلبى متروك .

---

(١) فتح البارى ١٠/٥٤ مطبعة الحلبى وأولاده بالقاهرة ، ١٣٧٨ هـ .

قال فى أضواء البيان : فتحصل أن قصة الغرانيق لم ترد متصلة الا من هذا الوجه الذى شك راويه فى الوصل ، ومعلوم أن ما كان كذلك ، لا يحتج به لظهور ضعفه .

ولذا قال ابن كثير : انه لم يرها مسندة من وجه صحيح .

وقال الشوكانى : فى هذه القصة : ولم يصح شىء من هذا ، ولا يثبت بوجه من الوجوه ، ومع عدم صحته ، بل بطلانه ، فقد دفعه المحققون ، بكتاب الله كقوله تعالى : " ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا " (١) . فنفى المقاربة للركون ، فضلا عن الركون ، وغيرها من الايات ، وقد قدمنا الايات الدالة على ذلك .

ونقل الشوكانى عن البزار : أنها لا تروى باسناد متصل .

وعن البيهقى قال : هى غير ثابتة ، من جهة النقل .

وذكر عن امام الائمة ابن خزيمة : أن القصة من وضع الزنادقة .

هذا وأختم الكلام على قصة الغرانيق ، بكلام جميل للسيد قطب ذكره فى ظلال القرآن (٢) ، وتعليق على كلام ابن حجر فى الفتح ذكره الدكتور/ عمر أحمد على عبد الرحمن .

---

(١) سورة الاسراء الاية : ٧٤ .

(٢) ظلال القرآن (المجلد السادس) ص ٢٤٢٠٠ فما بعدها ، دار الشروق .

قال سيد قطب : هناك روايات تنسب قولة الغرانيق تلك الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وتعلل هذا برغبته فى مرضاة قريش ومهادنتها ، وقد رفضت تلك الروايات كلها منذ الوهلة الاولى ، فهى فضلا عن مجافاتها لعصمة النبوة ، وحفظ الذكر من العبث والتحريف فان سياق السورة ذاته ، ينفيها نفيا قاطعا ، اذ أنه يتصدى لتوهين عقيدة المشركين فى هذه الالهة وأساطيرهم حولها ، فلا مجال لادخال هاتين العبارتين فى سياق السورة بحال ، حتى على قول من قال : ان الشيطان ألقى بهما فى أسماع المشركين ، دون المسلمين ، فهؤلاء المشركون كانوا عربا يتذوقون لغتهم ، وحين يسمعون هاتين العبارتين المقحمتين ، ويسمعون بعدهما " ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى " .. الخ . حين يسمعون هذا السياق كله ، فانهم لا يسجدون مع الرسول — صلى الله عليه وسلم — لان الكلام لا يستقيم ، والثناء على آلهتهم ، وتقرير أن لها شفاعة ترتجى لا يستقيم ، وهم لم يكونوا أغبياء كغباء الذين افتروا هذه الروايات التى تلقفها منهم المستشرقون .

قال سيد قطب : لغير هذا السبب اذن سجد المشركون ، قال : لقد بقيت فترة أبحث عن السبب الممكن لهذا السجود ، ويخطر لى احتمال أنه لم يقع ، وانما هى رواية ذكرت لتعليل عودة المهاجرين من الحبشة ، بعد نحو شهرين ، أو ثلاثة ، وهذا يحتاج الى التعليل ، بينما أنا كذلك وقعت لى تجربة شعورية خاصة ، كنت بين رفقة نسمر حينما طرق أسماعنا صوت

قارىء للقرآن ، من قريب يتلو سورة النجم ، فانقطع بيننا الحديث لنستمع ، وننصت للقرآن ، وكان القارىء صوته مؤثرا ، ويرتل ترتيلا حسنا ، وشيئا فشيئا عشت معه ، عشت مع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى رحلته الى الملأ الاعلى ، وهو يشهد جبريل عليه السلام على صورته الملائكية التى خلقه الله عليها ، ذلك الحديث العجيب المدهش حين يتدبره الانسان ، ويحاول تخيله ، وعشت معه ، وهو فى رحلته العلوية ، عند سدرة المنتهى ، وجنة المأوى ، عشت معه ، بقدر ما يسعنى خيالى ، وتحلق بى رؤياى ، وبقدر ما تطيق مشاعرى وأحاسيسى ، الى أن قال : وارتجف كيانى تحت وقع اللمسات المتتابعة فى المقطع الاخير من السورة الغيب المحجوب لا يسراه الا الله ، والعمل المكتوب لا يند ولا يغيب عن الحساب والجزاء ، والمنتهى الى الله فى كل طريق يسلكه العبيد ، والحشود الضاحكة ، والحشود الباكية ، وحشود الموتى ، وحشود الاحياء ، والنطفة تهتدى فى الظلمات الى طريقها ، وتخطو خطواتها ، وتبرز أسرارها ، فاذا هى ذكر أو أنثى ، واستمعت الى صوت النذير الاخير ، قبل الكارثة ، الداهمة ، هذا نذير من النذر الاولى ، ثم جاءت الصيحة الاخيرة ، واهتز كيانى كله أمام التبكيت الرهيب " أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون " .

قال : فلما سمعت " فاسجدوا لله واعبدوا " كانت الرجفة قد سرت من قلبى حقا الى أوصالى ، واستحالت رجفة عضلية مادية ، ذات مظهر مادى لم أملك

مقاومته ، فظل جسمى كله يختلج ، ولا أتمالك أن أثبته ، ولا أن أكفكف دموعا هاتنة ، وأدركت فى هذه اللحظة أن حادث السجود صحيح ، وأن تعليله قريب انه كان فى ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن ، ولهذه الايقاعات المزلزلة فى سياق هذه السورة .

قال : ولم تكن هذه أول مرة أقرأ فيها سورة النجم ، أو أسمعها ، ولكن فى هذه المرة كان لها هذا الوقع ، وكانت منى هذه الاستجابة ، وهذا سر القرآن ، فهناك لحظات خاصة ، تمس الاية فيها موضع الاستجابة ، وتقع اللمسة التى تصل القلب بمصدر القوة فيها ، والتأثير فيكون منها ما يكون ، كهذه مست قلوب الحاضرين يومها جميعا ، ومحمد — صلى الله عليه وسلم — يقرأ هذه السورة ، يقرأها بكيانه كله ويعيش فى صورها التى عاشها من قبل بشخصه ، وتنصب كل هذه القوة الكامنة فى السورة من خلال صوت محمد — صلى الله عليه وسلم — فى أعصاب السامعين ، فيرتجفون ، ويسمعون " فاسجدوا لله واعبدوا " ويسجد محمد — صلى الله عليه وسلم — والمسلمون ، ويسجد معه المشركون

الى أن قال : ومثل هؤلاء اذا استمعوا الى سورة النجم من محمد — صلى الله عليه وسلم — فأقرب ما يحتمل أن تصادف قلوبهم لحظة الاستجابة التى لا يملكون أنفسهم أزاءها ، وأن يأخذوا بسلطان هذا القرآن فيسجدوا مع الساجدين بلا غرانيق ، ولا غيرها من روايات المفترين [١] .

---

(١) فى ظلال القرآن ٦/٣٤٢٠ تلخيصا .

فأنت ترى أيها القارىء أن سيد قطب يرى أن سبب سجود المشركين مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس لانه ألقى الشيطان فى سكتاته تلك الفرية ، بل انما سبب سجودهم وقع القرآن فى أنفسهم ، وبلاغته عندهم ، وهذا من أحسن ما يكون فى تعليل هذا السجود .

" التعليق على كلام ابن حجر "

قال الدكتور / عمر أحمد على عبد الرحمن (١) : أما قول ابن حجر فان الطرق اذا كثرت ، وتباينت مخارجها ، دل ذلك على أن لها أصلا ، فهى دعوى يعوزها الدليل ، لان كثرة الطرق ، وتباين المخارج تدل على أن للمروى أصلا ، اذا كان أصحاب هذه الطرق مستورين مع ضبطهم ، أو غير ضابطين مع صدقهم ، أما اذا كانوا كذابين أو متهمين بالكذب ، كالذى معنا ، فان كثرة الطرق لا تزيد المروى الا خبالا ، ولا تدل الا على أنه لا أصل له ، اننا لا نعبأ بكثرة الطرق ما دامت كلها هباء . أرأيت لو جمعنا مليونا من الاصفار ، وضممت بعضها الى بعض ، فهل تنتج يوما ما واحدا صحيحا ؟ بالطبع الجواب : لا ، فكذلك الطرق والاسانيد مهما كثرت وتعددت ، وكان أصحابها كذابين أو متهمين بالكذب ، فانها لا تنتج خبرا صادقا ، قال : ومن ذلك يتبين خطأ ابن حجر فى تصحيحه ، مثل هذه الاحاديث بحجة كثرة الطرق . حتى قال أحد أساتذتنا فى الحديث ، وهو كذلك كان أستاذى أنا فى الماجستير فى

---

(١) تفسير سورة النجم ص ٢٤٢ .

قسم الكتاب والسنة ، وهو الشيخ السماحى ، قال : ان تصحيح ابن حجر للاحاديث كتصحيح السيوطى لا يعتد به ، وقال الدكتور الكومى : يغفر الله لابن حجر هذه الزلة ، يعنى تصحيحه لقصة الغرانيق ، ثم يقول ابن حجر على بعض الاسانيد : وهى مراسيل يحتج بمثلها ، من يحتج بالمرسل ، قال : ونسى ابن حجر أن هذه القصة ليست كسائر القصص أو الامور التشريعية التى يحتج لها بالمراسيل ، انما هى قصة تتصل اتصالا وثيقا بالعقيدة الاصلية .

فظهر بما تقدم من الادلة ، من القرآن والسنة ، وأقوال العلماء ، أن قصة الغرانيق كذب ، لا أصل لها ، وانما روجها وأثار حولها عجاجة من القول ، أولئك الذين فى قلوبهم مرض ، أو لم يفهموا الاسلام حق الفهم ، وما كتبته فى هذه القصة أرجو أن يكون فيه غناء ، لمن يريد الحق ، والخير قصدت وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب .

* * *

قوله تعالى : " وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى " .

==

وسأفرد الملائكة ، والشفاعة ببحث ـ ان شاء الله ـ

" التفسير التفصيلى للآيات "

قوله تعالى : " وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا " فى هذه الاية اقناطهم عما طمعوا به ، من شفاعة الملائكة عليهم السلام موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام ، بطريق الاولوية (١) .

قال القرطبى : هذا توبيخ من الله تعالى لمن عبد الملائكة والاصنام وزعم أن ذلك يقربه الى الله زلفى ، فأعلم أن الملائكة مع كثرة عبادتها ، وكرامتهم على الله ، لا تشفع الا لمن أذن أن يشفع له (٢) .

وكم هنا هى الخبرية المفيدة للتكثير .

قال فى فتح البيان (٣) : ولهذا جمع الضمير فى شفاعتهم مع افراد الملك ، قال : فلفظها مفرد ، ومعناها جمع ، وفيه اقناط لهم مما علقوا به ،

---

(١) روح المعانى ٥٨/٢٧ ، أبو السعود ٢٢٤/٥ .

(٢) القرطبى ١٠٤/١٧ .

(٣) فتح البيان ٩ / ١٧٢ .

وتوبيخ لهم ، بما يتمنونه ، ويطمعون فيه من شفاعة الاصنام ، مع أن الملائكة مع كثرتها وكرامتها على الله لا تشفع الا بعد أن يأذن الله أن يشفع له ، فكيف بهذه الجمادات الفاقدة للعقل والفهم .

قال في البحر المحيط[١] : كم هذه هي الخبرية ، ومعناها التكثير لا تغني : لا تجلب نفعا ، ولا تدفع ضرا بحسب الامر الذي يكون فيه الغنى وكم لفظها مفرد ، ومعناها جمع .

قال في حاشية الشهاب : وفائدة اضافة الشفاعة الى ضمير ، هم ، الايذان بأنها لا توجد بغير اذن ، ولو من أهلها[٢] .

قال الزمخشري : أمر الشفاعة ضيق ، وذلك أن الملائكة مع قربتهم وزلفاهم ، وكثرتهم ، واغتصاص السموات بجموعهم ، لو شفعوا بأجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ، ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ، ويراه أهلا لان يشفع له ، فكيف تشفع الاصنام اليه بعبدتهم[٣] .

أقول : ولا يخفى أن شيئا نكرة في سياق النفي ، والنكرة اذا كانت في سياق النفي كما هنا تكون نصا في العموم ، كما هو مقرر في علم الاصول[٤] .

---

(١) أبو حيان ٨/ ١٦٣ .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي ٨/ ١١٤ .

(٣) الكشاف ٤/ ٣١ .

(٤) شرح مراقي السعود للشيخ محمد الامين بن أحمد زيدان ، مخطوطة في الاصول .

كقوله تعالى : " فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " (١) .

قوله تعالى : " الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى " .
يخبر سبحانه وتعالى أنه لا شفاعة للملائكة الا بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء أن يشفعوا له " ويرضى " بالشفاعة لكونه من أهل التوحيد ، وليس للمشركين في ذلك حظ ، ولا يأذن الله بالشفاعة لهم ، ولا يرضاها لكونهم ليسوا من المستحقين لها .

قال ابن عباس : يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضي الله عنه .
وقيل : الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له (٢) .

قال في زاد المسير (٣) : والمعنى أنهم لا يشفعون الا لمن رضي الله عنهم .

قال الالوسي : " ويرضى " ويراه سبحانه أهلا للشفاعة من أهل التوحيد والايمان ، وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان ، فهم من اذن الله تعالى بمعزل ، وعنه بألف ألف منزل ، وجوز أن يكون المراد الا من بعد

---

(١) سورة الكهف الاية : ١١٠ .
(٢) فتح البيان ٩/١٧٢ ، تفسير الخازن مع تفسير البغوي ٦/٢٦٤ .
(٣) زاد المسير ٨/٧٤ .

أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة بالشفاعة ، ويراه عز وجل أهلا لها ، وأيا ما كان ، فالمعنى على أنه اذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ، فالحاصل أنه لا شفاعة لهم ولا غناء من دون أن يأذن الله سبحانه وتعالى (١).

وقال ابن كثير : هذه الاية مثل قوله تعالى : "من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه" (٢).

وقوله تعالى : "ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له" (٣).

فاذا كان هذا حق الملائكة المقربين ، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الاصنام والانداد عند الله ، وهو تعالى لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها ، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله ، وأنزل بالنهى عن ذلك جميع كتبه (٤).

(لطيفتان)

اللطيفة الاولى : (كم) كلمة تستعمل فى المقادير ، فاذا كانت لبيان المقادير على الاجمال فهى الخبرية كما فى الاية ، وكقولك : كم رجل أكرمنى : أى كثير منهم أكرمونى ، أما ان كانت لاستبانة المقادير فتكون استفهامية ، كقولك :

---

(١) روح المعانى ٢٧/٥٩ .
(٢) سورة البقرة الاية : ٢٥٥ .
(٣) سورة سبأ من الاية : ٢٣ .
(٤) تفسير ابن كثير ٤/٢٥٥ .

كم رجلا جاءك ، أى كم عدد الجائين ، تستبين المقدار .

اللطيفة الثانية : قال شفاعتهم على عود الضمير الى المعنى ، ولو قال شفاعته لكان العود الى اللفظ ، فيجوز أن يقال : كم من رجل رأيته ، وكم من رجل رأيتهم .

قال فى التفسير الكبير : فان قلت : هل بينهما فرق معنوى ؟ قلت : نعم . وهو أنه تعالى لما قال : " لا تغنى شفاعتهم " يعنى شفاعة الكل ، ولو قال شفاعته لكان معناه ، كثير من الملائكة كل واحد لا تغنى شفاعته ، فربما كان يخطر ببال أحد أن شفاعتهم تغنى اذا جمعت ، قال : وعلى هذا ففى الكلام أمور كلها تشير الى عظم الامر :

أحدها : كم فانها للتكثير .

ثانيها : لفظ الملك ، فانه أشرف أجناس المخلوقات .

ثالثها : قوله فى السموات ، فانها اشارة الى علو منزلتهم ، ودنو مرتبتهم من مقر السعادة .

رابعها : اجتماعهم على الامر فى قوله " شفاعتهم " وكل ذلك لبيان فساد قولهم : ان الاصنام يشفعون ، أى كيف تشفع مع حقارتها وضعفها ودناءة منزلتها ، فان الجمادات أخس الاجناس ، والملائكة أشرفها ، وهم فى أعلى السموات ، ولا تقبل شفاعة الملائكة ، فكيف تقبل شفاعة الجمادات[1] .

---

(١) التفسير الكبير ٣٠٦/٢٨ .

أوجـه القـراءة :

١) قـرأ الجمهور : شفاعتهم ، بإفراد الشفاعة ، وجمع الضمير .

٢) وقرأ زيد بن على : شفاعته ، بإفراد الشفاعة والضمير .

٣) وقرأ ابن مقسم : شفاعاتهم ، بجمعها أى جمع الشفاعة والضمير .

قال فى البحر[1] : وهو اختيار صاحب الكامل ، أى القاسم الهذلى .

قال أبو حيان : وأفردت الشفاعة فى قراءة الجمهور ، لانها مصدر ، ولانهم لو شفع جميعهم لواحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا .

الاعـراب :

(كم) خبرية ، مفيدة للتكثير ، مبنية على السكون فى محل رفع على الابتداء ، وخبرها الجملة المنفية ، وهو قوله تعالى : " لا تغنى شفاعتهم شيئا "(٢) .

* * *

---

(١) البحر المحيط ٨/١٦٣ ، روح المعانى ٢٧/٥٩ .

(٢) الفتوحات الالهية ٤/٢٣١ ، البحر المحيط ٨/١٦٣ ، روح المعانى ٢٧/٥٩ .

" المعنى الاجمالي للآيات "

أخبر سبحانه وتعالى في هذه الايات أن كثيرا من عباده المقربين ، الملائكة ، الذين وصفهم بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون مع علو مكانتهم ، وعلو مسكنهم ، مع هذا كله ، فان شفاعتهم لا تجلب نفعا ، ولا تدفع ضرا ، الا اذا أذن الله سبحانه وتعالى للشافع ، ورضي عن المشفوع له .

قال سبحانه وتعالى : " من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه "(١) .

وقال تعالى : " ولا يشفعون الا لمن ارتضى "(٢) .

وهاتان الايتان ، فيهما رد وتقريع ، وتوبيخ لاولئك الكفرة الفجرة الذين يزعمون أن آلهتهم التي اتخذوها من عند أنفسهم ، ما أنزل الله بها من برهان ، يزعمون أنها تشفع لهم ، وتقربهم الى الله زلفى ، فاذا كانت الملائكة وهم من أفضل عباد الله ، ومن أقدسهم ، لا يمكن أن يشفعوا لاحد ، الا بعد الاذن لهم ، وأن يكون المولى جل جلاله راضيا عن المشفوع له ، فكيف بهؤلاء الكفرة ، فكلامهم باطل غير صحيح ، فان الشفاعة لا تنفع الكافرين ، فلابد فيها من الاذن من الله عز وجل للشافع ، وأن يكون قد رضيها للمشفوع له ، ومن شرط ذلك أن يكون المشفوع له مؤمنا حقا ، فلا حظ

---

(١) سورة البقرة الاية : ٢٥٥ .

(٢) سورة الانبياء الاية : ٢٨ .

فى الشفاعة للكفرة . قال تعالى : " فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين " (١) .

وقد دلت الأحاديث على أنه لا حظ فى الشفاعة لغير المسلم ، فالمسلم هو الذى تنفعه الشفاعة من النبيين ، أومن غيرهم من الصالحين والابرار ، اذا أرادها الله سبحانه وتعالى ، بخلاف من مات كافرا ، فلا حظ له فى ذلك قال تعالى : " ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " (٢) .

فالكافر مهما كان عمله صالحا فى الدنيا ، كبر الوالدين ، وصلة الارحام ، والانفاق ، ونحو ذلك من البر ، فان ذلك لا ينفعه ، ما دام لم يمت على الايمان .

قال تعالى : " وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا " (٣) .

وقال تعالى : " من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون " (٤) .

* * *

---

(١) سورة المدثر الايتان : ٤٨ ـ ٤٩ .
(٢) سورة النساء الاية : ٤٨ .
(٣) سورة الفرقان الاية : ٢٣ .
(٤) سورة هود الايتان : ١٥ ، ١٦ .

بحث في
" الملائكة عليهم السلام "

هذا : وبما أن في هذه الايات ذكرا للملائكة في قوله تعالى : " وكم من ملك في السموات .. " الخ .

أحببت أن أذكر هنا في هذه الرسالة بحثا موجزا عن عالم الملائكة ذلك العالم المختار ، الذي اصطفاه الله تبارك وتعالى من خلقه ، وجعله واسطة بينه وبين خلقه من البشر ، ووكله بتدبير شؤون العباد ، ومصالحهم ، فهم عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ومن الذنوب معصومون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لا يعلم كثرتهم الا هو سبحانه ..

والذي حملني على هذا البحث : أني قرأت وسمعت أن بعض المسلمين اليوم ينكرون عالم الملائكة ، ويقولون : بأنهم لا حقيقة لهم ، فأقول وبالله أستعين :

الصحيح من أقوال العلماء أن الملائكة أجسام نورانية موجودة حقيقة ، قائمة بنفسها ، خلقهم الله عز وجل من النور ، ففي الحديث (١) : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم) .

---

(١) مسلم ٢٢٦/٨ كتاب الزهد ، أحمد ١٥٣/٦ ، ١٦٨ .

والايمان بهم واجب على كل مسلم . قال تعالى : "آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله" (١) .

وفى الصحيح (٢) : من حديث أبى هريرة قال : كان النبى -صلى الله عليه وسلم- بارزا يوما للناس ، فأتاه جبريل فقال : ماالايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته ، وبلقائه ورسله ، وتؤمن بالبعث . قال : ما الاسلام ؟ قال : الاسلام أن تعبد الله ، ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان . قال : ما الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك .. الخ .

ومعلوم أن الايمان بالملائكة هو اعتقاد ، وتصديق بوجودهم حقيقة وأنهم كما وصفهم الله تعالى عباد مكرمون (٣) لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلو ما يؤمرون ، ومن الذنوب معصومون .

قال البيضاوى : اختلف الناس فى حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنهم ذوات موجودة قائمة بأنفسها ، فذهب أكثر المسلمين الى أنها : أى الملائكة أجسام لطيفة ، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، مستدلين بأن الرسل عليهم السلام ، كانوا يرون الملائكة ، وزعمت طائفة من النصارى أنهم النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان .

---

(١) سورة البقرة الاية : ٢٨٥ .
(٢) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ١/١٢٥ .
(٣) قال ابن حجر : قدم الملائكة على الكتب والرسل نظرا للترتيب الواقع لانه سبحانه أرسل الملك بالكتاب الى الرسول ، وليس فيه متمسك لمن فضل الملك على الرسول ، فتح البارى ١/١٢٥ .

قال فى حاشية الشهاب : وأما قول النصارى فترده هذه الاية :

" واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء " (١) . لانها قبل خلق البشر (٢) .

قال فى روح المعانى (٣) : اختلف فى حقيقة الملائكة بعد الاتفاق على وجودها سمعا وعقلا .

١) قال : فذهب أكثر المسلمين الى أنها أجسام نورانية .

٢) وقيل : هوائية قادرة على التشكل والظهور بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى .

٣) وقالت النصارى : انها الانفس الناطقة المفارقة للابدان الصافية الخيرة .

٤) وقال عبدة الاوثان : انها هذه الكواكب ، السعد منها ملائكة الرحمة ، والنحس ملائكة العذاب .

٥) وقال الفلاسفة : انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة .

٦) وصرح بعضهم : بأنها العقول العشرة والنفوس الفلكية التى تحرك الافلاك .

---

(١) سورة البقرة الاية : ٣٠ .

(٢) البيضاوى مع حاشية الشهاب ١١٩/٢ .

(٣) الالوسى ٢١٨/١ .

قال فى تفسير الخازن : قيل : ان الملائكة أجسام لطيفة نورانية تقدر أن تتشكل بأشكال مختلفة مسكنهم السموات(١) .

قال فى الفتوحات الالهية : ودليل أن الملائكة أجسام موجودة أن الرسل عليهم السلام ، كانوا يرونهم(٢) .

قال فى تفسير أبى السعود (٣) : اختلف العقلاء فى حقيقتهم بعد الاتفاق على أنهم ذوات موجودة قائمة :

١) ذهب أكثر المتكلمين الى أنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، مستدلين بأن الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام .

٢) ذهب الحكماء الى أن الملائكة جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة ، وأنها أكمل قوة ، وأكثر علما ، وأنهم منقسمون الى قسمين :

١ ــ قسم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، غارقون فى تنزيه الله سبحانه وتعالى ، وهؤلاء هم العليون المقربون .

٢ ــ وقسم من الملائكة يدبر الامر من السماء الى الارض حسب ما جرى عليه قلم القضاء والقدر ، وهذا القسم هم المدبرات أمرا ، فمنهم سماوية ومنهم أرضية .

---

(١) تفسير الخازن ١/٤٥ .
(٢) تفسير الفتوحات الالهية ١/٣٨ .
(٣) تفسير أبى السعود ١/١٣٩ .

٣) وقال طائفة : من النصارى : الملائكة هى النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فى فتاويه (١) : والملائكة التى أخبر الله ورسوله بها ، لا يعلم عددهم الا الله تعالى ، ليسوا عشرة ، ولا تسعة ، وهم عباد الله أحياء ناطقون ، ينزلون الى الارض ، ويصعدون الى السماء ، ولا يفعلون الا باذن ربهم .

قال تعالى : " وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون " (٢) .

اشتقاق الملائكة من حيث اللغة :

الملائكة جمع ملك ، باعتبار أصله الذى هو ملأك على أن الهمزة مزيدة كالشمائل فى جمع شمأل ، واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة .

وقيل : انه مقلوب (٣) من مألك من الالوكة ، وهى الرسالة ، أى موضع الرسالة ، أو مرسل على أنه مصدر بمعنى المفعول ، فانهم وسائط

---

(١) فتاوى ابن تيمية المجلد ٣٣٢/١٧ ، طبع بأمر جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ ، اشرف على الطبع المكتب العلمى السعودى بالمغرب .

(٢) سورة الانبياء الايتان : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٣) قلبت الهمزة الى موضع اللام ، فقيل : مالأك ، ثم خففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على الساكن الذى قبلها ، فقيل : ملك ، وقد يستعمل متمما والحذف اكثر ، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير ، الاستاذ الطاهر احمد الزاوى ، طبعة دار الكتب العلمية ١٧٠/١ ، تفسير أبى السعود ١٣٩/١ ، روح المعانى ٢١٨/١ .

بين الله تعالى ، وبين الناس ، فهم رسله عز وجل ، أو بمنزلة رسله ـ عليهم السلام ـ والتاء فى الملائكة ، قيل لتأنيث الجمع ، وقيل لتأكيد المبالغة ، وقد ورد بغير تاء فى قول القائل :

أبا خالد صليت عليك الملائك

من أوصاف الملائكة :

من أوصاف الملائكة أنهم لا يأكلون ولا يشربون ، وأصرح دليل فى ذلك قصة الملائكة مع ابراهيم ، لما جاءوه ، فقدم لهم الطعام ،

قال تعالى :"هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم "(١).

ومن أوصاف الملائكة : أنهم لا يتعبون ، فهم قائمون بعبادة الله وطاعته ، وتنفيذ أوامره ،دون كل ، ولا ملل .

قال تعالى : " يسبحون الليل والنهار لا يفترون "(٢).

---

(١) سورة الذاريات الايات : ٢٤ ـ ٢٨ .

(٢) سورة الانبياء الاية : ٢٠ .

وفى آية أخرى : " فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون " (١) .

ومن أوصاف الملائكة : القوة ، فان جبريل اقتلع مدائن قوم لوط ، ورماها حتى ائتفكت بأهلها ، كما أن من أوصافهم السرعة .

قال فى عالم الملائكة (٢) : أعظم سرعة يعرفها البشر هى سرعة الضوء ، فهو ينطلق بسرعة (١٨٦) ألف ميل فى الثانية الواحدة ، أما سرعة الملائكة ، فهى فوق وهى سرعة لا تقاس بمقاييس البشر ، كان السائل يأتى الى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلا يكاد يفرغ من سؤاله حتى يأتيه جبريل بالجواب من رب العزة سبحانه وتعالى ، واليوم لو وجدت المراكب التى تسير بسرعة الضوء ، فانها تحتاج الى (مليار) سنة ضوئية حتى تبلغ بعض الكواكب الموجودة فى آفاق هذا الكون الواسع الشاسع .

ما يدل على كثرة الملائكة :

الملائكة ــ عليهم السلام ــ خلق كثير لا يعلم عددهم الا الله .

قال تعالى : " وما يعلم جنود ربك الا هو " (٣) . ومما يدل على كثرة الملائكة ما قاله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (أطت السماء وحق لها أن

---

(١) سورة فصلت الاية : ٣٨ .
(٢) عالم الملائكة ١/ ٢٢ عمر سليمان الاشقر .
(٣) سورة المدثر الاية : ٣١ .

تئط ، ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد ، أو راكع) (١) .

وما قاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى البيت المعمور الذى فى السماء السابعة :

(فاذا هو يدخله فى كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه) (٢) .

قال فى روح المعانى (٣) : الملائكة عندنا مقسمة الى قسمين :

١ ـ قسم شأنهم الاستغراق فى معرفة الحق ، والتنزه عن الاشتغال بغيره ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وهم العليون ، والملائكة المقربون .

٢ ـ وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء ، وجرى به القلم ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، وهم المدبرات أمرا ، منهم سماوية ، ومنهم أرضية ، لا يعلم عددهم الا الله ، وهم مختلفون فى الهيئات ، متفاوتون فى العظم .

وقال فى تفسير أبى السعود (٤) : روى أن بنى آدم عشر الجن ، والجن وبنى آدم عشر حيوانات البر ، والكل عشر الطيور ، والكل عشر حيوانات البحار ، وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا ، وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية ، وهكذا الى السماء السابعة .

---

(١) أحمد بن حنبل ٥/ ١٧٣ .

(٢) البخارى ٥/ ٦٦ـ٦٩ ، ومسلم مع النووى ٢/ ٢١٥ ، وأحمد ٣/ ١٤٩ .

(٣) الالوسى ١/ ٢١٨ .

(٤) تفسير أبى السعود ١/ ١٣٩ .

ثم كل أولئك فى مقابلة ملائكة الكرسى نزر قليل ، ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش ، التى عددها ستمائة ألف ، طول كل سرادق وعرضه وسمكه ، اذا قوبلت به السموات والارض ، وما فيهما ، وما بينهما ، لا يكون لها عنده قدر محسوس ، وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد أو راكع ، أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ، ثم كل هؤلاء فى مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة فى البحر ، ثم ملائكة اللوح الذين هم أشياع اسرافيل عليه السلام ، والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى أجناسهم ، ولا مدة أعمارهم ، ولا كيفيات عباداتهم ، الا بارئهم العليم الخبير .

أقول : وبالله التوفيق ما ذكره أبو السعود فى تفسيره هنا لم أر أحدا قاله من المفسرين ، ممن وقفت على كلامهم ، وعلى كل حال فيكفى قول الله عز وجل : " وما يعلم جنود ربك الا هو ، وما هى الا ذكرى للبشر "(١) .

أعمال الملائكة :

قال فى اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢) : فكل حركة فى السموات والارض من حركات الافلاك والنجوم ، والشمس ، والقمر ، والرياح ،

---

(١) سورة المدثر الاية : ٣١ .
(٢) اغاثة اللهفان ٢/ ١٢٠ وما بعدها .

والسحاب ، والنبات ، والحيوان ، فهى ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والارض .

كما قال تعالى : "فالمدبرات أمرا" (١) .

وقال تعالى : "فالمقسمات أمرا" (٢) .

وهى الملائكة عند أهل الايمان ، واتباع الرسل — عليهم السلام — وأما المكذبون ، للرسل ، المنكرون للصانع فيقولون هى النجوم .

قال : وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة ، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات ، وأنه سبحانه ، وكل بالجبال ملائكة ، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة ، ووكل بالرحم ملائكة ، تدبر أمر النطفة ، حتى يتم خلقها ، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظه ، وملائكة لحفظ ما يعلمه ، واحصائه ، وكتابته ، ووكل بالموت ملائكة ، ووكل بالسؤال فى القبر ملائكة ، ووكل بالافلاك ملائكة يحركونها .

والحاصل : أن الله سبحانه وتعالى وكل بالعالم العلوى والسفلى ملائكة تدبر أمر العالم باذنه ومشيئته ، وأمره ، فلهذا يضيف التدبير الى الملائكة تارة لكونهم المباشرين للتدبير ، قال تعالى : "فالمدبرات أمرا" . وتارة يضيف التدبير اليه سبحانه وتعالى كقوله : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر" (٣) .

---

(١) سورة النازعات الاية : ٥ .

(٢) سورة الذاريات الاية : ٤ .

(٣) سورة يونس الاية : ٤ .

وقال تعالى : " قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الامر فسيقولون الله " (١) .

كما أنه سبحانه وتعالى تارة يضيف التوفي الى الملائكة كقوله تعالى : " ان الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم " (٢) .

وتارة يضيف التوفي اليه سبحانه كقوله : " الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى " (٣) .

ابتلاء بني آدم بهم واختبارهم :

قد يرسل الله بعض ملائكته ابتلاء واختبارا لبني آدم ، ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : ان ثلاثة من بني اسرائيل ، أبرص ، وأقرع ، وأعمى ، أراد الله أن يبتليهم فبعث اليهم ملكا ، فأتى الابرص ، فقال : أي شيء أحب اليك ؟ فقال : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قذرني الناس ، فمسحه فذهب عنه قذره ، وأعطي لونا حسنا وجلدا

---

(١) سورة يونس الاية : ٣١ .
(٢) سورة النساء الاية : ٩٧ .
(٣) سورة الزمر الاية : ٤٢ .

حسنا ، قال : فأى المال أحب اليك ؟ قال : الابل ، أو قال : البقر ، فأعطى ناقة عشراء (أى حامل) فقال : بارك الله لك فيها ، فأتى الاقرع فقال : أى شىء أحب اليك ؟ قال : شعر حسن ، ويذهب عنى الذى قد رنى الناس ، فمسحه ، فذهب عنه ، وأعطى شعرا حسنا ، قال : وأى المال أحب اليك ؟ قال : البقر ، فأعطى بقرة حاصلا ، وقال : بارك الله لك فيها ، فأتى الاعمى فقال : أى شىء أحب اليك ؟ قال : ان يرد الله الى بصرى ، فأبصر الناس فمسحه فرد الله اليه بصره ، قال : فأى المال أحب اليك ؟ قال : الغنم ، فأعطى شاة والدا ، فأنتج هذا وولد هذا ،

فكان لهذا واد من الابل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم ، ثم انه أتى الابرص فى صورته ، وهيئته ، فقال : رجل مسكين قد انقطعت بى الحبال فى سفرى ، فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ، ثم بك ، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ به فى سفرى ، فقال الحقوق كثيرة ، فقال كأنى أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا ، فأعطاك الله ، فقال : انما ورثت هذا المال كابرا عن كابر ، فقال : ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت ، وأتى الاقرع فى صورته ، وهيئته فقال : له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد هذا ، فقال : ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت ، وأتى الاعمى فى صورته ، وهيئته فقال : رجل مسكين ، وابن سبيل ، انقطعت بى الحبال فى سفرى ، فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ، ثم

بك ، أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى ، فقال: قد كنت أعمى فرد الله الى بصرى ، فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشىء أخذته لله عز وجل فقال: أمسك مالك فانما ابتليتم ، فقد رضى الله عنك ، وسخط على صاحبيك "(١).

قال ابن القيم (٢): ولفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لامر غيره ، فليس لهم من الامر شىء ، بل الامر كله لله الواحد القهار ، وهم ينفذون أمره .

قال تعالى: " لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون "(٣).

قال: ونهاية القول فى الملائكة أنهم عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، ومن الذنوب معصومون " يسبحون الليل والنهار لا يفترون "(٤) فالقرآن مملوء بذكرهم ، وأصنافهم ، وأعمالهم ، بل لا تخلو سورة من القرآن عن ذكر الملائكة تصريحا أو تلويحا أو اشارة .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الانبياء
ومسلم فى كتاب الزهد

(٢) اغاثة اللهفان ٢/١٢١ .

(٣) سورة الانبياء الايتان: ٢٧ ـ ٢٨ .

(٤) سورة الانبياء الاية: ٢٠ .

وأما الاحاديث ، فذكرهم فيها أشهر ، وأكثر من أن يحصى ، ويذكر ، ولهذا كان الايمان بالملائكة عليهم السلام أحد الاصول الخمس التى هى أركان الايمان .

(تعليق)

أقول : وبالله التوفيق ، فكيف يصح بعد هذا لعاقل فقط ، دون أن يكون عالما أو مثقفا ، أن يصف الملائكة بأنهم غير موجودين ، وأنهم ليسوا أجساما ، والواقع يكذبه ، من أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأقوال العلماء سلفا وخلفا ، فجبريل - عليه السلام - كان يأتى الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحيانا فى صفة رجل - دحية الكلبى - وكان يأتيه فى كل رمضان يعارضه القرآن ، فمن يقول بهذا القول ، وان الملائكة غير موجودين ، وأنهم ليسوا أجساما قد أعمى الله بصيرته ، فان كان قد مات ، وكان مؤمنا نرجو الله أن يغفر له ، وان كان حيا نرجو أن يتوب ، ويرجع الى رشده ، وينظر أقوال العلماء فى هذا النوع من الخلق الكرام ، فى كتب التفسير ، والحديث ، ففى كتب أهل السنة من التفسير والحديث ما هو كفيل برجوع من كان منصفا عن بدعته ، بنفى الملائكة ، وهذا قول بهتان ، وافتراء على الله ، بل يجب على المسلم ، أن يسلم ، وان لم يدرك كنه الملائكة ، ومن أوصاف المؤمنين الذين امتدحهم الله بها ، أنهم يؤمنون بالغيب ، فمالم

الملائكة لا شك أنه من عالم الغيب ، لكنه موجود حقيقة شرعا ، فالمنكر له ان كان عالما بنصوص القرآن والحديث ، يكون كافرا ، وان كان متأولا فانما أعمى الله بصيرته " فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور " (١) .

ونكتفى بهذا القدر فى الكلام على هذا العالم المصطفى ، عالم الملائكة ، ونؤمن بهم ، وبأنهم عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وبأنهم حقيقة موجودون ، قائمون بذواتهم ، وأنهم أجسام خلقهم الله من النور .

وأختم البحث بما قاله العلماء من الخلاف فى أفضليتهم على الرسل أم الرسل عليهم السلام أفضل ، وما أراه راجحا فى ذلك ، حسب الدليل ، والله الهادى الى سواء السبيل .

* * *

---

(١) سورة الحج الاية : ٤٦ .

" هل الافضل الملائكة
أم الانبياء والرسل "

ذكر القرطبي في تفسيره قولين : قال :

١) ذهب قوم الى أن الرسل من البشر أفضل من الرسل من الملائكة ، والاولياء من البشر أفضل من الاولياء من الملائكة .

٢) وذهب آخرون الى أن الملأ الاعلى أفضل .

حجة من فضل الملائكة :

أنهم عباد مكرمون :

قال تعالى : " لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون "(١) .

وقال تعالى : " لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون "(٢) .

وقال تعالى : " لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون "(٣) .

وقال تعالى : " قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك "(٤) .

---

(١) سورة الانبياء الاية : ٢٧ .

(٢) سورة التحريم الاية : ٦ .

(٣) سورة النساء الاية : ١٧٢ .

(٤) سورة الانعام من الاية : ٥٠ .

حجة من يرى تفضيل الانبياء والرسل :

١) قوله تعالى : " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية "(١). بالهمزة من برا الله الخلق .

٢) وقوله - صلى الله عليه وسلم - (وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع)(٢).

وقد جاء ان الله يباهى بأهل عرفات الملائكة(٣).

قال القرطبى(٤) : ولا يباهى الا بالافضل .

قال القرطبى : ولا طريق الى القطع بأن الانبياء أفضل من الملائكة ، ولا القطع بأن الملائكة خير منهم ، لان طريق ذلك خبر الله تعالى ،وخبر رسوله ، واجماع الامة ، وليس ههنا شىء من ذلك .

وفى تفسير الخازن(٥) : احتج بآية " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم .. " الخ . على تفضيل الانبياء على الملائكة حيث قال : وفى هذه الاية دليل لمذهب أهل السنة فى تفضيل الانبياء على الملائكة، كما ذكر ذلك فى فتح البيان(٦).

---

(١) سورة البينة الاية : ٧ .
(٢) أحمد فى المسند ٤/٢٣٩ .
(٣) الجامع الازهر فى حديث النبى الانور ١/١٠٤ مخطوطة .
(٤) القرطبى ١/٢٨٩ .
(٥) تفسير الخازن ١/ ٤٨ .
(٦) فتح البيان ١/١٠٩ .

وقد ذكر الزمخشري في تفسيره (١) عند تفسير سورة التكوير ، أن جبريل أفضل الملائكة ، وأنه كذلك أفضل من نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قال أحمد في تعليقه على الزمخشري : لقد اتبع الزمخشري هواه في تمهيد أصول مذهبه الفاسد ، فأخطأ على الاصل والفرع جميعا .

قال : اختلف أهل التفسير ، فالجم الكثير على أن المراد بالرسول الكريم هنا ـ يعني في التكوير ـ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وان كان المراد جبريل ـ عليه السلام ـ ، فقد اختلف الناس في المفاضلة بين الملائكة والرسل .

والمشهور عن أبي الحسن تفضيل الرسل ، ومذهب المعتزلة تفضيل الملائكة ، وقد أجمع الفريقان أنه لا يسوغ تفضيل أحد القبيلين الجليلين ، بما يتضمن تنقيص معين ، من الملائكة ، ومعين من الرسل .

قال : لان التفضيل وان كان ثابتا ، الا أن في التعيين ايذاء للمفضول وعليه حمل الحذاق قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (لا تفضلوني على يونس ابن متى) (٢) . أي لا تعينوا مفضولا على التخصيص ، لان التفضيل على التعميم ثابت ، باجماع المسلمين ، أي تفضيل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على النبيين أجمعين (٣) .

---

(١) تفسير الزمخشري ٤/٢٢٥ .
(٢) فتشت عنه فلم أره .
(٣) تعليق احمد على الزمخشري ، الكشاف ٤/٢٢٥ .

أقول : وقد ذكر صاحب الاضاءة فى منظومته الاجماع على أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفضل الخلق ، طرا قال :

وانعقد الاجماع أن المصطفى ∴ أفضل خلق الله والخلف انتفى

وما نحا الكشاف فى التكوير ∴ خلاف اجماع ذوى التنوير

قال فى كتاب العقائد الاسلامية للسيد سابق (١) : الظاهر أن البشر أفضل من الملائكة ، كما هو واضح فى عجزهم عن الاجابة على الاسماء التى عرضها الله عليهم ، بينما أجاب آدم اجابة صحيحة ، فشرف بالعلم الذى خصه الله به ، وامتاز عليهم فى معرفة الاشياء .

كما أن طاعة الملائكة جبلية ، وتركهم للمعصية لا يكلفهم أدنى مجاهدة لانه لا شهوة لهم ، فأى فضل لهم فى الطاعة ، وترك العصيان ، مع أن ذلك يقع منهم وقوعا اضطراريا كما ينبض القلب ، ويجرى الدم ، وتتنفس الرئتان ، بينما الانسان يجاهد النفس .

قال فى أضواء البيان (٢) : قال ابن عباس : ان الله فضل محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الانبياء ، وعلى أهل السماء ، فقالوا : بم يا ابن عباس فضله على أهل السماء ؟ فقال : ان الله تعالى قال : " ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين " (٣) .

---

(١) العقائد الاسلامية ١/١٠٩ وما بعدها .

(٢) أضواء البيان ١/١٩٧ .

(٣) سورة الانبياء الاية : ٢٩ .

وقال لمحمد -صلى الله عليه وسلم- : "انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" (١).

قالوا : فما فضله على الانبياء ؟ قال الله تعالى : "وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم" (٢).

وقال الله عز وجل لمحمد -صلى الله عليه وسلم- : "وما أرسلناك الا كافة للناس" (٣).

ذكره أبو محمد الدارمي في مسنده ، ولم أقف عليه .

الراجح عندي والذي أراه في المسألة :

هذا وان الذي أراه في هذه المسألة أن الملائكة عباد مكرمون معصومون من الذنوب ، وهم من أفضل الخلق ، ولا ينبغي الخوض في الافضلية بينهم وبين الرسل ، الا في حال التعليم ، فكل من الفريقين كريم على الله ، ويبدو لي أن نبينا - صلى الله عليه وسلم - هو أفضل الخليقة ، كما دل عليه حديث المستدرك التالي .

---

(١) سورة الفتح الاية : ٢ .

(٢) سورة ابراهيم الاية : ٤ .

(٣) سورة سبأ الاية : ٢٨ .

(أكرم الخليقة على الله أبو القاسم ـ صلى الله عليه وسلم ـ)

عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام قال : وكنا جلوسا فى المسجد يوم الجمعة فقال : ان أعظم أيام الدنيا يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه تقوم الساعة ، وان أكرم خليقة الله على الله أبو القاسم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قال : قلت يرحمك الله فأين الملائكة ، قال : فنظر الى وضحك وقال : يا ابن أخى هل تدرى ما الملائكة ؟ انما الملائكة خلق كخلق السماء والارض ، والرياح والسحاب ، وسائر الخلق ، الذى لا يعصى الله شيئا ، وان الجنة فى السماء ، وان النار فى الارض ، فاذا كان يوم القيامة بعث الله الخليقة أمة أمة ، ونبيا نبيا ، حتى يكون أحمد وأمته آخر الامم ، مركزا ، قال : فيقوم ، فيتبعه أمته برها وفاجرها ، ثم يوضع جسر جهنم ، فيأخذون الجسر فيطمس الله أبصار أعدائه ، فيتهافتون فيها ، من شمال ، ويمين ، وينجو النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصالحون معه ، فتتلقاهم الملائكة فتريهم منازلهم فى الجنة على يمينك ، على يسارك حتى ينتهى الى ربه فيلقى له كرسى من الجانب الاخر ، قال : ثم يتبعهم الانبياء والامم حتى يكون آخرهم نوح ـ رحم الله نوحا ـ .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه ، وليس بموقوف فان عبد الله بن سلام على تقدمه فى معرفة قديمة من جملة الصحابة ، وقد أسنده بذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غير موضع [١] . والله أعلم .

---

(١) الحاكم فى المستدرك ٤/٥٦٨ ـ ٥٦٩ .

" الشفاعة "

بمناسبة ذكر الشفاعة في الايات " وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا " سأتكلم على الشفاعة كلاما موجزا فأقول وبالله أستعين :

الشفاعة في اللغة :

الشفع في اللغة : خلاف الوتر ، وهو الزوج ، وقد شفعه كمنعه[(١)] ، وهي مشتقة من الشفع وهو ضم الشيء الى مثله ، كأن المشفوع له كان فردا ، فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه ، والشفاعة الى آخر معاونا له ، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة الى من هو أدنى[(٢)] .

(أسعد الناس بشفاعته يوم القيامة)

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال : حدثني سليمان عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه قال : قيل يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا اله الا الله خالصا من قلبه أو نفسه[(٣)] .

---

(١) القاموس ٤٧/٣ .

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٢٧/٢ .

(٣) صحيح البخاري مع عمدة القاري ١٢٧/٢ .

تحليل بعض ألفاظ هذا الحديث :

قوله : (أسعد) أفعل ، والسعد هو اليمن ، تقول منه سعد يومنا يسعد سعودا ، والسعودة خلاف النحوسة ، والسعادة خلاف الشقاوة ، تقول منه سعد الرجل -بالكسر- فهو سعيد ، مثال : سلم فهو سليم ، وسعد على ما لم يسم فاعله فهو مسعود ، فان قيل : أفعل التفضيل ، يدل على الشركة ، والمشرك والمنافق لا سعادة لهما ، يجاب عن ذلك بأن أسعد هنا بمعنى سعيد ، يعنى سعيد الناس ، كقولهم الناقص والاشج أعدلا بنى مروان ، يعنى عادلا بنى مروان .

قال ابن بطال : فى الحديث دليل على أن الشفاعة انما تكون فى أهل الاخلاص خاصة ، وهم أهل التوحيد .

قال فى عمدة القارى [1] : هذا الحديث مع غيره من الايات والاحاديث الواردة فى الباب الجارية مجرى القطع دليل على ثبوت الشفاعة .

قال عياض : مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ، ووجوبها بصريح الايات والاخبار التى بلغ مجموعها التواتر لصحتها فى الاخرة لمذنب المؤمنين ، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة على ذلك ، وامتنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها ، وتأولت الاحاديث على زيادات

---

(١) عمدة القارى ١٢٨/٢ .

الدرجات والثواب ، محتجين بقوله تعالى : " فما تنفعهم شفاعة الشافعين " (١) .

وقوله تعالى : " وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع " (٢) .

ولا حجة لهما فى هاتين الايتين ، لانهما نزلتا فى الكفار .

وأعلم أيها القارئ الكريم : أن الشفاعة أنواع : أكثر العلماء على أن الشفاعة ستة أنواع ، منها الشفاعة الكبرى ، وهذه خاصة بنبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، لا يشاركه فيها أحد ، وهى شفاعة يوم القيامة لفصل القضاء بين الناس فى الموقف العظيم ، وسأسوق بعض كلام العلماء الدال على أنواع الشفاعة ، كما أختم بحثها بالاحاديث الدالة عليها ، وعلى أنواعها ، وعلى أن غير الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشفع ، من النبيين ، والصالحين .

قال فى تيسير العزيز الحميد (٣) : واعلم أن شفاعة نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم القيامة تأتى على ستة أنواع ، وقد ذكر ذلك العلامة ابن القيم .

١) النوع الاول : الشفاعة العظمى ، وهى الكبرى : وهذه هى التى يتأخر عنها أولوا العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام ، حتى يؤول الامر اليه ، فيقول : أنا لها .

---

(١) سورة المدثر الاية : ٤٨ .

(٢) سورة غافر الاية : ١٨ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ١/ ٢٩٤ .

قال صاحب الاضاءة (١) :

والانبيا تقول نفسى نفسى ∴ سواه فالفضل له كالشمس

فينقذ الجميع من غموم ∴ قد اعترتهم ومن هموم

أى ينقذ الله على يديه وبسبب شفاعته جميع أهل المحشر من ذلك الموقف العظيم ، لفصل القضاء بين الناس .

قال صاحب تيسير العزيز الحميد : وذلك حين يرغب الخلائق الى الانبياء ، ليشفعوا لهم الى ربهم حتى يريحهم من هذا الموقف الذى عظم عليهم ، وهذه الشفاعة خاصة به صلى الله عليه وسلم ، دون سائر الانبياء والرسل ، والخلائق ، لا مشارك له فيها ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

٢) النوع الثانى : من الشفاعة : شفاعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لاهل الجنة فى دخولها ، وقد ذكرها أبو هريرة فى حديثه الطويل ، وسيأتى ذكره ـ ان شاء الله ـ فى نهاية البحث ، وهو متفق عليه .

٣) النوع الثالث : شفاعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار ، فيشفع لهم أن لا يدخلوها .

٤) النوع الرابع : شفاعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى العصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم من أهل الكبائر ، والاحاديث بها

---

(١) أحمد المقرى المغربى .

متواتـرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقد أجمع عليها الصحابة ، وأهل السنة قاطبة ، وبدعوا من أنكرها ، وصاحوا به من كل جانب ، ونسبوه للضلال ، وخالف الخوارج والمعتزلة ، جهلا بصحة الاحاديث ، وعنادا ممن علم منهم ، وهذا النوع تشارك فيه الملائكة ، والنبيون ، والصالحون (١).

٥) النوع الخامس : شفاعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقوم من أهل الجنة فى زيادة ثوابهم ، ورفع درجاتهم ، وهذا لا ينازع فيه أحد ، الا من أعمى الله بصيرته .

٦) النوع السادس : شفاعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض الكفار من أهل النار ، لتخفيف العذاب كشفاعته فى أبى طالب ليخفف عنه العذاب (٢).

هذا وحقيقة أمر الشفاعة أن الله سبحانه وتعالى ، هو الذى يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه ، وينال المقام المحمود ، فهذا هو حقيقة الشفاعة ، لا كما يظن المشركون ، والجهال ، من أن الشفاعة هى كون الشفيع يشفع ابتداء ، فيمن شاء ، فيدخله الجنة ، وينجيه من النار ، ولهذا يسألونها من الاموات وغيرهم اذا زاروهم (٣).

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٢٩٤/١ ، عمدة القارى ١٢٧/٢ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢٥٥/١ ، بتحقيق ناصر الدين الالبانى .

(٣) تيسير العزيز الحميد ٢٩٤/١ .

وهذه الاحاديث التالية تدل على ثبوت الشفاعة ، وأنها حقيقة لا مراء فيها ، من ذلك :

١) حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ وهو فى الصحيحين ، قال: أوتى لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلحم فرفع اليه الذراع، وكانت تعجبه ، فنهش منها نهشه ، ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك ، يجمع الناس ، الاولين والاخرين فى صعيد واحد ، يسمعهم الداعى ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يتحملون ، فيقول الناس : ألا ترون ما قد بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم ، فيقول بعض الناس : عليكم بآدم .

فيأتون آدم ـ عليه السلام ـ فيقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك ، ألا ترى الى ما نحن فيه ، الا ترى الى ما قد بلغنا ، فيقول آدم : ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وانه نهانى عن الشجرة فعصيته ، نفسى ، نفسى ، نفسى ، اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى نوح .

فيأتون نوحا ، فيقولون : يا نوح انك أنت أول الرسل الى أهل الارض ، وقد سماك الله عبدا شكورا ، اشفع لنا الى ربك

ألا ترى الى ما نحن فيه ، فيقول : ان ربى عز وجل قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وانه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى ، نفسى ، نفسى ، نفسى ، اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى ابراهيم .

فيأتون ابراهيم ، فيقولون : يا ابراهيم : أنت نبى الله وخليله من أهل الارض ، اشفع لنا الى ربك ، الا ترى الى ما نحن فيه ، فيقول لهم : ان ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وانى قد كنت كذبت ثلاث كذبات ، نفسى ، نفسى ، نفسى ، اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى موسى .

فيأتون موسى ، فيقولون : يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته ، وبكلامه على الناس ، اشفع لنا الى ربك ، ألا ترى الى ما نحن فيه ، فيقول : ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وانى قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها ، نفسى ، نفسى ، نفسى ، اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى عيسى .

فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله ـ

ـ وكلمته ألقاها الى مريم ، وروح منه ، وكلمت الناس فى المهد صبيا ، اشفع لنا ، ألا ترى الى ما نحن فيه ، فيقول عيسى : ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنبا ، نفسى ، نفسى ، نفسى ، اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فيأتـون محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقولون : يا محمد ! أنـت رسـول الله ، وخاتـم الانبيـاء ، وقـد غـفر الله لك ما تقدم من ذنبـك وما تأخـر ، اشـفع لنا الى ربك ، ألا تـرى الى ما نحـن فيه ، فأنطلـق فآتـى تحـت العـرش ، فأقـع ساجدا لربـى عـز وجـل ، ثم يفتـح علـى من محامـده ، وحسـن الثناء عليه شـيئا لم يفتحـه على أحـد قبلى ، ثـم يقال : يا محمـد ارفـع رأسـك ، سـل تعطـى ، واشـفع تشفع ، فأرفـع رأسـى ، فأقـول أمتى يا رب ، أمتى يا رب ، فيقـال : يا محمد ، ادخـل من أمتـك من لا حسـاب عليهم من الباب الايمـن من أبواب الجنـة ، وهـم شركاء الناس فيما سـوى ذلك من الابواب ، ثم قال : والذى نفس بيـده ، ان ما بين المصراعـين من مصاريـع الجنـة كما بين مـكة وحميـر ، أو كمـا بين مـكة ، وبـصرى ، أخرجـه البخـارى (١).

٢) حديـث أنـس فى الصحيحـين : قال حدثنا محمد

قال : اذا كان يوم القيامـة ماج الناس بعضهم فى بعـض ،

فيأتـون آدم فيقـولون : اشـفع لنا الى ربك ، فيقول : لست لهـا ، ولـكن عليكم بابراهيـم ، فانه خليـل الرحمـن ،

فيأتـون ابراهيم فيقول : لسـت لها ، ولـكن عليكم بموسـى فانه كليم الله ،

فيأتـون موسـى فيقول : لسـت لها ، ولـكن عليكـم بعيسـى فانـه روح الله وكلمتـه .

---

(١) كتاب التفسير سورة الاسراء /صحيح البخارى شرح فتح البارى ١٠/١٠ـ١١٠

فيأتون عيسى فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فيأتونى ، فأقول : أنا لها ، فأستأذن على ربى ، فيؤذن لى ويلهمنى محامد أحمده بها لا تحضرنى الان ، فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا ، فيقال : يا محمد : ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب أمتى ، أمتى ، فيقال : انطلق فأخرج من كان فى قلبه مثقال شعيرة من ايمان ، فأنطلق فأفعل ، ثم أعود ، فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدا ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب أمتى ، أمتى ، فيقال : انطلق ، فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة أو خردلة من ايمان ، فأنطلق ، فأفعل ثم أعود ، فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدا ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول يا رب أمتى ، أمتى ، فيقال : انطلق فأخرج من كان فى قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من ايمان ، فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل ، ثم أعود الرابعة ، فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدا ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ائذن لى فيمن قال : لا اله الا الله ، فيقول : وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لاخرجن منها من قال : لا اله الا الله[1] .

---

(١) اخرجه البخارى فى ص ٩٧ كتاب التوحيد ، ٣٦ باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الانبياء وغيرهم ص ٤٩ .

٣) عن أبى هريرة : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر ، فيفزع الناس ثلاث فزعات ، فيأتون آدم ، فيقولون : أنت أبونا آدم ، فاشفع لنا الى ربك ، فيقول : انى أذنبت ذنبا أهبطت منه الى الارض ، ولكن ائتوا نوحا .

فيأتون نوحا ، فيقول : انى دعوت على أهل الارض دعوة فأهلكوا ، ولكن اذهبوا الى ابراهيم .

فيأتون ابراهيم ، فيقول : انى كذبت ثلاث كذبات ، ولكن ائتوا موسى .

فيأتون موسى ، فيقول : انى قد قتلت نفسا ، ولكن ائتوا عيسى .

فيأتون عيسى ، فيقول : انى عبدت من دون الله ، ولكن ائتوا محمدا .

فيأتونى ، فانطلق معهم ، فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها (١) ، فيقال : من هذا ، فأقول : محمد ، فيفتحون لى ويرحبون ، فيقولون : مرحبا ، فأخر ساجدا فيلهمنى الله تعالى من الثناء والحمد فيقال : ارفع رأسك ، سل تعط ، واشفع تشفع ، وقل يسمع

---

(١) حركتها . يقال : قعقع الشىء اذا حركه .

لقولك ، وهو المقام المحمود ، الذى قال الله تعالى فيه : " عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا " (١) .

٤) حديث أبى هريرة فى الصحيح . قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : لكل نبى دعوة ، فأريد ان شاء الله أن أختبئ دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة (٢) .

٥) حديث أنس عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال : كل نبى سأل سؤالا ، أو قال : لكل نبى دعوة قد دعا بها فاستجيبت ، فجعلت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة (٣) .

وذكر البخارى فى كتاب الايمان : قال : قال أبو سعيد : فان لم تصدقونى فاقرؤا : " ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها " (٤) . فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون ، فيقول الجبار : بقيت شفاعتى ، فيقبض قبضة من النار فيخرج

---

(١) مسند الامام أحمد ٧٨/٦ - ٧٩ وبهامشه منتخب كنز العمال .
(٢) أخرجه البخارى كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى " .
(٣) أخرجه البخارى / كتاب الدعوات / " لكل نبى دعوة مستجابة " .
(٤) سورة النساء الاية : ٤٠ .

أقواما قد امتحشوا (١) فيلقون فى نهر بأفواه الجنة ، يقال له : ماء الحياة ، فينبتون فى حافتيه كما تنبت الجنيه فى حميل السيل ، قد رأيتموها الى جانب الصخرة الى جانب الشجرة ، فما كان الى الشمس منها كان أخضر ، وما كان منها الى الظل كان أبيض ، فيخرجون كأنهم اللوءلوء فيجعل فى رقابهم الخواتيم ، فيدخلون الجنة ، فيقول أهل الجنة : هوءلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه ، فيقال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه .

وفى أبى داود عن أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى (٢) .

وبهذا القدر من الاحاديث وأقوال العلماء فى الشفاعة أكتفى ، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون ما كتبته فيه كفاية لمن يريد الحق ، اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، وارزقنا واخواننا المسلمين شفاعة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - .

* * *

---

(١) امتحشوا : احترقوا ، أفواه الجنة جمع فوهة ، سمع من العرب على غير قياس ، وأفواه الازقة والانهار أوائلها ، والمراد هنا مفتتح مسالك قصور الجنة فى حافتيه ، جانبى النهر ، الحبة ، اسم جامع لحبوب البقول ، حميل السيل : ما يحمله من نحو طين ، فاذا اتفقت فيه الحبة واستقرت على شط مجرى السيل نبتت فى يوم وليلة ، فشبه به لسرعة نباته ، اللوءلوء والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان . محمد فوءاد عبد الباقى ١/٤٦-٤٧ .

(٢) أبو داود ٥/١٠٦ .

قال تعالى : " ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى " .

==================================

" التفسير التفصيلي للايات "

مناسبة الايات لما قبلها :

مناسبة الايات لما قبلها ، هي أنهم لما قيل لهم : ان الاصنام جمادات لا تشفع وبين لهم أن أعظم أجناس الخلق لا شفاعة لهم الا بالاذن ، قالوا : نحن لا نعبد الاصنام لانها جمادات ، وانما نعبد الملائكة بعبادتها ، فانها على صورتها ، وننصبها بين أيدينا ليذكرنا الشاهد الغائب ، فنعظم الملك الذى ثبت أنه مقرب عظيم الشأن ، رفيع المكان ، فقال تعالى ردا عليهم : "كيف تعظمونهم ، وأنتم تسمونهم تسمية الاناث "(١) .

---

(١) تفسير سورة النجم ، الدكتور عمر ص ٤٠ .

"الذين لا يؤمنون بالاخرة" : الكفار الذين قالوا الملائكة بنات الله والاصنام بنات الله ، وهم كفار العرب منكرو البعث ، أى ان هؤلاء الذين لا يؤمنون بالبعث ، وما بعده ، من الدار الاخرة ، يضمون الى كفرهم ، مقالة شنعاء ، وجهالة جهلاء ، وهى أنهم يسمون الملائكة المنزهون عن كل نقص تسمية الانثى ، أى كتسمية الانثى ، وذلك حين زعموا أنها بنات الله تعالى عن ذلك .

قال تعالى : "وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون "(١) .

ولهذا قال تعالى : "وما لهم به من علم " أى ليس لهم علم صحيح يصدق ما قالوه ، بل هو كذب وزورا وافتراء ، وكفر شنيع ، اذ لم يشاهدوا خلقه الملائكه ، ولم يسمعوا ما قالوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يروه فى كتاب وجملة " وما لهم به من علم " هذه الجملة فى محل نصب على الحال : أى يسمونهم هذه التسمية ، والحال أنهم غير عالمين بما يقولون ، فانهم لم يعرفوهم ، ولا شاهدوهم ، ولا بلغ اليهم ذلك من طريق من الطرق التى يخبر المخبرون عنها ، بل قالوا ذلك جهلا وضلالة وجرأة ، وقد قرئ ما لهم (بها) أى الملائكة أو التسمية (٢) .

---

(١) سورة الزخرف الاية : ١٩ .

(٢) فتح القدير ١١٢/٥ ، تفسير ابن كثير ٢٥٥/٤ ، القرطبى ١٠٤/١٧ .

قوله تعالى : " ان يتبعون الا الظن " أى ما يتبعون فى هذه المقالة الا مجرد الظن والتوهم ، ثم أخبر سبحانه عن الظن وحكمه فقال : " وان الظن لا يغنى من الحق شيئا " ، أى ان جنس الظن لا يغنى من الحق شيئا من الاغناء ، أى لا يجدى شيئا ، ولا يقوم أبدا مقام الحق ، وقد

وقد ثبت فى الصحيح [١] (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : اياكم والظن ، فان الظن أكذب الحديث) .

والحق فى هذه الاية المراد به العلم ، وفيه دليل على أن مجرد الظن ، لا يقوم مقام العلم ، وان الظان غير عالم ، وهذا فى الامور التى يحتاج فيها الى العلم ، وهى المسائل العلمية .

قال فى فتح القدير [٢] : ولابد من هذا التخصيص ، فان دلالة العموم ، والقياس ، وخبر الواحد ، ونحو ذلك ظنية ، فالعمل بها عمل بالظن ، وقد وجب علينا العمل به فى مثل هذه الامور ، فكانت أدلة وجوب العمل به فيها مخصصة لهذا العموم ، وما ورد فى معناه من الذم لمن عمل بالظن ، والنهى عن اتباعه ، وسأتعرض لبحث الظن بحثا أوسع من هذا فى نهاية تفسير هذه الايات - ان شاء الله - .

---

(١) أخرجه البخارى مع شرحه القسطلانى ٤٨/٩ .
(٢) الشوكانى ١١٢/٥ .

قوله تعالى : " فأعرض عن من تولى عن ذكرنا " : أى أعرض عن الذى أعرض عن الحق ، واهجره ، والمعنى اترك مجادلتهم فقد بلغت اليهم ما أمرت به ، وليس عليك الا البلاغ ، والمراد بالذكر هنا القرآن ، أو ذكر الاخرة ، أو ذكر الله على العموم ، وقيل المراد بالذكر هنا الايمان ، وسبب الامر بالاعراض هو التولى عن الذكر ، لان من لا يصغى الى قول كيف يفهم معناه ، فأمر ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالاعراض عن من هذه حاله ، ثم ذكر سبب التولى عن الذكر ، وهو حصر ارادته فى الحياة الدنيا " ولم يرد الا الحياة الدنيا " فالتولى عن الذكر سبب للاعراض عنهم ، وايثار الدنيا سبب التولى عن الذكر ، وانما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا ، فذاك هو غاية ما لا خير فيه .

قوله تعالى : " ذلك مبلغهم من العلم " : أى ان ذلك التولى وقصر الارادة على الحياة الدنيا هو مبلغهم من العلم ليس لهم غيره ، ولا يلتفتون الى سواه ، من أمر الدين ، وانما غاية ما وصلوا اليه ، طلب الدنيا والسعى لها .

وقد روى الامام أحمد (١) عن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له) .

---

(١) أخرجه أحمد ٦/٧١ .

وفى الدعاء المأثور : (اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا) (١) .

وقال الفراء : صغرهم ، وازدرى بهم ، أى ذلك قدر عقولهم ، ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الاخرة ، فالتعلق بالدنيا وبتحصيلها هو غايتهم ومنتهاهم من العلم ، فهو ما تعلقت به علومهم ، من مكاسب الدنيا كالفلاحة ، والصناعة ، لقوله تعالى : " يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون " (٢) . انما يبصرون أمر دنياهم ، ويجهلون أمر دينهم ، وقيل الاشارة بقوله " ذلك " الى جعلهم الملائكة بنات الله ، وتسميتهم له تسمية الانثى ، والاول أولى ، والمراد بالعلم هنا مطلق الادراك الذى يندرج تحته الظن الفاسد ، والجملة فى قوله : " ذلك مبلغهم من العلم " مستأنفة لتقرير جهلهم ، واتباعهم مجرد الظن . وقيل : معترضة بين المعلل والعلة ، وهى قوله : " هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بمن اهتدى " فان هذا تعليل للامر بالاعراض .

والمعنى : أنه سبحانه أعلم بمن حاد عن الحق وأعرض عنه ، ولم يهتد اليه ، وأعلم بمن اهتدى ، فقبل الحق ، وأقبل اليه ، وعمل به كيف لا ؟ وهو الخالق لجميع المخلوقات ، العالم بمصالح عباده الذى

---

(١) أخرجه الترمذى ٩/ ٤٧٥ كتاب الدعوات باب رقم : ٨٣ .

(٢) سورة الروم الاية : ٧ .

يهدى من يشاء ، ويضل من يشاء ، كل ذلك عن قدرته ، وعلمه ، وحكمته ، فهو العادل ، الذى لا يجور أبدا ، لا فى شرعه ، ولا فى قدرته ، بل انما يجازى كل عامل بعمله ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، وفى الاية تسلية لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله " وارشاد له بأنه لا يتعب نفسه فى دعوة من أصر على الضلالة ، وسبقت له الشقاوة ، فان الله قد علم حال هذا الفريق الضال ، كما علم حال الفريق الراشد ، اذ كان من خلقه ـ عليه السلام ـ الحرص على ايمانهم ، وفى هذا وعيد للكفار ، ووعد للمؤمنين (١) .

* * *

---

(١) القرطبى ، الجامع لاحكام القرآن ١٧/١٠٤ ، البحر المحيط ٨/١٦٣ وما بعدها وبهامشه النهر الماد من البحر لابى حيان ، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط ، فتح القدير ٥/١١٢ ، ابن كثير ٤/٢٥٥ تلخيصا .

" المعنى الاجمالى لهذه الايات "

يناقش سبحانه وتعالى فى هذه الايات أوهام المشركين الذين لا يؤمنون بالاخرة ـ عن الملائكة ـ ويكشف عن أساسها الواهى الذى لا ينبغى أن تقوم عليه عقيدة أصلا ، وفى تعليل التسمية بعدم الايمان ، بالاخرة اشعار ، بأنها فى الشفاعة والقطاعة ، واستتباع العقوبة فى الاخرة بحيث لا يجترىء عليها الا من لا يؤمن بها رأسا ، فهم لا يؤمنون بالاخرة ، وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصى ، ولا يؤمنون بالرسل ، ولا يتبعون الشرع ، وانما يتبعون ما يدعون أنه عقل ، فان قيل : كيف صح القول بأنهم لا يؤمنون بالاخرة ، مع أنهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . فيقال : انهم لما كانوا لا يجزمون به ، ويشكون فى وقوعه ، كان حالهم ، حال المنكر ، فكأنهم يقولون لا حشر ، ولا آخرة ، فان كان هناك حشر على الفرض ، فهؤلاء شفعاؤنا ، ويدل على هذا قوله تعالى : " وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى " (١) .

أو أنهم ما كانوا يعترفون بالاخرة على الوجه الصحيح الذى جاءت به الرسل ، والتعقيب الاخير يوحى بعلاقة اللات والعزى ومناة بأسطورة

---

(١) سورة فصلت الاية : ٥٠ .

أنوثة الملائكة ، ونسبتهم الى الله سبحانه ، وهى أسطورة واهية لا يتبعون فيها الا الظن ، فليس لهم من وسيلة ، لان يعلموا شيئا مستيقنا عن طبيعة الملائكة ، فأما نسبتهم الى الله فهى الباطل الذى لا دليل عليه ، الا الوهم الباطل ، وكل هذا لا يغنى عن الحق ، ولا يقوم مقامه فى شئ ، الحق الذى يتركونه ويستغنون عنه بالاوهام والظنون ، فالحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشئ ، انما يدرك ادراكا معتدا به ، حينما يكون عن يقين ، لا عن ظن وتوهم ، حين يبلغ السياق الى هذا الحد من بيان وهن عقيدة الشرك ، وتهافتها عند الذين لا يؤمنون بالاخرة ، ويشركون بالله ، وينسبون له البنات ، ويسمون الملائكة تسمية الانثى يتجه بالخطاب الى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليهمل شأنهم ، ويعرض عنهم ، ويدع أمرهم لله الذى يعلم المسئ والمحسن ، ويجزى المهدى والضال ، ويملك أمر السموات والارض ، وأمر الدنيا والاخرة ، وهذا الامر بالاعراض عن من تولى عن ذكر الله ، ولم يؤمن بالاخرة ، ولم يرد الا الحياة الدنيا موجه ابتداء الى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليهمل شأن أولئك المشركين الذين سبق الحديث عنهم فى أول السورة وعن أساطيرهم وأوهامهم ، وعدم ايمانهم بالاخرة ، وهو موجه بعد ذلك الى كل مسلم ، يواجه من يتولى عن ذكر الله ، ويعرض عن الايمان به ، ويجعل وجهته الحياة الدنيا وحدها ، لا ينظر الى شئ وراءها ، ولا يؤمن بالاخرة ، ولا يحسب حسابها ، ويرى أن حياة الانسان على هذه الارض هى غاية وجوده ، لا غاية

بعدها ، ويقيم منهجه فى الحياة على هذا الاعتبار ، فيفصل ضمير الانسان عن الشعور بالله يدبر أمره ، ويحاسبه على عمله بعد رحلة الارض المحدودة ، على أن للاعراض اتجاها آخر هو التهوين (١) من شأن هذه الفئة ، فئة الذين لا يؤمنون بالله ، لا يتبعون شيئا وراء الحياة الدنيا ، فمهما كان شأنهم فهم محجوبون عن الحقيقة ، قاصرون عن ادراكها ، واقفون وراء الاسوار ، أسوار الحياة الدنيا .

ثم أخبر سبحانه أن ذلك هو مبلغهم من العلم ، وهو مبلغ تافه مهما بدا عظيما ، قاصرا مهما بدا شاملا ، مضلل مهما بدا هاديا ، وما يمكن أن يحمل شيئا ذا قيمة من يقف بقلبه ، وحسه ، وعقله ، عند حدود هذه الارض ، ووراءها حتى فى رأى العين ، وعالم هذا شائل لم يخلق نفسه ووجوده ، هكذا أمر ترفضه البداهة ، ولم يوجد عبثا ، متى كان له خالق ، وانه لعبث أن تكون الحياة الدنيا هى نهاية هذا الخلق الهائل وغايته ، فادراك حقيقة هذا الكون من أى طرف من أطرافها ، كفيل بالايمان بالخالق ، وكفيل كذلك بالايمان بالاخرة ، نفيا للعبث عن هذا الخالق العظيم الذى أبدع هذا الكون الكبير .

كما أخبر سبحانه أنه أعلم بمن ضل عن طريقه ، وأنه كذلك أعلم بمن نهج الطريق الحق ، وقد علم أن هؤلاء ضالون ، فلم يرد لنبيه ولا للمهتدين من أمته أن يشغلوا أنفسهم بشأن الضالين ، ولا أن يصاحبوهم ، ولا أن يخدعوا فى ظاهر علمهم المضلل القاصر .

---

(١) فى ظلال القرآن ٢٧/٣٤١٧ تلخيصا .

"بحث الظن"

هذا وبمناسبة ذكر الظن في هذه الايات ، أحببت أن أبحثه بحثا موجزا ، فأقول وبالله تعالى أستعين :

الظن في اللغة :

هو التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم ، جمع ظنون وأظانين ، وقد يوضع موضع العلم (١) .

واعلم أن القرآن الكريم ورد فيه ذم العمل بالظن ، كما ورد في الحديث ، والظن أنواع ، منه ما هو مأمور به ، ومنه ما هو محرم ، ومع ورود ذم العمل به ، فان غالب الامور الشرعية العملية ، مدارها على غلبة الظن .

قال تعالى في ذم الظن : "ما لهم به من علم الا اتباع الظن" (٢) فهو ذم لهم على اتباع الظن بلا علم .

وكذلك قوله تعالى : " وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا " (٣) .

---

(١) ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، توزيع دار الباز ٣/١٣٠ .

(٢) سورة النساء الاية : ١٥٧ .

(٣) سورة النجم الاية : ٢٨ .

وقوله تعالى : " ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن "(١) .

وقال تعالى : " وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون "(٢) .

وقوله تعالى : " أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون "(٣) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية(٤) : فهذه عدة مواضع يذم الله فيها الذين لا يتبعون الا الظن .

وكذلك قوله تعالى : " قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة "(٥) .

قال : فان هذه الاية مطالبة بالعلم ، وفيها الذم لمن يتبع الظن وليس عنده علم .

وكذا قوله تعالى : " نبئونى بعلم ان كنتم صادقين "(٦) .

---

(١) سورة النجم الاية : ٢٣ .

(٢) سورة يونس الاية : ٦٦ .

(٣) سورة يونس الايتان : ٣٥ـ٣٦ .

(٤) الفتاوى ١٣/١١٠ ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٢ هـ .

(٥) سورة الانعام الايتان : ١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٦) سورة الانعام الاية : ١٤٣ .

وقوله تعالى : " وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم " (١) .

قال شيخ الاسلام : وأمثال هذه الايات ذم لمن عمل بغير علم ، وعمل بالظن .

وقال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا " (٢) . فهذه الاية كذلك تدل على أن الظن يكون بعضه اثما .

قال ابن عباس (٣) : نهى الله تعالى المؤمن أن يظن بالمؤمن شرا .

وقال سعيد بن جبير : هو الرجل يسمع من أخيه كلاما لا يريد به سوءا ، أو يدخل مدخلا لا يريد به سوءا ، فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءا .

وقال الزجاج : هو أن يظن بأهل الخير سوءا ، فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مثل الذى ظهر منهم .

قال القاضى أبو يعلى : هذه الاية تدل على أنه لم ينه عن جميع الظن .

---

(١) سورة الانعام الاية : ١١٩ .

(٢) سورة الحجرات الاية : ١٢ .

(٣) زاد المسير فى علم التفسير ٤٦٩/٧ .

قال فى زاد المسير : والظن على أربعة أضرب :

١) محظور .

٢) مأمور به .

٣) مباح .

٤) مندوب اليه .

أما المحظور : فهو سوء الظن بالله تعالى ، وكذلك سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة .

وفى صحيح مسلم [1] عن جابر : (لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل) .

وأما الظن المأمور به : فهو ما لم ينصب عليه دليل يوصل الى العلم به ، وقد تعبدنا بتنفيذ الحكم فيه ، والاقتصار على غالب الظن ، واجراء الحكم عليه واجب ، وذلك نحو ما تعبدنا به من قبول شهادة العدول ، وتحرى القبلة ، وتقويم المستهلكات ، وأروش الجنايات التى لم يرد بمقاديرها توقيف ، فهذا وما كان من نظائره قد تعبدنا فيه باحكام غالب الظنون .

فأما الظن المباح : فكالشك فى الصلاة ان كان اماما ، فانه مأمور بالتحرى والعمل على ما يغلب فى ظنه ، وان عدل عنه الى البناء على اليقين كان جائزا .

---

(١) صحيح مسلم ٤/٢٢٠٦ .

وأما الظن المندوب اليه : فهو احسان الظن بالاخ المسلم ، فانه يندب اليه ، ويثاب عليه[١] .

قال فى اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان[٢] : وبالجملة فمبنى الحكم فى الدعاوى على غلبة الظن المستفاد من براءة الاصل تارة ، ومن الاقرار تارة ، ومن البينة تارة ، ومن النكول مع يمين الطالب المردودة أو بدونها .

قال ابن القيم : وهذا كله مما يبين الحق ظاهرا ، فهو بينة وتخصيص البينة بالشهود عرف خاص ، والا فالبينة اسم لما يبين الحق ، فمن كان ظن الصدق من جانبه أقوى كان بالحكم أولى .

وقد أجمع الناس على جواز وطء المرأة التى تزف الى الزوج ليلة العرس وان لم يكن رآها ، ولا وصفت له ، من غير اشتراط شاهدى عدل يشهدان أنها هى امرأته التى وقع عليها العقد اكتفاء بالظن الغالب[٣] .

وقد ورد فى الصحيح[٤] من حديث أبى هريرة قال : اياكم والظن ، فان الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله اخوانا .

* * *

---

(١) زاد المسير فى علم التفسير ٧ / ٤٧٠ مع التعليق .

(٢) اغاثة اللهفان ٢/٥٧ .

(٣) اغاثة اللهفان ٢/٥٧ .

(٤) صحيح البخاري مع شرحه ارشاد السارى ، وبهامشه صحيح مسلم بشرح النووى ٩/٤٨ ، وما بعدها ، طبعة جديدة بالاوفست ، دار الفكر للطباعة والنشر .

" تحليل لبعض ألفاظ هذا الحديث "

قوله : (اياكم والظن) أى اجتنبوه فلا تتهموا أحدا بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها .

وقوله : (فان الظن أكذب الحديث) أى فلا تحكموا بما يقع منه ، كما يحكم بنفس العلم ، لان أوائل الظنون خواطر ، لا يملك دفعها ، والمرء انما يكلف بما يقدر عليه ، دون ما لا يملكه .

وقد استشكل تسمية الظن كذبا ، لان الكذب من صفات الاقوال .

وأجيب عنه بأن المراد عدم مطابقة الواقع سواء كان قولا أم فعلا ، والتحسس : الاستماع الى حديث الناس ، والتجسس : البحث عن عورات الناس ، وبواطن الامور ، وقيل التجسس هو الذى يحسر الخبر بتلطف ، ومنه الجاسوس .

قال القسطلانى [1] : وهذا لا ينافى أنه لو تعين التجسس طريقا أو وسيلة الى انقاذ نفس وتخليصها ، أو منع أخرى من الزنا ، ونحو ذلك أنه يشرع ويكون حينئذ معروفا غير منكر ، كما هو واضح لا يخفى .

وعلى كل حال فالمعنى أنه لا يبحث أحدنا عن عيب أخيه ليطلع عليه اذ ستره الله .

---

(١) القسطلانى ٤٨/٩ .

وقد قيل لابن مسعود : هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا ، فقال : انما نهينا عن التجسس ، فان يظهر لنا شيء نأخذ به .

والتحاسد : أعم من أن يسعى فى ازالة النعمة عن الغير ، فان سعى كان باغيا ، وان لم يسع فى ذلك ولا تسبب فيه ، فان كان المانع عجزا ، بحيث لو تمكن فعل ، فهو آثم ، وان كان المانع التقوى فقد يعذر .

وقال بعض العلماء : ان الحسد هو أن يتمنى الانسان زوال النعمة عن الغير .

قال صاحب المطهرة [(١)] :

وارسم بحبك زوال النعمة ∴ عن غيرك الحسد تحسن رسمه

أما اذا كنت مخافة الحسد ∴ عنها تصدك فلست ذا حسد

(ولا تدابروا) : أى لا تهاجروا فيولى كل منكما دبره لصاحبه حين يراه ، لان من أبغض أعرض ، ومن أعرض ولى دبره .

(ولا تباغضوا) : أى لا تتعاطوا أسباب البغض ، فان كان البغض فى الله ، فانه واجب حينئذ .

(كونوا عباد الله اخوانا) : باكتساب ما تصيرون به ، كأخوان النسب فى الشفقة والرحمة ، والمحبة والمساواة ، والنصيحة .

---

(١) مخطوطة فى علم الاخلاق ، مؤلفها محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبى الموريتانى .

ومعنى ذلك أنتم مستوون فى كونكم عبيد الله ، وملتكم ملة واحدة ، فالتباغض ، والتحاسد ، والتدابر ، مناف لحالكم ، فالواجب عليكم أن تكونوا اخوانا متواصلين متآلفين .

أما قوله — صلى الله عليه وسلم —: (ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا) (١) .

قال القسطلانى : فالظن فيهما ليس من الظن المنهى عنه ، لانه فى مقام التحذير من مثل من كان حاله كحال الرجلين ، والنهى انما هو عن ظن السوء بالمسلم ، السالم فى دينه وعرضه .

وقد روى (اذا ظننتم فلا تحققوا) (٢) ، وهذا من الظن الذى يعرض فى قلب الانسان لاخيه فيما يوجب الريبة ، فلا ينبغى له أن يحققه .

وقد روى : (احترسوا من الناس بسوء الظن) .

ولكن الحديث متكلم فيه ، كما سترى — ان شاء الله — ، وعلى فرض صحته ، فالمراد الاحتراس بحفظ المال ، مثل أن يقول : ان تركت بابى مفتوحا خشيت السراق .

---

(١) صحيح البخارى مع شرحه ارشاد السارى ٩/٤٩—٥٠ .

(٢) الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/٧٨ ، وقال رواه الطبرانى وفيه اسماعيل بن قيس الانصارى وهو ضعيف .

وقال بعضهم : ان بعض الظن الذى يكون اثما هو ما تكلم به مما ظنه من السوء بأخيه المسلم ، فان لم يتكلم به فلا بأس .

وذهب بعضهم : الى أنه يأثم بنفس ذلك الظن ، وان لم ينطق به .

أما الحديث : فرواه الطبرانى فى الاوسط ، وابن عدى من حديث بقية ابن الوليد عن معاوية بن يحى عن سليمان بن سليم عن أنس مرفوعا .

قال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (١) : بقية بن الوليد مدلس ، وبقية رجاله ثقات .

وقال الحافظ المناوى فى فيض القدير (٢) : قال الحافظ ابن حجر فى الفتح خرجه الطبرانى فى الاوسط من طريق أنس ، وهو من رواية بقية بالعنعنة عن معاوية بن يحى ، وهو ضعيف فله علتان .

وقال الحافظ السخاوى فى المقاصد الحسنة : رواه أحمد فى الزهد والبيهقى فى السنن وغيرهما ، كلاهما من قول مطرف بن الشخير أحد التابعين (٣) .

أقول : وهذا الحديث مخالف للاحاديث الصحيحة التى يأمر فيها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسلمين بأن لا يسيئوا الظن باخوانهم ، منها

---

(١) مجمع الزوائد ٨٦/٨ .

(٢) فيض القدير ١٨٢/١ ، دار المعارف للطباعة والنشر .

(٣) فيض القدير ١٨٢/١ ، زاد المسير ٤٧٩/٧ ، ارشاد السارى ٩/ ٥٠ـ٥١ .

الحديث الذى فى صحيح البخارى ، وقد تقدم (اياكم والظن .. الحديث) .

ولا يمكن أن تستقيم المعاملة مع الناس على اساءة الظن بهم .

والحاصل من هذا البحث ، أن الشرع ورد بذم الظن فى كثير من النصوص خصوصا اذا كان الامر يتطلب العلم ، فان الظن لا يكفى حينئذ ، كما أن الامر ان كان يتعلق بالاعتقاد ، فلا يكفى فيه الظن ، أما ان كان الامر ليس من هذا القبيل ، فان غلبة الظن فيه كافية ، كالمعاملات ، ونحو ذلك ، كما رأيت من أقوال العلماء .

* * *

قال تعالى : " ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض اذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى " .

==============================

" التفسير التفصيلى للايات "

قوله تعالى : " ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا " . مستأنفة على سبيل التعليل لما قبلها ، اذ كونه مالكا لما فيهما يقتضى أنه عالم بأحواله .

وقيل : انها اعتراضية بين الاية الاولى ، وبين قوله : " ليجزى الذين أساؤا بما عملوا " . وهذا اخبار عن قدرته وسعة ملكه ، فهو سبحانه وتعالى انما سوى الملك والملكوت لغرض الجزاء والاثابة ، كيف لا ؟ ومن فى العالم العلوى ، والعالم السفلى ملكه تعالى يتصرف فيهما بما شاء ، فهو مالك السموات والارض ، وهو الغنى عما سواه ، الحاكم فى خلقه بالعدل ، وقد خلق الخلق بالحق سبحانه وتعالى : " ليجزى الذين أساؤا بما علوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى " . واللام فى ليجزى متعلقة بما دل عليه ، معنى الملك أى يضل ويهدى ليجزى ، وقيل : بقوله بمن ضل ، وبمن اهتدى .

وقال مكى : ان اللام متعلقة بقوله : "لا تغنى شفاعتهم شيئا " وهذا بعيد جدا ، من حيث اللفظ ، ومن حيث المعنى ، واللام للصيرورة .

والمعنى : أن عاقبة أمرهم جميعا للجزاء بما عملوا ، أى بعقاب ما عملوا ، أى وعاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم مسئ ومحسن ، فللمسئ السوأى وهى جهنم ، وللمحسن الحسنى وهى الجنة .

وحين ذكر جزاء المسئ قال : بما عملوا ، وحين ذكر جزاء المحسن أتى بالصفة التى تقتضى التفضيل ، وتدل على الكرم والزيادة للمحسن ، والاحسن تأنيث الحسنى [1].

وقال ابن جرير [2] : ليجزى الذين عصوه من خلقه ، فأساءوا بمعصيتهم اياه ، فيثيبهم بها النار ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وليجزى الذين أطاعوه ، فأحسنوا بطاعتهم اياه فى الدنيا بالحسنى ، وهى الجنة فيثيبهم بها ، وقيل عنى بذلك أهل الشرك والايمان ، وكرر الفعل فى ليجزى هنا لابراز كمال الاعتناء بأمر الجزاء ، أو للتنبيه على تباين الجزاءين .

القراءات :

١) قرأ الجمهور ليجزى بالتحتية .

٢) وقرأ زيد بن على بالنون [3].

---

(١) زاد المسير فى علم التفسير ٧٧/٨ ، ابن جرير ٣٨/٢٥ وما بعدها .
(٢) ابن جرير ٣٨/٢٥ .
(٣) فتح القدير للشوكانى ١١٢/٥ .

وقيل : اللام فى " ليجزى " للتعليل ، كأنه قال : هو مالك ذلك يضل من يشاء ، ويهدى من يشاء ليجزى المسيء باساءته ، والمحسن باحسانه .

قوله تعالى : " الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش " . ثم وصف الذين أحسنوا ، بأنهم الذين يبتعدون عن كبائر الاثم التى نهى الله عنها وحرمها عليهم ، فلا يقربوها .

الاعراب :

الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش : هذا الموصول فى محل نصب على أنه نعت للموصول الاول فى قوله : " الذين أحسنوا " . وقيل بدل منه ، وقيل بيان له ، وقيل منصوب على المدح باضمار أعنى ، أو فى محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى هم الذين يجتنبون (١) كبائر الاثم ، وصيغة الاستقبال فى صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره ، وكبائر الاثم هو ما يكبر عقابه من الذنوب ، وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه . والفواحش ما فحش من الكبائر خصوصا ، فهو من عطف الخاص على العام ، فالفواحش من جملة الكبائر ، وانما افردت بالذكر لتدل على عظيم اثم مرتكبها .

---

(١) الفتوحات الالهية ٤/٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

القـــــراءة :

١) قـرأ الجمهـور "كبائـر" .

٢) وقـرأ حمزة والكسائى ، والاعـمش ، ويحيى بن وثاب "كبير" علـى التوحيـد (١) .

وفسـر ابن عباس كبائر الاثم بالشرك ، والفواحـش جمع فاحشة ، قيـل الزنـا .

وقال مقاتل : كبائر الاثم : كل ذنب ختم بالنار ، والفواحـش : كل ذنب فيه الحـد .

وسأتكلم فى نهاية هذا البحث على حد الكبيرة كلاما مستقلا ، ان شـاء اللـه .

قوله تعالى : "الا اللمم" : اختلف أهل التأويل فى معنى الا فـى هـذا الموضع .

فقال بعضهم : هـى بمعنى الاستثناء المنقطع ، وقالوا : معنى الكـلام على هذا الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحـش الا اللمم الذى ألموا به من الاثـم والفواحـش فى الجاهلية قبل الاسلام ، فان الله قد عفا لهم عنه ، فلا يؤاخذهم به .

---

(١) فتح القديـر ١١٣/٥ ، الفتوحـات الالهيـة ٢٢٣/٤ .

وقال آخرون : بل ذلك استثناء صحيح ، ومعنى الكلام : " الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم " الا أن يلموا بها ثم يتوبوا .

قال ابن جرير [١] : وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : الا : بمعنى الاستثناء المنقطع ، ووجه معنى الكلام ، الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ، بما دون كبائر الاثم ، ودون الفواحش الموجبة للحدود فى الدنيا والعذاب فى الاخرة ، فان ذلك معفو لهم عنه ، وذلك عندى نظير قوله جل ثناؤه : " ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما " [٢] .

فوعد جل ثناؤه باجتناب الكبائر ، العفو عما دونها من السيئات ، وهو اللمم الذى قال النبى - صلى الله عليه وسلم - فيه : (العينان تزنيان ، واليدان تزنيان ، والرجلان تزنيان ، ويصدق ذلك الفرج ، ويكذبه) [٣] . وذلك أنه لا حد فيما دون ولوج الفرج فى الفرج ، وذلك هو العفو من الله ، فى الدنيا عن عقوبة العبد عليه ، والله جل ثناؤه أكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه .

وقيل : الا : بمعنى الواو .

---

(١) تفسير ابن جرير ٢٥/ ٣٨ .

(٢) سورة النساء الاية : ٣١ .

(٣) البخارى ١١/ ٢٦ حديث رقم ٦٣٤٣ ، وله ألفاظ كثيرة .

وأنكر هذا القول الفراء (١) .

وهناك قول بأن اللمم : النظرة التى تكون فجأة .

وهذا القول بعيد فى نظرى جدا ، لان النظرة معفو عنها ابتداء، غير مؤاخذ بها ، لانها تقع من غير قصد واختيار .

اللمم فى اللغة :

أصل اللمم فى اللغة : ما قل وصغر ، ومنه ألم بالمكان ، قل لبثه فيه ، وألم بالطعام ، قل أكله منه .

وقال المبرد : أصل اللمم : أن تلم بالشئ من غير أن تركبه ، يقال : ألم بكذا ، اذا قاربه ، ولم يخالطه .

وقال الازهرى : العرب تستعمل الالمام فى معنى الدنو والقرب ومنه قول جرير :

بنفسى من تجنبه عزيز .:. على ومن زيارته لمام

وقال الزجاج : أصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان المرة بعد المرة ، ولا يتعمق فيه ، واللمم فى كلام العرب المقاربة للشئ ، ويطلق اللمم على المس من الجنون (٢) . وصغار الذنوب .

---

(١) القرطبى ١٧/١٠٨ .

(٢) القاموس ٤/١٧٩ ، فتح القدير ٥/١١٣ ، مختار الصحاح ١/٠٥ ٦٠

ويقال : هو مقاربة المعصية من غير مواقعة ، وأنشدوا :

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب .·. وقل ان تملينا فما ملك القلب

سبب نزول الاية :

قيل قول الكفار للمسلمين قد كنتم بالامس تعملون أعمالنا . فنزلت .

وقال القرطبي [١] : نزلت في رجل كان يسمى نبهان التمار ، كان له حانوت يبيع فيه تمرا ، فجاءته امرأة تشترى منه تمرا ، فقال لها : ان في داخل الدكان ما هو خير من هذا ، فلما دخلت راودها ، فأبت وانصرفت ، فندم نبهان ، فأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله ما من شيء يصنعه الرجل الا وقد فعلته الا الجماع ، فقال لعل زوجها غاز فنزلت .

قال ابن كثير [٢] : في معنى "الا اللمم" : هذا استثناء منقطع ، لان اللمم من صغائر الذنوب ، ومحقرات الاعمال .

وعن ابن عباس قال : ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ان الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه [٣] .

---

(١) القرطبي ١٠٥/١٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٥٥ .

(٣) البخاري مع فتح الباري ٢٢/١١ ، مسلم بشرح النووي [illegible] ٤/ ٢٤٦

وقد روى عن ابن عباس فى معنى "الا اللمم" قال : هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ان تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك لا ألما .

وقد روى الحديث الترمذى (١).

قال القرطبى (٢) : قال ابن مسعود وأبو سعيد الخدرى ، وحذيفة ومسروق : اللمم : ما دون الوطء من القبلة ، والغمزة ، والنظرة والمضاجعة .

وقال الزهرى : أن يزنى ، أو يسرق ، ثم لا يعود .

ودليل هذا التأويل قوله تعالى : " والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم "(٣).

وروى عن ابن المسيب : أن اللمم : ما ألم على القلب أى خطر .

وقال محمد بن الحنفية : كل ما هممت به من خير أو شر فهو لمم .

ودليل هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام : (ان للشيطان لمة وللملك لمة) (٤).

---

(١) كتاب التفسير ٩/ ١٧٢ تفسير سورة النجم .

(٢) القرطبى ١٧/ ١٠٦ .

(٣) سورة آل عمران الايتان : ١٣٥-١٣٦ .

(٤) أخرجه الترمذى ٨/ ٣٣٢ كتاب التفسير (سورة البقرة) حديث رقم ٤٠٧٣ .

وقد أوجز المراد باللمم في ستة أقوال : صاحب زاد المسير في علم التفسير [١] نذكرها فيما يلي :

١) ما ألموا به من الاثم والفواحش في الجاهلية فانه يغفر في الاسلام. قاله زيد بن ثابت .

٢) أن يلم بالذنب مرة ثم يتوب ، ولا يعود . قاله ابن عباس والحسن والسدى .

٣) أنه صغار الذنوب كالنظرة والقبلة ، وما دون الزنا . قاله ابن مسعود وأبو هريرة ، والشعبي ، ومسرق ، ويؤيد هذا حديث أبي هريرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا .. الخ . وقد تقدم الحديث .

٤) أنه ما يهم به الانسان . قاله محمد بن الحنفية .

٥) أنه ما ألم بالقلب ، أى خطر . قاله سعيد بن المسيب .

فعلى القولين الاولين يكون الاستثناء من الجنس ، ويكون متصلا وعلى باقي الاقوال يكون ليس من الجنس ويكون منقطعا [٢].

ويرى بعض العلماء [٣] أن كون الاستثناء من الجنس ـ أى جنس المستثنى منه ـ أنه أكثر تناسبا مع قوله تعالى بعد ذلك : " ان ربك واسع المغفرة " . قال : فذكر سعة المغفرة يناسب أن يكون اللمم هو

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٨/٧٧ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٨/٧٧ .

(٣) سيد قطب الدكتور عمر أحمد على ١/٥٢ تفسير سورة النجم .

الاتيان بتلك الكبائر والفواحش ، ثم التوبة ، ويكون الاستثناء غير منقطع ، ويكون الذين أحسنوا هم الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، الا أن يقعوا في شيء منها ، ثم يعودوا سريعا ، ولا يلجوا ولا يصروا ، كما قال سبحانه وتعالى : " والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم .. الخ " (١).

وسمى هؤلاء بالمتقين ، ووعدهم مغفرة وجنة عرضها السموات والارض فهذا هو الاقرب الى رحمة الله ومغفرته الواسعة على حين يرى المعظم تفسير اللمم بالصغائر ، والاستثناء منقطع ، وعند الاكثرين أن المعاصى منها كبائر ، ومنها صغائر ، وأنكر جماعة من الائمة هذا الانقسام ، وقالوا : سائر المعاصى كبائر منهم : الاسفرائينى ، والباقلانى ، وامام الحرمين ، والسبكى .

قال ابن فورك : معاصى الله كلها عندنا كبائر ، وانما يقال لبعضها صغيرة ، وكبيرة ، بالاضافة .

قال الدكتور عمر أحمد على (٢) : والجمهور على الانقسام ، قيل ولا خلاف فى المعنى ، وانما الخلاف فى التسمية ، والاطلاق ، لاجماع الكل على أن من المعاصى ما يقدح فى العدالة ، ومنها ما لا يقدح ، وانما الاولون فروا من التسمية ، فكرهوا تسمية معصية الله صغيرة ، نظرا الى عظمة الله ، وشدة

---

(١) سورة آل عمران الايتان : ١٣٥ ــ ١٣٦ .

(٢) الدكتور احمد على فى تفسير سورة النجم ١/٥٣ .

عقابه ، واجلالا له عن تسمية معصية صغيرة ، لكونها بالنظر الى باهر عظمته كبيرة أى كبيرة ، ولم ينظر الجمهور الى ذلك لكونه معلوما ، وقسموها الى كبائر وصغائر ، لظواهر الايات والاحاديث .

ولذلك قال الغزالى فى الاحياء ، لا يليق انكار الفرق بين الكبائر والصغائر ، وقد عرفنا ذلك من مدارك الشرع .

قال بعض العلماء[1] : ان هناك ستة أشياء اذا اقترنت بالصغيرة ألحقتها بالكبيرة ، واذا اقترنت بالكبيرة عظم وزرها وتزايد أمرها :

١) الاصرار وهو العود الى مثل الذنب ، ولذا قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار ، وليس المراد استغفار الكاذبين باللسان ، وانما المراد التوبة والندم والاقلاع والالتجاء الى الله عز وجل بالقلب .

٢) أن يستصغر الذنب ، فان الذنب يكبر اثمه على قدر استصغاره ، فان تصغير الذنب تصغير لامر الرب ، وفى تعظيم الذنب ، تعظيم للرب تبارك وتعالى .

وفى الحديث :[2] (المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه ، يخاف أن يقع عليه ، والمنافق يرى ذنبه كذباب وقع على وجهه فأطاره) .

---

(١) من وصايا الرسول -صلى الله عليه وسلم- لطه العفيفى ٦/١٢-١٤ ، احياء علوم الدين ٤/٣٣-٣٤ .

(٢) أخرجه البخارى / كتاب الدعوات ١١/١٠٢ ، الا أن فيه الفاجر بدل المنافق .

٣) السرور بالذنب ، فان القلب يسود بقدر الفرح بالذنب ، ويروى أن رجلا من بنى اسرائيل تاب من ذنب ، وعبد الله سنين ، ثم سأل بعض الانبياء أن يدعو له بالقبول ، فأوحى الله عز وجل اليه ، لو تشفع بأهل السموات والارض ما قبلته وحلاوة الذنب فى قلبه ، ويقال من فرح بالذنب فهو كالمريض الذى يفرح ، بأن ينكسر اناؤه الذى فيه دواؤه ، كراهة أن يستعمله ، فلا يرجى شفاؤه .

٤) أن يتهاون فى ستره عليه ، وحلمه عنه ، وامهاله حيث لم يعاجله بالعقوبة ، ولا يخاف أن يكون ذلك الستر مقتا من الله تعالى ، وامهالا ليزداد ذنبا فيأخذه على غرة .

٥) اظهار الذنب بأن يفعله مجاهرا ، ويتحدث به ، ويفتخر فى ذلك زيادة جراءة ، وعدم حرمة ، وابطال نعمة ، فان من نعم الله تعالى اظهار الجميل ، وستر القبيح .

وفى الحديث : (كل أمتى معافى الا المجاهرين " (١).

وقال بعضهم : لا تذنب ، فان أذنبت فلا ترغب غيرك ، فتكسب ذنبين . قال تعالى : " المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف " (٢).

---

(١) اتفق عليه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ .

(٢) سورة التوبة الاية : ٦٧ .

وروى عن بعض السلف : ما انتهك المؤمن من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية الله تعالى .

٦) أن يكون المذنب عالما يقتدى به . كما ورد في الحديث : (ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ، لا ينقص من أوزارهم شيئا) (١).

قال ابن عباس : ويل للعالم من الاتباع ، يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس ، فيذهبون بها في الافاق ، ويقال العالم مثل السفينة اذا غرقت غرق أهلها (٢).

وفي كون الاصرار على الصغيرة كبيرة اختلاف بين أهل العلم .

قال في فتح البيان (٣) : والصواب في هذا الباب ما ذكره القاضي محمد بن على الشوكاني في ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ، ونصه قد قيل : ان الاصرار على الصغيرة حكمه حكم مرتكب الكبيرة ، وليس على هذا دليل يصلح للتمسك به ، وانما هي مقاله لبعض الصوفية ، لا تصح .

---

(١) الحديث رواه مسلم من حديث جرير بن عبد الله
(٢) احياء علوم الدين ٤/ ٣٤ .
(٣) فتح البيان ٩/ ١٧٨ .

قال : بل الحق أن الاصرار حكمه حكم ما أصر عليه ، فالاصرارا على الصغيرة صغيرة ، والاصرار على الكبيرة كبيرة .

قال : ويفهم من ذلك أيضا أن الاصرار على الكبيرة ليس كفرا ، ثم التوبة عن الكبيرة ، وان كانت واجبة عينا فورا بنصوص الكتاب والسنة ، واجماع الامة ، لكن قد يغفرها الله تعالى من غير توبة أيضا ، كما دلت عليه السنة المطهرة واختاره محققوا أهل الحديث(١).

قوله تعالى : " ان ربك واسع المغفرة " : هذه الجملة تعليلية لاستثناء اللمم منبهة على اخراجه عن حكم المؤاخذة ، ليس لخلوه عن الذنب في نفسه ، بل لسعة المغفرة الربانية ، وعقب بها ما سبق لئلا ييئس صاحب الكبيرة من رحمته ، ولئلا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى ، فالله سبحانه وتعالى واسع المغفرة لمن تاب من ذنبه ، واستغفر . قاله ابن عباس .

وقال أبو ميسرة ، عمرو بن شرحبيل ، وكان من أفاضل أصحاب ابن مسعود رأيت في المنام كأني دخلت الجنة ، فاذا قباب مضروبة ، فقلت لمن هذه ؟ فقالوا : لذى الكلاع وحوشب ، وكانا ممن قتل بعضهم بعضا ، فقلت وكيف ذلك ؟ فقالوا : انهما لقيا الله فواجداه واسع المغفرة ، فقال أبو خالد : أن ذا الكلاع اعتق اثنتى عشرة ألف بنت(٢).

---

(١) فتح البيان ٩/ ١٧٨ .

(٢) الفتوحات الالهية ٤/ ٢٣٣-٢٣٤ ، القرطبي ١٧/ ١٠٩-١١٠ .

وقال ابن كثير [١] : أى رحمته وسعت كل شئ ، ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها ، كقوله تعالى : " قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم " [٢].

وقال النيسابورى فى تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان [٣] : عند تفسير هذه الاية : انه يكفر الصغائر باجتناب الكبائر ، ويكفر الكبائر بالتوبة ، قال وفيه اشارة الى أن اللمم ما لا يمكن فيه الاجتناب لكل الناس ، أو لاكثرهم ، فالعفو عن ذلك يحتاج الى سعة وكثرة ، بل فيه بشارة أنه سبحانه يغفر الذنوب جميعا سوى الشرك ، لان غفران اللمم لا يوجب الوصف بسعة المغفرة ، وانما الذى يوجب ذلك أن لو غفر معها الكبائر .

قوله تعالى : " هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض " : أى هو بصير بكم ، عليم بأحوالكم ، وأفعالكم ، وأقوالكم ، التى ستصدر عنكم ، وتقع منكم حين أنشأ أباكم آدم من الارض ، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر ، ثم قسمهم فريقين فريقا للجنة ، وفريقا للسعير .

قال القرطبى [٤] : (أنشأكم) يعنى أباكم آدم من الطين ، وخرج اللفظ على الجمع .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٥٥ .

(٢) سورة الزمر الاية : ٥٣ .

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٧ / ٤٨ ـ ٤٩ .

(٤) الجامع لاحكام القرآن ١٧ / ١٠٩ ـ ١١٠ .

قال الترمذى أبو عبد الله : وليس هو كذلك عندنا ، بل وقع الانشاء على التربة التى وقعت من الارض ، وكنا جميعا فى تلك التربة ، وفى تلك الطينة ، ثم خرجت من الطينة المياه الى الاصلاب مع ذرو النفوس على اختلاف هيئتها ثم استخرجها من صلبها على اختلاف الهيئات منهم ، كالدر يتلألأ ، وبعضهم أنور من بعض ، وبعضهم أشد سوادا من بعض ، فكان الانشاء واقعا علينا وعليه .

وقد ذكر القرطبى [1] : ان كل انسان يخلق من طين البقعة التى يدفن فيها ، ولم أقف على دليل ذلك من السنة ، وأعلم فى الاية على بابها من التفضيل .

وقال مكى : بمعنى عالم بكم .

قال فى البحر المحيط [2] : ولا ضرورة الى اخراجها عن أصل موضعها وكان مكيا راعى عمل أعلم فى الظرف الذى هو : " اذ أنشأكم من الارض " .

قال ابن جرير [3] فى تأويل الاية : يقول تعالى ذكره : " ربكم أعلم بالمؤمن منكم ، من الكافر ، والمحسن منكم من المسىء ، والمطيع من العاصى ، حين ابتدعكم من الارض ، فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها ، وحين

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ٣٨٨/٦ .

(٢) أبو حيان ١٦٤/٨ ـ ١٦٥ .

(٣) تفسير ابن جرير ٤١/٢٧ .

أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ، يقول : وحين أنتم حمل لم تولدوا فلا تزكوا أنفسكم بعد ما صرتم رجالا ونساء ، قلل : ونحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

وقال النيسابوري (١) : هو أعلم بكم الى آخره دليل على وقوع الغفران لانه اذا كان عالما بأصلهم ، وفرعهم ، كان عالما بضعفهم ونقصهم ، فلا يؤاخذهم بما يصدر عنهم على مقتضى جهلتهم وطبعهم ، فكل شئ يرجع الى الاصل ، والارض بطبعها تميل الى الاسفل ، والجنين أوله نطفة مقذرة ، وآخره الاغتذاء بدماء قذرة ، واذا كان مبدأ حاله هكذا ، وهو في أوسط أمره متصف بالظلم والجهل ، والعاقبة غير معلومة ، وجب عليه أن لا يزكي نفسه ، فان الله تعالى أعلم بالزكي ، والتقي ، أولا وآخرا ، باطنا وظاهرا .

قال : وما أحسن نسق هذه الجمل ، وقد أبعد بعض أهل النظم فقال : لما ذكر أنه أعلم بمن ضل ، كان للكافر أن يقول : كيف يعلم الله أمورا نعملها في البيت الخالي ، وفي جوف الليل المظلم ، فأجاب الله تعالى بأنا نعلم ما هو أخفى من ذلك ، وهو أحوالكم وقت كونكم أجنة " في بطون أمهاتكم " للتأكيد فانه اذا خرج من بطن الام يدعى سقطا ، أو ولدا .

---

(١) تفسير غرائب القرآن ، ورغائب الفرقان ٢٧/ ٤٩ .

وقيل: أراد أن الضال ، والمهتدى ، حصلا على ما هما عليه بتقدير الله وأنه كتب عليهما فى رحم أمهما ، أنه ضال ، أو مهتد (١).

وقيل : فيه تقرير الجزاء ، وتحقيق الحشر ، فان العالم بأحوال المكلف وهو جنين القادر على انشائه من الارض ، أول مرة عالم بأجزائه بعد التفرق ، قادر على جمعه بعد التمزق ، والعامل فى اذ ، اذكر أو ما يدل عليه أعلم : أى يعلمكم وقت الانشاء ، والخطاب للموجودين وقت نزول الاية ، وللاخرين بالتبعية ، ويجوز أن يكون الانشاء من الارض اشارة الى خلق أبينا آدم وقوله : " اذ أنتم " يكون خطابا لنا قوله : " واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم " أجنة جمع جنين وهو الولد ما دام فى البطن سمى جنينا لاجتنانه واستتاره. قال الشاعر (٢) :

دراعى حرة أدماء بكر ⁂ هجان اللون لم تقرأ جنينا

وقد كتب الملك الذى يوكل به رزقه وأجله ، وعمله ، أشقى ، أم سعيد .

قال مكحول (٣) : كنا أجنة فى بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط ، وكنا فيمن بقى ، ثم كنا مراضع ، فهلك منا من هلك ، وكنا فيمن بقى ، ثم صرنا يفعة ، فهلك منا من هلك ، وكنا فيمن بقى ، ثم صرنا شبانا ، فهلك

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٧ / ٤٩ .
(٢) هو عمرو بن كلثوم .
(٣) القرطبى ١٧ / ١١٠ .

منا من هلك ، وكنا فيهن بقى ، ثم صرنا شيوخا ، لا أبا لك ، فمانا بعد هذا ننتظر ، رواه ابن أبى حاتم عنه (١).

قوله تعالى : " فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى " .

سبب نزول الاية :

روى قولان فى سبب نزول الاية :

١) أن اليهود كانوا اذا هلك لهم صبى قالوا : صديق ، فنزلت هذه الاية ، وهذا قول عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ .

٢) أن ناسا من المسلمين قالوا : قد صلينا ، وصمنا ، وفعلنا ، يزكون أنفسهم ، فنزلت هذه الاية ، قاله مقاتل (٢).

ومعنى الاية : " فلا تزكوا أنفسكم " : أى لا تنسبوها الى زكاء الاعمال والطهارة من المعاصى ، ولا تثنوا عليها ، واهضموها ، فقد علم الله منكم الزكى ، والتقى ، قبل اخراجكم من صلب آدم ، وقبل اخراجكم من بطون أمهاتكم .

---

(١) القرطبى ١٧ /١١٠ ، وابن كثير ٤ /٢٥٦ .

(٢) رواه الواحدى فى أسباب النزول عن ثابت بن الحارث الانصارى ١ /٢٢٦ ، وفى سنده ابن لهيعة ، وذكره السيوطى فى الدر ٦ /١٢٨ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، وأبى نعيم فى المعرفة ، وابن مردوية عن ثابت بن الحارث الانصارى .

قال أبو حيان (١) : وكثيرا ما نرى من المصلحين اذا حدثوا ، كان وردنا البارحة كذا ، وفاتنا من وردنا البارحة ، أو فاتنا وردنا يوهمون للناس أنهم يقومون بالليل ، ونرى لبعضهم فى جبينة سوادا يوهم أنه من كثرة السجود ، ولبعضهم احتضار النية حالة الاحرام ، فيحرك يديه مرارا ، ويصعق حتى ينزعج من بجانبه ، وكأنه يخطف شيئا بيديه ، وقت التحريكة الاخيرة يوهم أنه يحافظ على تحقيق النية ، وبعضهم يقول فى حلقته ، وحق البيت الذى زرت ، يعلم أنه حاج ، واذا لاح له فلس يثب عليه وثوب الاسد على الفريسة ، ولا يلحقه شئ من الوسواس ، ولا من احضار النية ، وأخذه ، بل شراه يحب الثناء عليه بالأوصاف الجميلة .

وقيل المعنى : لا يزكى بعضكم بعضا ، تزكية السمعة ،أو المدح للدنيا أو تزكية بالقطع .

أقول : وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب أو الرياء ، فأما من اعتقد أن ما عمله من العمل الصالح من الله ، وبتوفيقه ، وتأييده ، ولم يقصد به التمدح ، لم يكن من المزكين أنفسهم ، لكون المسرة بالطاعة طاعة ، وذكرها شكر ، أو كانت التزكية لاثبات الحقوق فجائزة حينئذ للضرورة .

---

(١) البحر المحيط ٨ / ١٦٤ ـ ١٦٥ ، الزمخشرى الكشاف ٤ /٣٣ ـ ٣٤ .

قال في محارم اللسان (١) :

تزكية النفس افتخارا أما ∴ شكرا فتطلب كذا من أمما

تنبيه ما لم ينتبه لذي خفا ∴ ينفعه كما جرى ليوسف

وقال بعض العلماء :

ويحسن الثنا على نفسك في ∴ أربعة من الخصال فاعرف

وهي اذا نوزعت أو لم تنصف ∴ أو كنت في قوم بهم لم تعرف

أو التحدث بنعمة العلي ∴ عليك والرهوني ذا فيه جلي

قال ابن عباس (٢) : ما من أحد من هذه الامة أزكية غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

قال في تفسير ابن كثير (٣) : (فلا تزكوا أنفسكم) : أي تمدحوها وتشكروها ، وتمنوا بأعمالكم ، كما قال تعالى : " ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا " (٤).

وفي صحيح مسلم : (قال حدثنا عمرو الناقد ، حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن عمرو بن عطاء قال : سميت

---

(١) مخطوطة في علم الاخلاق ، مؤلفها محمد مولود بن احمد فال اليعقوبي الموريتاني .

(٢) القرطبي ١٧/١٠٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤/٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٤) سورة النساء الاية : ٤٩ .

ابنتى برة ، فقالت لى زينب بنت أبى سلمة : ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن هذا الاسم ، وسميت برة ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تزكوا أنفسكم ان الله أعلم بأهل البر منكم ، فقالوا : بم نسميها ؟ قال : سموها زينب .

وفى صحيح البخارى : أن رجلا مدح رجلا عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ويلك قطعت عنق صاحبك مرارا اذا كان أحدكم مادحا صاحبه لا محالة ، فليقل : أحسب فلانا ، والله حسيبه ، ولا أزكى على الله أحدا ، أحسبه كذا ، وكذا ، ان كان يعلم ذلك ، وقد جاء رجل الى عثمان ـ رضى الله عنه ـ فأثنى عليه فى وجهه ، فجعل المقداد بن الاسود يحثو التراب فى وجهه ، ويقول : أمرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا لقينا المداحين أن نحثو فى وجوههم التراب(١) .

قوله تعالى : " هو أعلم بمن اتقى " : مستأنفة مقررة للنهى ، أى فانه يعلم المتقى منكم ، وغيره ، قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم آدم ، فمن جاهد نفسه ، وخلصت منه التقوى ، فهو يوصله فوق ما يؤمل من الثواب فى الدارين ، فكيف بمن صارت له التقوى ، وصفا ثابتا ، وهو الذى ينتفع بهما ، ويثاب عليها .

---

(١) قال ابن كثير : رواه مسلم من حديث الثورى عن منصور ٤ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

وقيل: نزلت فى ناس كانوا يعملون أعمالا حسنة ، ثم يقولون : صلاتنا وصيامنا ، وحجنا ، وجهادنا .

وقيل المعنى : هو أعلم بمن اتقى عقوبة الله ، وأخلص العمل له .

وقال الحسن : وقد علم سبحانه من كل نفس ما هى عاملة ، وما هى صانعة ، وإلى ما هى صائرة (١).

وقال ابن جرير (٢) : يقول جل ثناؤه ربك يا محمد أعلم بمن خاف عقوبة الله ، فاجتنب معاصيه من عباده .

قال فى زاد المسير فى علم التفسير (٣) : فى معنى هذه الآية : " هو أعلم بمن اتقى " :

١) عمل حسنة وارعوى عن معصية . قاله على - رضى الله عنه - .

٢) أنه أخلص العمل لله وحده . قاله الحسن .

٣) اتقى الشرك فآمن . قاله الثعلبى .

* * *

---

(١) فتح القدير ١١٣/٥ ، فتح البيان ١٧٩/٩ .

(٢) ابن جرير الطبرى ٣٨/٢٥ .

(٣) زاد المسير فى علم التفسير ٧٧/٨ .

" المعنى الاجمالى للآيـــات "

أخبر سبحانه وتعالى فى هـذه الايات أنه مالك ما فى السموات وما فى الارض ، المتصرف فيهما ، لا أحد يتصرف فى شئ الا باذنه سبحانه وتعالى ، له الملك وله الحمد ، واليه يرجع الامر كله ، جرت حكمته وعدله أنه يجازى كل نفس بما كسبت ، لا ظلم عنده سبحانه ، يجزى المسئ بما عمل ، ويجزى من أحسن بالحسنى ، بالجنة ، ثم وصف سبحانه عباده المستحقين لان يجازوا بالجنة ، بأنهم هم الذين يجعلون الكبائر جانبا عنهم ، يجتنبون كبائر الاثم ، وما فحش من الذنوب ، وقبائح الاعمال ، ومع اجتنابهم للكبائر والفواحش قد يقع منهم بعض الصغائر فلا يكون ذلك نافيا عنهم أنهم موصوفون بكونهم أحسنوا ، أو أنه قد تقع منهم بعض اقترافات للكبائر ، ولكنهم سرعان ما يرجعون الى الله ، ثم يتوبون .

كما أنه أخبر سبحانه وتعالى فى هـذه الايات أنه واسع المغفرة ، فرحمته وسعت كل شئ الا أنها لا تكتب الا لمن يتقى الله ، كما قال تعالى : " ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون " (١).

---

(١) سورة الاعراف الاية : ١٥٦ .

كما أن الايات أفادت بأنه يعلم عباده حق العلم ، يعلمهم من النشأة الاولى من الارض ، ويعلمهم وهم فى الظلمات الثلاث ، فى البطن ، كيف لا وهو الخلاق العليم ، " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " (١).

ونتيجة علمه سبحانه وتعالى بخلقه ، أنه لا داعى لان يزكى أحد نفسه ويطهرها ، فالله سبحانه وتعالى أعلم به ان كان تقيا ، كما أنه يعلم حقيقة أمره ، ان كان غير ذلك .

* * *

---

(١) سورة الملك الاية : ١٤ .

"بحث الكبيره"

الكبيرة : كل معصية فيها حد فى الدنيا ، أو وعيد فى الاخرة ،
وزاد شيخ الاسلام : أوورد فيها وعيد بنفى ايمان أو لعن ، ونحوهما ،
والصواب تقسم الذنوب الى كبيرة وصغيرة ، وأن الكبائر فى الذنوب بعضها
أكبر من بعض .

وقال ابن عبد السلام الشافعى : لم أقف للكبيرة على ضابط سالم من
الاعتراض ، والضابط الذى قاله شيخ الاسلام وغيره من أنها ما فيها
حد أو وعيد ، أو لعن ، أو تبرؤ ، أو ليس منا ، أو نفى ايمان ، من أسلم
الضوابط .

وعن سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس : الكبائر سبع ، فقال ابن
عباس : هى الى السبعمائة أقرب منها الى السبع(١) .

واختلف فى عدد الكبائر : فقيل : انها سبع ، فروى البخارى ومسلم
فى الصحيحين (٢) من حديث أبى هريرة عن النبى - صلى الله عليه وسلم -
أنه قال : اجتنبوا السبع الموبقات . قال يا رسول الله ! وما هن ؟ قال :
الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ،
وأكل مال اليتيم ، بدارا أن يكبروا ، والفرار من الزحف ، ورمى المحصنات ، وانقلاب
الى اعرابية بعد هجرة .

---

(١) كتاب الكبائر للذهبى ١/ ٨ .

(٢) البخارى ٥/ ٢٩٤ ، ١٢/ ١٦٠ ، ومسلم ١/ ٩٢ .

الثانى : أنها تسع ، روى عبيد بن عمير عن أبيه ، وكان من الصحابة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه سئل ما الكبائر ؟ فقال : تسع أعظمهن الاشراك بالله ، وقتل نفس المؤمن بغير حق ، والفرار من الزحف ، وأكل مال اليتيم ، والسحر ، وأكل الربا ، وقذف المحصنة ، وعقوق الوالدين المسلمين ، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا (١).

الثالث : أنها أربع ، روى البخارى (٢) ومسلم من حديث عبد الله ابن عمرو عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : الكبائر : الاشراك بالله وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس .

الرابع : أنها ثلاث ، فروى عن عمران بن حصين عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فاحتفز (٣).

الخامس : قريب من الرابع .

السادس : انها احدى عشرة : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس ، وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والفرار من الزحف ، وقذف المحصنات ، وشهادة الزور ، والسحر ، والخيانة .

---

(١) رواه الحاكم مطولا ٥٩/١ .

(٢) البخارى ٤٨٢/١١ .

(٣) رواه البخارى فى الادب المفرد نقلا عن زاد المسير ١٠١/١ ، وزاد الحافظ ابن حجر فى الفتح ١٦١/١٢ نسبته الى البيهقى وقال سنده حسن .

السابع : أنها كل ذنب يختصه الله بنار ، أو غضب ، أو لعنة ، أو عذاب .

الثامن : أنها كل ما أوجب الله عليه النار فى الاخرة ، والحد فى الدنيا .

التاسع : أنها كل ما عصى الله به ، روى عن ابن عباس ، وعبيدة وهو قول ضعيف .

العاشر : أنها كل ذنب أوعد الله عليه النار . قاله الحسين .

الحادى عشر : أنها ثمان : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل المؤمن ، وقذف المحصنة ، والزنا ، وأكل مال اليتيم ، وقول الزور ، واقتطاع الرجل بيمينه وعهده ثمنا قليلا (١).

وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٢) : ومن أحسن تعاريف الكبيرة قول القرطبى فى المفهم : كل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو اجماع أنه كبيرة ، أو عظيم أو أخبر فيه بشدة العقاب ، أو علق عليه الحد ، أو شدد النكير عليه ، فهو كبيرة .

وقال الحافظ ابن حجر (٣) : بعد أن جمع كثيرا من الاحاديث فى بيان الكبائر ، فهذا جميع ما وقفت عليه مما ورد التصريح بأنه من الكبائر ، أو من

---

(١) زاد المسير فى علم التفسير ٢/٦٢ فما بعدها .
(٢) الفتح ١٣/١٦٣ .
(٣) الفتح ١٢/١٦٢ .

أكبر الكبائر صحيحا وضعيفا مرفوعا وموقوفا ، وقد تتبعته غاية التتبع وفى بعضه ما ورد خاصا ، ويدخل فى عموم غيره ، ثم قال ابن حجر : والمعتمد من ذلك ما ورد مرفوعا بغير تداخل من وجه صحيح ، وهى السبعة المذكورة فى حديث : (اجتنبوا السبع الموبقات) والانتقال عن الهجرة ، والزنا ، والسرقة ، والعقوق ، واليمين الغموس ، والالحاد فى الحرم ، وشرب الخمر ، وشهادة الزور ، والنميمة ، وترك التنزه من البول ، والغلول ، ونكث الصفقة ، وفراق الجماعة ، قال : فتلك عشرون خصلة ، وتتفاوت مراتبها ، والمجمع على عده من ذلك أقوى من المختلف فيه .

قال ابن القيم (١) : وبالجملة فمراتب الفاحشة متفاوتة بحسب مفاسدها ، فالمتخذ خدنا من النساء ، والمتخذة خدنا من الرجال أقل شرا من المسافح ، والمسافحة مع كل أحد ، والمستخفى بما يرتكبه ، أقل اثما من المجاهر المستعلن ، والكاتم له أقل اثما من المخبر المحدث للناس به . فهذا بعيد من عافية الله وستره ، كما ورد (كل أمتى معافى الا المجاهرين) وان من المجاهرة أن يستر الله تعالى عليه ، ثم يصبح يكشف ستر الله عنه . يقول : يا فلان فعلت البارحة كذا وكذا ، فيبيت ربه يستره ، ويصبح يكشف ستر الله عن نفسه .

---

(١) اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢ / ١٤٣ وما بعدها .

وفى حديث آخر : من ابتلى بشىء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله ، فانه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله ، والخطيئة اذا خفيت لم تضر الا صاحبها ، ولكن اذا أعلنت فلم تنكر ضرت العامة .

قال ابن القيم (١) : وكذا الزنا بالمرأة التى لا زوج لها أيسر اثما من الزنا بذات الزوج لما فيه من ظلم الزوج والعدوان عليه ، وافساد فراشه عليه ، وكذا الزنا بحليلة الجار أعظم اثما من الزنا ببعيدة الدار ، لما اقترن بذلك من أذى الجار ، وعدم حفظ وصية الله تعالى ورسوله به ، كما تتفاوت الكبائر والفواحش بحسب الزمان والمكان ، وحسب الاحوال ، والفاعل ، فالزنا فى رمضان أعظم منه فى غيره ، وفى الحرمين أعظم منه فى غيرهما ، ومن الحر أقبح من العبد ، ومن المحصن أشد من البكر ، ومن الشيخ أعظم من الشاب ، ومن العالم والقادر أقبح من الجاهل والفقير .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ، ولا ينظر اليهم ، ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر .

---

(١) اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١٤٣/٢ ، وما بعدها ، تحقيق محمد سيد كيلانى .

وقال فى لباب التأويل فى معانى التنزيل (١) : قال العلماء : أكبر الكبائر الشرك بالله ، وهذا ظاهر لا خفاء فيه ، لقوله تعالى : " ان الشرك لظلم عظيم " (٢). ويليه القتل بغير حق ، فأما سواهما من الزنا واللواط ، وشرب الخمر ، وشهادة الزور ، وأكل مال اليتيم ، بغير حق ، والسحر ، وقذف المحصنات ، وعقوق الوالدين ، وغير ذلك من الكبائر التى ورد بها النص ، فانه يختلف أمرها باختلاف الاحوال والمفاسد المرتبة عليها .

فعلى هذا يقال : فى كل واحدة منها هى من أكبر الكبائر بالنسبة الى ما دونها ، ولهذا اختلف فى حد الكبيرة ، وتمييزها عن غيرها .

فروى عن ابن عباس : كل شئ نهى الله عنه فهو كبيرة .

وقال بهذا الاستاذ أبو اسحاق الاسفرائينى ، وحكاه القاضى عياض عن المحققين ، واحتج أهل هذا القول بأن كل مخالفة فهى بالنسبة الى جلال الله كبيرة ، الى أن قال : وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف الى انقسام المعاصى الى صغائر ، وكبائر ، وتظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة ، واستعمال سلف الامة ، واذا ثبت الانقسام فقد اختلف فى حدها وضبطها :

---

(١) تفسير الخازن مع البغوى ٢٢١/٦ .

(٢) سورة لقمان الاية : ١٣ .

١) روى عن ابن عباس كل ذنب ختم بنار ، أو غضب أو لعنة .

٢) وقيل : ما وعد عليه بنار فى الاخرة أو حد فى الدنيا .

٣) ونقل عن الغزالى فى البسيط قال : الضابط الشامل فى ضبط الكبيرة أن كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف ، أو استحداث ندم كالمتهاون فى ارتكابها ، والمستجرئ عليها اعتيادا ، فيما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبير ، وما تحصل عليه فلتات النفس، وفترة مراقبة التقوى ، ولا ينفك عن ندم يمتزج تنغيص التلذذ بالمعصية ، فهذا لا يمنع العدالة ، وليس بكبيرة (١) .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى كتابه القواعد : اذا أردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة ، فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها ، فان نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهى من الصغائر ، وان ساوت أدنى مفاسد الكبائر ـ فهى من الكبائر ـ فمن أمسك امرأة محصنة لمن يزنى بها ، أو أمسك مسلما لمن يقتله ، فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم من أكل درهما من مال اليتيم ، مع كونه من الكبائر ، وكذا لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بأنهم يستأصلونهم بدلالته ، فان تسببه الى هذه المفسدة أعظم من توليه يوم الزحف ، بغير عذر ، مع كونه من الكبائر .

---

(١) لباب التأويل فى معانى التنزيل ٢٢١/٦ .

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاويه الكبيره : كل ذنب كبر وعظم عظما ، بحيث يصح أن يطلق عليه اسم الكبيرة ، ويوصف بكونه عظيما على الاطلاق ، فهذا حد الكبيرة ، ولها أمارات منها الحد ، ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها ، ومن أماراتها وصف فاعلها بالفسق ، أو يضاف الى صاحبها اللعن (١).

هذا وحاصل بحث الكبيرة كما رأيت أيها القارئ الكريم ، أن الصحيح من أقوال العلماء ، كما دلت عليه السنة المطهرة ، انقسام المعاصى الى كبيرة وصغيرة ، وان كان الاختلاف حصل فى عدد الكبائر ، منهم من قال سبع ، ومنهم من قال أربع ، ومنهم من قال عشرون ، ومنهم من قال ان كل معصية ، أتبعت بعقاب فى الدنيا ، أو أوعد عليها بعذاب فى الاخرة ، أو لعن ، أو غضب من الله ، فهى الكبيرة ، وما عدا ذلك فليس بكبيرة ، كما علمت أن الكبائر تختلف فى رتبتها ، حسب المكان والزمان ، وحسب الفاعل ، وبعضهم يرى أن كل معصية بالنسبة لجلال الله وعظمته فهى كبيرة ، ومهما يكن من شىء ، فالواجب على المؤمن أن ينتهى ويبتعد ، عن كل ما نهى الله عنه أو رسوله — صلى الله عليه وسلم — فلا يقربه ، ولا يتساهل فى اقتحام ما نهى الله عنه ، وان لم يكن ذكر على ارتكابه ، وعيد بنار ، أو لعن ، أو غير ذلك ، فهذا أسلم له ، ولله تعالى التوفيق ، أرجو الله أن يجنبنا المعاصى ما صغر منها وما كبر .

* * *

---

(١) انظر الخازن ١٢٢/٦ .

قال تعالى : أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب فهو يرى أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الاوفى " .

==================================

" التفسير التفصيلى للآيات "

قوله تعالى : " أفرأيت الذى تولى " : اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال :

١) الاول : أنها نزلت فى الوليد بن المغيرة ، وكان قد تبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على دينه فعيره بعض المشركين ، وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم ؟ قال : انى خشيت عذاب الله ، فضمن له ان هو أعطاه شيئا من ماله ، ورجع الى شركه ، أن يتحمل عنه عذاب الله عز وجل ، ففعل فأعطاه بعض الذى ضمن له ، ثم بخل ومنعه ، فنزلت هذه الاية ، قاله مجاهد .

٢) الثانى : أنها نزلت فى النضر بن الحارث أعطى بعض فقراء المسلمين خمس قلائص حتى ارتد عن اسلامه ، وضمن له أن يحمل عنه اثمه . قاله الضحاك .

٣) الثالث : أنها نزلت في أبي جهل ، وذلك أنه قال : والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق ، قاله محمد بن كعب القرظي .

٤) الرابع : أنها نزلت في العاص بن وائل السهمي ، وكان ربما وافق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بعض الامور . قاله السدي .

وأخرج ابن جرير [١] عن ابن زيد قال : ان رجلا أسلم فلقيه بعض من يعيره ، فقال : أتركت دين الاشياخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار ، قال : اني خشيت عذاب الله ، قال : أعطني شيئا وأنا أحمل كل عذاب كان عليك ، فأعطاه شيئا ، فقال زدني فتعاسرا حتى أعطاه شيئا ، وكتب له كتابا ، وأشهد له ففيه نزلت هذه الاية .

قال في الدر المنثور [٢] : وأخرج الفريابي ، وعبد بن حميد وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله " أفرأيت الذي تولى " قال الوليد بن المغيرة : كان يأتي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبا بكر فيسمع ما يقولان ، ذلك ما أعطى من نفسه أعطى الاستماع ، وأكدى : قال : انقطع عطاؤه .

---

(١) الطبري في تفسيره ٢٧/٤١ ـ ٤٢ ، الدر المنثور ٦/١٢٨ .
(٢) الدر المنثور ٦/١٢٨ ـ ١٢٩ .

أقول : أما قول من قال : انها نزلت فى عثمان ـ رضى الله عنه ـ فهو قول بعيد ، وغير صحيح ، فعثمان ـ رضى الله عنه ـ معروف بالكرم والصلاح ، والبذل فى سبيل الله ، فلا يمكن أن يصدر منه ما ذكره بعض المفسرين ، ولهذا قال ابن عطية (١) : وذلك كله ـ أى ما قيل فى عثمان ـ رضى الله عنه ـ عندى باطل ، وعثمان ـ رضى الله عنه ـ منزه عن مثله .

قوله تعالى : " أفرأيت الذى تولى " : يعنى تولى عن الخير وأعرض عن اتباع الحق .

" وأعطى قليلا " : أى أعطى عطاء قليلا أو شيئا قليلا من المسمى

" وأكدى " منع الباقى وقطع ذلك وأمسك عنه مأخوذ من الكدية التى هى الصلابة ، يقال لمن حفر بئرا ثم بلغ فيها الى حجر لا يتهيأ له فيه حفر ، قد أكدى ، ثم استعملته العرب لمن أعطى ، فلم يتم ، ولمن طلب شيئا فلم يبلغ آخره .

وقال الكسائى وأبو زيد : يقال : كديت أصابعه اذا محلت من الحفر ، وكدت يده ، اذا كلت ولم تعمل شيئا ، وكدت الارض ، اذا قل نباتها ، وأكديت الرجل عن الشئ رددته ، وأكدى الرجل ، قل خيره .

---

(١) البحر المحيط ، أبو حيان ٨/١٦٧ .

قوله تعالى : " أعنده علم الغيب فهو يرى " : الاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ ، والفاء سببية (١) للتسبب عما قبله ، والمعنى : أعند هذا المكدى علم بالامور الغيبية ، فهو بسبب ذلك يعلم أن صاحبه يتحمل عنه يوم القيامة ما يخافه .

وقيل فى المعنى : أعند هذا الذى أمسك يده خشية الانفاق ، وقطع معروفه ، أعنده علم الغيب أنه سينفد ما فى يده ، حتى قد أمسك عن معروفه ، فهو يرى ذلك عيانا ، أى ليس الامر كذلك ، وانما أمسك عن الصدقة ، والمعروف ، والبر والصلة ، بخلا وشحا وهلعا (٢) .

قال تعالى : " وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين " (٣).

قوله تعالى : " أم لم ينبأ " : أى لم يخبر ولم يحدث " بما فى صحف موسى " يعنى أسفاره وهى التوراة ، أو صحف قبلها ، وما فى صحف " ابراهيم الذى وفى " .

اختلف فى المراد بقوله : " الذى وفى " :

١) قال سعيد بن جبير والثورى : أى بلغ جميع ما أمر به .

٢) وقال ابن عباس : وفى لله بالبلاغ .

٣) وقال قتادة : وفى طاعة الله وأدى رسالته الى خلقه .

---

(١) روح المعانى للالوسى ٢٧/ ٦٥ .

(٢) ابن كثير ٤/ ٢٥٧ .

(٣) سورة سبأ الاية : ٣٩ .

وهذا القول هو اختيار ابن جرير ، وهو يشمل الذى قبله ، ويشهد له قوله تعالى : " واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما .. " (١). فقام بجميع الاوامر ، وترك جميع النواهى ، وبلغ الرسالة على التمام ، والكمال ، فاستحق بهذا أن يكون للناس اماما يقتدى به فى جميع أحواله وأقواله وافعاله .

قال الله تعالى : " ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين " (٢) .

وعن أبى امامة قال : (تلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الاية : " وابراهيم الذى وفى " قال : أتدرى ما وفى ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : " وفى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار " (٣).

وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى ، انه كان يقول : كلما أصبح وأمسى : " فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ...) الى آخر الاية (٤).

أخرجه ابن أبى حاتم وفى اسناده ابن لهيعة وهو ضعيف (٥).

---

(١) سورة البقرة من الاية : ١٢٤ .
(٢) سورة النحل الاية : ١٢٣ .
(٣) رواه ابن جرير فى تفسيره ٢٧/ ٤٢ .
(٤) سورة الروم الايتان : ١٧ ـ ١٨ .
(٥) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٥٨ ، الفتح ٩/ ١٨١ .

قال في الدر اللقيط[1] : " الذى وفى " : بتبليغ الرسالة والاستقلال بأعبائها ، والصبر على ذبح ولده ، وعلى فراق اسماعيل وأمه ، وعلى نار نمروذ ، وقيامه باكرام أضيافه ، وخدمته اياهم بنفسه ، اذ كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا ، فان وافقه أكرمه والا نوى الصوم ، هذا ولم يذكر متعلق وفى ليتناول كل ما يصلح أن يكون متعلقا له .

وأخرج الحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس قال : سهام الاسلام ثلاثون سهما لم يتمها أحد قبل ابراهيم عليه الصلاة والسلام . قال الله تعالى : " وابراهيم الذى وفى "[2] .

قوله تعالى : " بما في صحف موسى وابراهيم " : خص هذين النبيين عليهما أفضل الصلاة والسلام ، قيل : لان من كان بين نوح وابراهيم كانوا يأخذون الرجل بأبيه وابنه وعمه وخاله ، والزوج بامرأته ، والعبد بسيده ، فأول من خالفهم ابراهيم ، ومن شريعة ابراهيم الى شريعة موسى - عليهما السلام - كانوا لا يأخذون الرجل بجريمة غيره .

---

(١) الدر اللقيط من البحر المحيط لتاج الدين أبى محمد أحمد بن عبد القادر ابن احمد بن مكتوم القيسى الحنفى النحوى ٨/١٦٧ .

(٢) المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم ٢/٤٧٠ ، الدر المنثور ٦/١٢٩ .

القـــــــراءة :

١) قـرأ الجمهـور " وفـى " بتشـديد الفـاء .

٢) قـرأ أبو امامـة الباهـلى ، وسعيد بن جبير ، وأبو مالك الغفـــــارى ، وابن السـميقـع ، وزيد بن على : بتخفيفهـا .

قاعدة المجـــــازاة :

شـرع تـــعالى يبيـن ما كان أوحـاه فى صحـف ابراهيم وموسى فقال : " ألا تـزر وازرة وزر أخـرى " : أى كل نفـس ظلمت نفسها ، بكفـــر ، أو شئ ، من الذنـوب ، فانما عليها وزرهـا لا يحمله عنها أحـد . كمـــا قال تعالى : " وان تـدع مثقلـة الى حملها لا يحمل منه شـئ " (١).

ومن جملة ما فى صحف موسى وابراهيم قوله تعالى : " وان ليس للانسـان الا ما سعى " .

والمعنى : ليس له الا أجـر سعيه ، فكما لا يحمل عليه وزر غيـــره كذلك لا يحـصل من الاجـر الا ما كسب هو لنفسه ، ومن هـذه الاية الكريمـة استنبط الشافعى ومن تبعـه أن القـراءة لا يصـل اهـداء ثوابها الى الموتـى لانه ليس من عملهم ، ولا كسبهم ، ولهذا لم يندب اليه رسول الله ـ صلى اللـــه عليه وسـلم ـ أمتـه ، ولا حثهم عليه ، ولا أرشدهم اليه بنص ، ولا ايماء ، ولم ينقـل ذلك عن أحـد من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ .

---

(١) سـورة فاطـر من الاية : ١٨ .

قال ابن كثير : وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ، ولا يتصرف فيه بأنواع الاقيسة والآراء ، فأما الدعاء والصدقة ، فانه مجمع على وصولهما ، ومنصوص من الشارع عليهما .

أما حديث أبي هريرة في صحيح مسلم : (اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة ، ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعده ، أو علم ينتفع به ، فهذه الثلاثة في الحقيقة من سعيه وعمله وكده ، فالصدقة الجارية فهي كالوقف من آثار عمله .

قال تعالى : " انا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم " (١).

قال في فتح البيان (٢) : وهذا العموم - وأن ليس للانسان الا ما سعى - مخصوص بمثل قوله سبحانه : " والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء " (٣).

ومثل ما ورد في شفاعة الانبياء والملائكة للعباد ، ومشروعية دعاء الاحياء للاموات ، ولم يصب من قال : ان الاية منسوخة بمثل هذه الامور ، لكون الخاص لا ينسخ العام ، وانما يخصصه ، فكل ما قام الدليل على أن الانسان ينتفع به ، وهو من غير سعيه كان مخصصا لما في هذه الاية من العموم (٤).

---

(١) سورة يس الاية : ١٢ .

(٢) فتح البيان ١٨١/٩ - ١٨٢ .

(٣) سورة الطور الاية : ٢١ .

(٤) فتح البيان ١٨٢/٩ .

وقيل : المراد بالانسان فى الاية الكافر ، وعليه فيكون المعنى : ليس له من الخير الا ما عمل هو ، فيثاب عليه فى الدنيا ، بأن يوسع عليه فى رزقه ، ويعافى فى بدنه ، حتى لا يبقى له فى الاخرة خير .

وقيل : هذا من باب العدل ، وأما من باب الفضل ، فجائز أن يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه .

وسأل والى خراسان عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن هذه الاية مع قوله تعالى : " والله يضاعف لمن يشاء " (١) . فقال : ليس له بالعدل الا ما سعى ، وله بالفضل ما شاء الله ، فقبل عبد الله رأس الحسين .

قوله تعالى : " وأن سعيه سوف يرى " : أى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة فى صحيفته وميزانه (من أريته الشئ) وفيه بشارة للمؤمن وذلك أن الله يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ، أو ليرى ملائكته وسائر خلقه ليفتخر العامل به ، وذلك لفرح المسلم ، وحزن الكافر ، فان سعيه يرى للخلق ، ويرى لنفسه .

وقال فى البحر المحيط (٢) : يراه حاضرا يوم القيامة ، ويطلع عليه تشريفا للمحسن ، وتوبيخا للمسئ ، أو من رأى يرى ، كقوله تعالى : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله " (٣) .

---

(١) سورة البقرة من الاية : ٢٦١ .
(٢) أبو حيان . البحر المحيط ١٦٨/٨ .
(٣) سورة التوبة من الاية : ١٠٥ .

قوله تعالى : " ثم يجزاه الجزاء الاوفى " : يقال : جزاه الله بعمله وجزاه على عمله بحذف الجار ، وايصال الفعل •

قال الشاعر :

ان أجز علقمة بن سعد سعيه ∴ لم أجزه ببلاء يوم واحد

فجمع بين اللغتين (الجزاء الاوفى) مصدر مبين للنوع ، والهاء فى يجزاه ضمير السعى ، وهو المجزى عليه ، أى ثم يجزى الانسان سعيه بالجزاء الاوفى ، واذا جاز وصف المجزى به بالاوفى ، جاز وصف الحدث عن الجزاء لملابسته له ، وبعضهم يجعل الجزاء منصوبا (١) • بنزع الخافض (٢) ، ويجوز أن يكون الضمير المنصوب فى يجزاه للجزاء لا للسعى ، والجزاء الاوفى ، عطف بيان ، أو بدل كما فى قوله تعالى : " وأسروا النجوى الذين ظلموا " (٣). فلن يضيع شئ من السعى والعمل ، والكسب ، ولن يغيب شئ عن علم الله ، وميزانه الدقيق ، وسينال كل امرئ جزاء سعيه ، وافيا كاملا ، لا نقص فيه ولا ظلم ، وكذلك يتحدد مبدأ فردية التبعية الى جانب عدالة الجزاء فتتحقق للانسان قيمته الانسانية القائمة على اعتباره مخلوقا راشدا ، مسئولا ، مؤتمنا على نفسه ، كما تتاح له الفرصة للعمل ، وتتحقق له الطمأنينة ، كذلك على عدالة الجزاء

---

(١) القرطبى ١١٥/١٧ •
(٢) تفسير الكشاف ٣٣/٤ •
(٣) سورة الانبياء من الاية : ٣ •

عدالة مطلقة ، لا يميل بها الهوى ، ولا يقصد بها القصور ، ولا ينقص منها الجهل بحقائق الامور .

وقال ابن عطية : والتحرير عندى فى هذه الاية أن ملاك المعنى هو اللام ، من قوله للانسان ، فاذا حققت الذى حق الانسان أن يقول فيه لى كذا ، لم تجده الا سعيه ، وما تم بعد من رحمة بشفاعة ، أو رعاية أب صالح ، أو ابن صالح ، أو تضعيف حسنات ، أو تغمد بفضل ورحمة ، دون هذا كله فليس هو للانسان ، ولا يسعه أن يقول كذا ، وكذا ، لى الا على تجوز والحاق بما هو حقيقة (١).

وقد ذكر فى زاد المسير فى علم التفسير (٢) : الاقوال التالية فى معنى الايـة :

١) أن معنى (ما سعى) : ما نوى . قاله أبو بكر الوراق .

٢) أن اللام بمعنى (على) فتقديره ليس على الانسان الا ما سعى .

٣) أنه ليس له الا سعيه ، غير أن الاسباب مختلفة ، فتارة يكون سعيه فى تحصيل قرابة ، وولد يترحم عليه ، وصديق ، وتارة يسعى فى خدمة الدين والعبادة ، فيكتسب محبة أهل الدين ، فيكون ذلك سببا حصل بسعيه .

---

(١) البحر المحيط المصدر السابق ١٦٨/٨ .

(٢) زاد المسير فى علم التفسير ٨٢/٨ .

" تعليق "

هذا وان الحاصل من كلام العلماء وما دلت عليه السنة المطهرة في الذي يصل للميت ، هو الدعاء ، والصدقة عنه ، وقضاء الدين عنه وكذلك من مات ولم يحج حجة الاسلام ، فانه اذا حج عنه يصح ذلك، أما قراءة القرآن وسائر التطوعات الاخرى ، فالجمهور على أن ثوابها لا يصل الميت .

وروى عن أحمد أن ثواب القراءة يصل الميت ، كما روى ذلك عن بعض أصحاب الشافعي ، وعلى القول القائل بأن ثواب القراءة يصل الظاهر أن ذلك اذا لم تكن القراءة بأجرة ، أما اذا كانت بها كما يفعله بعض الناس اليوم يعطون حملة القرآن أجرا ليقرأوا القرآن لموتاهم ، قال الالوسي (١) : فلا يصل ثوابها اذ لا ثواب لها ليصل لحرمة أخذ الاجرة على قراءة القرآن ، وان لم تحرم على تعلمه ، قال : والاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه اللهم أوصل ثواب ما قرأته الى فلان ، والظاهر أنه اذا قال ذلك ونحوه ، كوهبت ثواب ما قرأته لفلان بقلبه كفى ، وعن بعضهم اشتراط نية النيابة أول القراءة وفي القلب منه شيء .

---

(١) روح المعاني ٢٧/٦٧ ، الخازن وبهامشه البغوي ٦/٢٢٣، الفتوحات الالهية ٤/٢٣٦ - ٢٣٧ .

.. منتهى كل شىء الى الله ..

" وأن الى ربك المنتهى " هذا خطاب للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو تسلية لقلبه أى لا تحزن ، فان المنتهى الى الله ، أو هو خطابه لكل سامع أو عاقل ، فهو تهديد بليغ للمسىء ، وحث شديد للمحسن .

والمعنى : انتهاء الخلق ورجوعهم اليه تعالى لا الى غيره ، استقلالا ولا اشتراكا ، والمراد بذلك رجوعهم اليه يوم القيامة حين يحشرون ، ولهذا قال غير واحد : أى الى حساب ربك ، أو الى ثوابه من الجنة وعقابه من النار .

وقيل المعنى : أنه منتهى الافكار ، فلا تزال الافكار تسير فى بيداء حقائق الاشياء وماهيتها ، والاحاطة بما فيها حتى اذا وجهت الى حرم ذات الله ، وحقائق صفاته تعالى ، وقفت وحرنت وانتهى سيرها ، وروى لا فكرة فى الرب ، واذا ذكر الرب فانتهوا (تفكروا فى الخلق ، ولا تتفكروا فى الخالق ، فانكم لن تقدروه ، الا فى الله فلا تفكروا) (١) .

---

(١) الدر المنثور ١٣٠/٦ ، ابن كثير فى تفسيره ٢٥٩/٤ .

قال القرطبى : ومن هذا المعنى قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ يأتى الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا وكذا ، حتى يقول له : من خلق ربك ، فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ، ولينته ، ولقد أحسن من قال :

ولا تفكرن فى ذى العلا عز وجهه ∴ فانك تردى ان فعلت وتخذل

ودونك مصنوعاته فاعتبر بها ∴ وقل مثل ما قال الخليل المبجل (١)

واذن فلا طريق الا الطريق الذى ينتهى اليه تعالى ، ولا ملجأ من دونه ، ولا مأوى الا داره ، فى نعيم ، أو جحيم ، ولهذه الحقيقة قيمتها ، وأثرها فى تكييف مشاعر الانسان ، وتصوره ، فحين يحس أن المنتهى الى الله ، منتهى كل شىء ، وكل أمر ، وكل أحد ، فانه يستشعر من أول الطريق نهايته التى لا مفر منها ، ولا محيص عنها ، ويصوغ نفسه وعمله وفق هذه الحقيقة ، أو يحاول فى هذا ما يستطيع ، ويظل قلبه ونظره معلقين بتلك النهاية منذ أول الطريق .

* * *

---

(١) القرطبى ٢٧/١١٥ ـ ١١٦ .

" المعنى الاجمالى للآيات "

يقول تعالى : أعلمت شأن هذا الكافر ، وهل بلغك شأنه المجيب ، فقد أشرف على الايمان ، واتباع هدى الرسول — صلى الله عليه وسلم — فوسوس له شيطان من شياطين الانس بأن لا يقبل نصح الناصح ، ويرجع الى دين آبائه ، ويتحمل ما عليه من وزر ، اذا هو أعطاه قليلا من المال ، فقبل ذلك منه ، لكنه ما أعطاه الا قليلا حتى امتنع من اعطائه ، شيئا بعد ذلك ، أفعنده علم بأمور الغيب ، فهو يعلم أن صاحبه يتحمل عنه ما يخاف من أوزاره يوم القيامة ، وقصارى ذلك أخبرنى بأمر هذا الكافر وحاله العجيبة حين حصل عنده أن سواه يحمل عنه آثامه ، وأوزاره ، فى مقابل شىء من المال ، أأنزل على هذا الكافر وحى علم منه أن ما علمه واعتقده صحيح .

ثم أكد هذا الانكار ، فذكر أن الشرائع التى يعرفونها على غير هذا فقال : " أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى " أى لم يخبر بما نصت عليه التوراة ، وما ذكر فى شرائع ابراهيم الذى وفى بما عاهد الله عليه ، وأتم ما أمر به من التزامات ، وأدى الرسالة على الوجه الاكمل ، ونجح فى ما ابتلى به ، كما قال تعالى : " واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما "(١) وتخصيص

---

(١) سورة البقرة من الاية : ١٢٤ .

ابراهيم بهذا الوصف ، لانه تحمل ما لم يتحمل غيره ، وقد خص هذين النبيين ، لكون المشركين كانوا يدعون أنهم على شريعة أبيهم ابراهيم ، وأهل الكتاب يدعون أنهم متبعون ما فى التوراة وصحفها قريبة العهد منهم ، ثم فصل سبحانه ما فى صحف هذين النبيين الكريمين ، فأخبر أن ما فى تلك الصحف أنه لا تحمل نفس عن نفس شيئا ، " كل نفس بما كسبت رهينة " (١) . " وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ " (٢) . فلا ظلم ، كل يؤخذ بجريرته ، كما أنه ليس للانسان الا ما عمل ، فان عمل خيرا كان جزاؤه من جنس عمله ، وان كان شرا كان الجزاء شرا ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .

وقد أخبر سبحانه فى هذه الايات أن هذا الانسان سيعرض عليه عمله يوم القيامة يراه أمامه ماثلا ، فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها " ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا " (٣) . يقال له فى ذلك اليوم : " اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " (٤) . يظهر الله سبحانه وتعالى عمل المحسن أمام الخلائق اكراما له ، كما انه يظهر عمل المسئ اهانة له ، وتحقيرا بشأنه ، وتبكيتا له ، وفى نهاية

---

(١) سورة المدثر الاية : ٣٨ .
(٢) سورة فاطر الاية : ١٨ .
(٣) سورة الكهف الاية : ٤٩ .
(٤) سورة الاسراء الاية : ١٤ .

المطاف يخبر سبحانه وتعالى : أن مرجع الامور كلها اليه سبحانه فى ذلك اليوم ، يوم المعاد ، فهو الذى يحاسب على النقير ، والقطمير [1] ، ويثيب بالجنة ، ويعاقب بالنار ، سبحانه وتعالى ، ولا شك أن فى هذا تهديدا بليغا للمسىء ، وحثا شديدا للمحسن ، وتسلية لقلبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كأنه يقول له : لا تحزن أيها الرسول ، فان المنتهى الى الله كقوله تعالى : " فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون " [2].

* * *

---

(١) النقير : النكتة فى ظهر النواة . القاموس ٢/١٥٢ .
والقطمير : شق النواة أو القشرة التى فيها ، أو القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة . القاموس ٢/١٢٤ .
(٢) سورة يس الاية : ٧٦ .

اعراب بعض الكلمات في هذه الايات :

(أفرأيت) : بمعنى أخبرني ومفعولها الاول الموصول (الذى) ومفعولها الثاني : الجملة الاستفهامية التي هي قوله (أعنده علم الغيب) .

قوله : (ألا تزر وازرة وزر أخرى) : أن هي المخففة من الثقيلة ، وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف ، والجملة المنفية خبرها ، وهي بدل من ما في قوله : " بما في صحف موسى " أو في موضع رفع كأن قائلا ، قال : ما في صحفهما ، فقيل " لا تزر وازرة وزر أخرى " .

(يرى) : في قوله " فهو يرى " : هذه الرؤية هي المتعدية الى مفعولين ، والمفعولان محذوفان ، كأنه قال : فهو يرى الغيب مثل الشهادة

قوله : (وأن ليس للانسان الا ما سعى) : أن هي المخففة ، من الثقيلة كأختها السابقة ، وما مصدرية ، وجوز كونها موصولة ، أى ليس الا سعيه أو الذى سعى (١).

* * *

---

(١) القرطبي ١٧/١١٢ ـ ١١٣ ، الكشاف ز، الزمخشري ٤/٣٢ـ٣٣ .

قال تعالى : " وأنه هـو أضحك وأبكى وأنه هـو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وأن عليه النشأة الاخرى " .

==================================

" التفسير التفصيلي للآيات "

سبب نزول الايات :

أخرج ابن مردوية عن عائشة قالت : مر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على قوم يضحكون ، فقال : لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ، فنزل عليه جبريل فقال : ان الله هو أضحك وأبكى فرجع اليهم فقال : ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال : ائت هؤلاء فقل لهم : ان الله أضحك وأبكى (١).

وأخرج أبو الشيخ في العظمة ، وابن مردوية عن ابن عباس عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : هبط آدم من الجنة بياقوته بيضاء يمسح بها دموعه ، وقال : وبكى آدم على الجنة أربعين عاما ، فقال له جبريل : يا آدم ما يبكيك ان الله بعثني اليك معزيا فضحك آدم ، فذلك قول الله هو أضحك وأبكى ، فضحك آدم وضحكت ذريته وبكى آدم وبكت ذريته .

---

(١) الدر المنثور ١٣٠/٦ ، أسباب النزول للواحدي ١/ ٢٢٧ .

وأخرج ابن أبي شيبة عن جبار الطائي قال : شهدت جنازة أم مصعب ابن الزبير ، وفيها ابن عباس ، فسمعنا أصوات نوائح ، فقلت : يا ابن عباس يصنع وأنت ههنا ؟ فقال : دعنا عنك يا جبار ، فان الله أضحك وأبكى .

قوله تعالى : " أضحك وأبكى " : أضحك أهل الجنة في الجنة بدخولهم اياها ، وأبكى أهل النار في النار ، بدخولها ، وأضحك من شاء من أهل الدنيا ، وأبكى من أراد أن يبكيه منهم (١). وفيه تنبيه على أن جميع الاعمال بقضاء الله وقدره حتى الضحك والبكاء .

وقيل في المعنى : أضحك الارض بالنبات ، وأبكى السماء بالمطر .

وقيل في المعنى : أي هو الخالق لذلك ، والقاضي بسببه .

وقال الحسن والكلبي كقول ابن جرير : أضحك أهل الجنة في الجنة ، وأبكى أهل النار في النار ، - نعوذ بالله من النار - .

ويقول أيضا : أضحك من شاء في الدنيا بأن سره ، وأبكى من شاء بأن غمه ، وهذا على أن كلا من الفعلين حذف مفعوله .

وقال سهل بن عبد الله : أضحك المطيعين بالرحمة ، وأبكى العاصين بالسخط .

---

(١) ابن جرير الطبري في تفسيره ٢٧/٤٤ .

وذكر فى معنى أضحك وأبكى : أى أضحك المؤمنين فى العقبى بالمواهب وأبكاهم فى الدنيا بالنوائب .

وقيل : خلق الفرح والحزن .

وقيل : ان الفعلين من الافعال اللازمة كقوله تعالى : " الله يحيى ويميت " .

قال فى فتح البيان [1] : وهذا يدل على أن ما يعمل الانسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء .

وقال الزمخشرى [2] : خلق قوتى الضحك والبكاء .

قال أحمد بن محمد المنير الاسكندرى المالكى فى كتابه الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، قال أحمد : وخلق أيضا فعلى الضحك والبكاء على قواعد السنة ، وعليه دلت الاية غير متابرة لتحريفه [2] .

قال القرطبى فى تفسير الاية " وأنه هو أضحك وأبكى " : قال : ذهبت الوسائط وبقيت الحقائق لله سبحانه وتعالى ، فلا فاعل الا هو [3] .

وقيل فى المعنى : أضحك المؤمن فى الاخرة ، وأبكاه فى الدنيا .

---

(١) فتح البيان ٩/١٨٥ .
(٢) الكشاف مع كتاب الانتصاف ٤/٣٤ .
(٣) تفسير القرطبى ١٧/١١٦ .

وقال بسام بن عبد الله : أضحك الله أسنانهم ، وأبكى قلوبهم ، وأنشد :

السن تضحك والاحشاء تحترق ∴ وانما ضحكها زور ومختلق

يا رب باك بعين لا دموع لها ∴ ورب ضاحك سن ما به رمق

ويروى أن الله سبحانه وتعالى خص الانسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان .

وذكر القرطبي : أن القرد وحده يضحك ولا يبكى ، وأن الابل تبكى ولا تضحك(١) .

وقال يوسف بن الحسين : سئل طاهر القدسي أتضحك الملائكة ؟ فقال : ما ضحكوا ولا كل من دون العرش منذ خلقت جهنم .

وقال فى تفسير الخازن (٢) فى تأويل الاية " وأنه هو أضحك وأبكى " : أى هو القادر على ايجاد الضدين فى محل واحد ، والضحك والبكاء ، وعن جابر بن سمرة قال : جالست النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية ، وهو ساكت ، وربما تبسم معهم اذا ضحكوا .

---

(١) تفسير القرطبى ١٧/١١٧ .

(٢) الخازن مع حاشيته تفسير البغوى ٦/٢٢٤ .

وقال فى الظلال (١) : من آثار مشيئة الله الضحك والبكاء ، وبعد ما يصل السياق بالقلب البشرى الى نهاية المطاف يكر راجعا به الى الحياة، يريه فيها آثار مشيئة الله فى كل مرحلة وفى كل حال " وأنه هو أضحك وأبكى " اختار هذين الوصفين لانهما أمران لا يعلمان ، فلا يقدر أحد أن يبدى فى اختصاص الانسان بالضحك والبكاء وجها وسببا ، واذا لم يعلل بأمر ولابد له من موجد ، فهو الله تعالى ، بخلاف الصحة ، والسقم ، فانهم يقولون : سببهما اختلاف المزاج ، وخروجه عند الاعتدال .

قال : ويدلك على هذا أنهم اذا ذكروا فى الضحك أمرا له الضحك قالوا قوة التعجب ، وهو فى غاية البطلان ، لان الانسان ربما يبهت عند روية الامور العجيبة ، ولا يضحك ، وقيل قوة الفرح ، وليس كذلك ، لان الانسان يفرح كثيرا ولا يضحك ، والحزين الذى هو فى غاية الحزن قد يغلبه الضحك ، وكذلك الامر فى البكاء .

وتحت هذا النص تكمن حقائق كثيرة (٢) ومن خلاله تنبعث صور ظلال مثيرة " أضحك وأبكى " فأودع هذا الانسان خاصية الضحك ، وخاصية البكاء ، وهما من أسرار التكوين البشرى ، لا يدرى أحد كيف هما ، ولا كيف يقفان فى هذا الجهاز المركب المعقد الذى لا يقل تركيبه ، وتعقيده النفسى عن تركيبه وتعقيده العضوى ، " وأضحك وأبكى " فأنشأ للانسان

---

(١) سيد قطب ٢٦/٣٤١٥ ـ ٣٤١٦ .

(٢) نفس المرجع .

دواعي الضحك ، ودواعي البكاء ، وجعله وفق أسرار معقدة فيه يضحك لهذا ، ويبكي لهذا ، وقد يضحك غدا ، مما أبكاه اليوم ، ويبكي اليوم مما أضحكه بالامس في غير جنون ، ولا ذهول ، انما هي الحالات النفسية المتقلبة ، والموازين والدواعي والدوافع والاعتبارات التي لا تثبت في شعوره على حال (١).

قال : " وأضحك وأبكى " : فجعل في اللحظة الواحدة ضاحكين وباكين ، كل حسب المؤثرات الواقعة عليه ، وقد يضحك فريق مما يبكي منه فريق ، لان وقعه على هؤلاء غير وقعه على أولئك .

" وأضحك وأبكى " من الامر الواحد صاحبه نفسه ، يضحك اليوم من الامر ، ثم تواجهه عاقبته غدا ، أو جرائره ، فاذا هو باك يتمنى أن لم يكن فعل ، وان لم يكن ضحك ، وكم من ضاحك في الدنيا باك في الاخرة حيث لا ينفع البكاء .

هذه الصور والظلال والمشاعر ، والاحوال وغيرها كثير تنبثق من خلال النص القصير ، وتتراءى للحس والشعور ، وتظل حشود منها تنبثق من خلاله كلما تجددت عوامل الضحك والبكاء في النفوس ، وهذا هو الاعجاز في صورة من صوره الكثيرة في هذا القرآن .

---

(١) مفاتيح الغيب للامام الرازي

قوله تعالى : " وأنه هو أمات وأحيا " : أى قضى أسباب الموت والحياة ،

وقيل : خلق الموت والحياة كما قال تعالى : " الذى خلق الموت والحياة " (١).

وقيل : أمات الكافر بالكفر ، وأحيا المؤمن بالايمان .

قال الله تعالى : " أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات " (٢).

قال تعالى : " انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله " (٣).

وقيل : أمات الاباء وأحيا الابناء .

وقيل : يريد بالحياة الخصب ، والموت الجدب .

وقيل : أنام ، وأيقظ .

وقيل : أمات فى الدنيا ، وأحيا للبعث (٤).

وتقدم الضمير فى " هو أمات وأحيا " للحصر ، فلا يقدر على الاماتة والاحياء غيره عز وجل .

---

(١) سورة الملك من الاية : ٢ .

(٢) سورة الانعام من الاية : ١٢٢ .

(٣) سورة الانعام من الاية : ٣٦ .

(٤) القرطبى ، الجامع لاحكام القرآن ١٧ / ١١٧ .

قال الالوسى (١) : والقاتل انما ينقض البنية الانسانية ، ويفرق أجزاءها ، والموت الحاصل بذلك فعل الله تعالى على سبيل العادة فى مثله ، فلا اشكال فى الحصر ، ولقد أحسن من قال :

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا ∴ والناس حولك يضحكون سرورا

فاجهد لنفسك أن تكون اذا بكوا ∴ فى يوم موتك ضاحكا مسرورا

قال فى ظلال القرآن (٢) : الموت والحياة أمران معروفان كل المعرفة ، بوقوعهما المتكرر ، ولكنهما خافيان كل الخفاء ، حين يحاول البشر أن يعرفوا طبيعتهما وسرهما الخافى على الاحياء ، فما الموت ؟ وما الحياة ؟ ما حقيقتهما حين يتجاوز الانسان لفظهما وشكلهما الذى يراه ؟ كيف دبت الحياة فى الكائن الحى ؟ ما هى ؟ ومن أين جاءت ؟ وكيف تلبست بهذا الكائن فكان ؟ وكيف سارت فى طريقها الذى سارت فيه بهذا الكائن أو بهذه الكائنات الاحياء ؟ وما الموت ؟ وكيف كان قبل دبيب الحياة وبعد مفارقتها للاحياء ؟ انه السر الخافى وراء الستر المسبل بيد الله .

قال : وتنبثق ملايين الصور من الموت والحياة فى عوالم الاحياء كلها فى اللحظة ، فى هذه اللحظة كم ملايين الملايين من الاحياء ماتت ، وكم ملايين

---

(١) روح المعانى ٢٧/٦٨ .

(٢) ظلال القرآن ٢٦/٣٤١٦ .

الملايين بدأت رحلة الحياة ، ودب فيها هذا السر من حيث لا نعلم ، ومن حيث لا يعلم أحد الا الله ، حين يستغرق الخيال في استعراض الماضي الطويل ، الذى كان قبل أن يكون الانسان كله على هذا الكوكب ، ويدع ما يعلمه الله في غير هذا الكوكب ، من أنواع الموت والحياة التى لا تخطر على بال الانسان ، يجدها حشودا من الصور ، تطلقها هذه الكلمات القلائل ، فتهز القلب البشرى من أعماقه ، فلا يتمالك نفسه ، ولا يتماسك تحت ايقاعاتها [1].

* * *

---

(١) سيد قطب . فى ظلال القرآن ٣٤١٦/٢٦ .

قال تعالى : " وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى
من نطفة اذا تمنى وأن عليه النشأة الأخرى " .

==================================

" التفسير التفصيلي للآيات "

قوله تعالى : " خلق الزوجين الذكر والانثى " : أى من أولاد آدم ، ولم يرد آدم وحواء ، بأنهما خلقا من نطفة ، والنطفة الماء القليل ، مشتق من نطف الماء اذا قطر .

قوله : (تمنى) : أى تصب في الرحم وتراق .

قال الكلبي والضحاك وعطاء بن أبي رباح : يقال : منى الرجل وأمنى من المنى ، وسميت منى بهذا الاسم لما يمنى فيها من الدماء ، أى يراق .

وقيل : (تمنى) : تقدر . قاله أبو عبيدة ، يقال : منيت الشيء اذا قدرته ، ومنى له أى قدر له . قال الشاعر :

حتى تلاقي ما يمنى لك المانى (١)

---

(١) قائله أبو قلابة الهذلي . وصدره :

ولا تقولن لشيء سوف أفعله

القرطبي ١٧ / ١١٧ .

فهذه الاية ، كقوله تعالى : " أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى " (١).

تنبيه :

فان قيل : ما الحكمة في قوله تعالى : " وأنه خلق " ولم يقل وأنه هو خلق ، كما قال : وأنه هو أضحك وأبكى ،

فالجواب أن الضحك والبكاء ربما يتوهم ، أنهما بفعل الانسان ، وكذا الاماتة والاحياء ، وان كان ذلك التوهم فيهما أبعد ، لكن ربما يقول به جاهل ، كما قال من حاج ابراهيم : " أنا أحيي وأميت " (٢) فأكد ذلك بالفصل ، وأما خلق الذكر والانثى من النطفة فلا يتوهم أحد أنه بفعل أحد من الناس ، فلم يؤكد بالفصل (٣).

وقال في تفسير الخازن (٤) في الاية تنبيه على كمال قدرته ، لان النطفة شيء واحد ، خلق الله منها أعضاء مختلفة ، وطباعا متباينة ، وخلق منها الذكر والانثى ، وهذا من عجيب صنعه ، وكمال قدرته ، ولهذا لم يؤكده

---

(١) سورة القيامة من الاية : ٣٦ ـ ٤٠ .

(٢) سورة البقرة الاية : ٢٥٨ .

(٣) سليمان الجمل على الجلالين ٤ / ٢٣٧ .

(٤) تفسير الخازن ٦/٢٢٤ ، وتفسير غريب القرآن أبو محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة ١ /٤٢٩ .

بقوله : وأنه هو خلق ، لانه لم يدع أحد ايجاد نفسه ، ولا خلقهما ولا خلق غيره ، كما لم يقدر أحد أن يدعي خلق السموات والارض .

قوله تعالى : " وأن عليه النشأة الاخرى " : أى اعادة الارواح الى الاجسام عند البعث وفاء بوعده ، فانه قال : " انا نحن نحيى ونميت "(١) لا بحكم العقل .

وقد قرئ " النشأة بالقصر بوزن الضربة ، وقرئ بالمد ، بوزن الكفالة ، والقراءتان سبعيتان ، وعلى كلتى القراءتين ، فهما مصدران .

قال فى البحر المحيط(٢) : " وأن عليه النشأة الاخرى " : أى اعادة الاجسام أى الحشر بعد البلى ، وجاء بلفظ عليه المشعر بالتحتم لوجود الشئ ، لما كانت هذه النشأة ينكرها الكفار ، بولغ بقوله : " عليه " بوجودها لا محالة .

وقال الزمخشرى(٣) : وقال : عليه : لانها واجبة عليه فى الحكمة ليجازى على الاحسان ، والاساءة ، ولا يخفى أن هذا على طريق الاعتزال ، وهو باطل عند أهل السنة ، فالله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شئ .

---

(١) سورة ق الاية : ٤٣ .
(٢) أبو حيان ١٦٨/٨ .
(٣) الكشاف مع كتاب الانتصاف ٣٤/٤ .

فلا صلاح واجب أو أصلح ∴ هذا الذي دان من أفلح (١)

قال أحمد في تعليقه على الكشاف (٢) : هذا من فساد اعتقاد المعتزلة الذي يسمونه مراعاة للصلاح والحكمة ، وأي فساد أعظم مما يؤدي الى اعتقاد الايجاب على رب الارباب ، تعالى الله عن ذلك .

قال : والذي حملت عليه لفظة (عليه) غير هذا المعنى ، وهو أن المراد أن أمر النشأة الاخرى ، يدور على قدرته عز وجل وارادته ، كما يقال : دارت قضية فلان على يدي ، وقول المحدثين : على يدي دار الحديث ، أي هو الاصل فيه والسند .

ولنترك المجال للسيد قطب (٣) ليتحدث لنا عن معنى هذه الاية حيث أبدع في ذلك ، فالى كلامه :

قال : افراز بعد تدبير الله يصير انسانا " وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى " فهي الحقيقة الهائلة الواقعة المتكررة في كل لحظة ، فينساها الانسان لتكرارها ، أمام عينيه ، وهي أعجب من كل عجيبة ، تبدعها شطحات الخيال ، نطفة تمنى ، تراق ، افراز من افرازات هذا الجسد الانساني الكثيرة كالعرق ، والدمع ، والمخاط ، فاذا هي

---

(١) البيت لاحمد المقري من منظومته الإضاءة .

(٢) هو أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي في كتابه الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال .

(٣) في ظلال القرآن ٢٧/ ٣٤١٦ ـ ٣٤١٧ .

بعد فترة مقدورة فى تدبير الله ، اذا هى ماذا ؟ اذا هى انسان ، واذا هذا الانسان ذكر وأنثى كيف ؟ كيف تمت هذه المعجزة التى لم تكن ـ لولا وقوعها ـ تخطر على الخيال ، وأين كان هذا الانسان المركب الشديد التركيب ، المعقد ، الشديد التعقيد ، أين كان كامنا فى النقطة المراقة من تلك النطفة ، بل فى واحد من ملايين من أجزائها الكثيرة ، أين كان كامنا بعظمته ولحمه ، وجلده ، وعروقه ، وشعره ، وأظافره ، وسماته وشياته ، وملامحه ، وخلائقه ، وطباعه ، واستعداداته ، أين كان فى هذه الخلية الميكروسكوبيه السابحة هى وملايين من أمثالها فى النقطة الواحدة من تلك النطفة التى تمنى ، وأين على وجه التخصيص كانت خصائص الذكر ، وخصائص الانثى فى تلك الخلية تلك التى انبثت ، وأعلنت عن نفسها فى نهاية المطاف ، وأى قلب بشرى يقف أمام هذه الحقيقة الهائلة المعجبة ، ثم يتمالك ، أو يتماسك فضلا على أن يجحد ويتبجح ويقول : انها وقعت هكذا والسلام ، وسارت فى طريقها هكذا والسلام واهتدت الى خطها المرسوم هكذا والسلام ، أو يتعالم ، فيقول : انها سارت هذه السيرة بحكم ما ركب فيها من استعداد لاعادة نوعها ، شأنها شأن سائر الاحياء ، المزودة بهذا الاستعداد ، فهذا التفسير يحتاج بدوره الى تفسير ، فمن ذا أودعها الرغبة الكامنة فى حفظ نوعها باعادته مرة أخرى ، ومن ذا أودعها القدرة على اعادته ، وهى ضعيفة ضئيلة ، ومن ذا رسم لها الطريق لتسير فيه على هدى ، وتحقق هذه الرغبة ، ومن

ذا أودع فيها خصائص نوعها ، وما رغبتها هي ، وما مصلحتها في اعادة نوعها بهذه الخصائص ، لولا أن هناك ارادة مدبرة من ورائها تريد أمرا وتقدر عليه ، وترسم له الطريق .

ثم قال : ومن النشأة الاولى وهي واقعة مكررة ، لا ينكرها منكر يتجه مباشرة الى النشأة الاخرى " وأن عليه النشأة الاخرى " ، والنشأة الاخرى غيب ، ولكن عليه من النشأة الاولى دليل ، دليل على امكان الوقوع فالذى "خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى " قادر ـ ولا شك ـ على اعادة الخلق من عظام ورفات ، فليس العظام والرفات بأهون من الماء المراق ، ودليل على حكمة الوقوع ، فهذا التدبير الخفى الذى يقود الخلية الحية الصغيرة فى طريقها الطويل الشاق حتى تكون ذكرا أو أنثى ، هذا التدبير لابد أن يكون مداه أبعد من رحلة الارض التى لا يتم فيها شىء كامل ، ولا يجد المحسن جزاء احسانه كاملا ، ولا المسىء جزاء اساءته كاملا كذلك ، لان فى حسابه هذا التدبير نشأة أخرى يبلغ فيها كل شىء تمامه ، فدلالة النشأة الاولى على النشأة الاخرى مزدوجة .

ويرى الرازى (١) : أن المراد بالنشأة الاخرى نفخ الروح الانسانية فيه ، واليه الاشارة بقوله تعالى : " فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر " (٢) غير خلق النطفة علقة ، والعلقة مضغة ، والمضغة عظاما ، وبهذا الخلق الاخير

---

(١) الرازى ، التفسير الكبير ٧/

(٢) سورة المؤمنون الاية : ١٤ .

يتميز الانسان عن أنواع الحيوانات ، فجعل نفخ الروح نشأة أخرى ، كما جعله هنالك انشاء آخر .

واستدل الرازى لما ذهب اليه فقال : والذى أوجب القول بهذا هو أن قوله تعالى : " وأن الى ربك المنتهى " عند الاكثرين لبيان الاعادة ، وكذا قوله تعالى : " ثم يجزاه الجزاء الاوفى " فيكون ذكر النشأة الاخرى على معنى البعث اعادة فى الكلام وتكرارا له ، ولانه تعالى قال بعد هذا : " وأنه هو أغنى وأقنى " وهذا من أحوال الدنيا ، وعلى هذا يكون الترتيب فى غاية الحسن ، فكأنه تعالى يقول : خلق الله الذكر والانثى ونفخ فيه الروح الانسانية ، ثم أغناه بلبن الأم ونفقة الاب فى صغره ، ثم أغناه بالكسب بعد كبره ، أ هـ . من الفخر الرازى .

* * *

" المعنى الاجمالى للآيات "

أخبر سبحانه وتعالى فى هذه الآيات أنه هو الذى خلق الضحك والبكاء فى هذا الكائن الحى ، جعله قادرا على الضحك والبكاء ، يضحكه اذا شاء مما فيه مسرة له ، كما أنه سبحانه وتعالى يبكيه وهو القادر على ذلك ، يضحك أهل السعادة فى الدنيا والاخرة ، ويبكى أهل الشقاء فى الدنيا والاخرة ، بل من كمال قدرته وعظيم حكمته أنه قد يضحك الانسان نفسه من عمل يرضاه ، ويفرح به أول الامر ، ثم انه سبحانه وتعالى قد يبكيه من الامر نفسه الذى أضحكه منه فى نهاية المطاف ، فسبحان القادر على ذلك ، كما أنه سبحانه هو المتفرد بخلق الموت والحياة ، لا يشاركه فى خلقهما أحد .

كما قال تعالى : " تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور " .

كما أنه جلت قدرته هو الذى خلق الزوجين ، الذكر والانثى وخلقهما سبحانه وتعالى من تلك النقطة من النطفة حين تراق فى الرحم ، كما أنه خلق آدم وحواء من غير نطفة ، سبحانه من مبدع " انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون " (١) .

---

(١) سورة يس الايتان : ٨٢ ـ ٨٣ .

فكما أنه سبحانه وتعالى هو الذى أوجد هذا الانسان من العدم ، فقد وعد أنه ينشئه ، ويحييه بعد الموت ، والله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده ، ولا شك أن من كان قادرا على الابداع ، وأبدع ، فالاعادة بالنسبة اليه أهون .

والادلة من القرآن والسنة طافحة بذلك ، قال سبحانه وتعالى : " أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى تمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحى الموتى " (١) .

وقال تعالى : " أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه " (٢) .

وقال تعالى : " وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحى الموتى وأنه على كل شيء قدير ، وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور " (٣) .

قال تعالى : وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعرى وأنه أهلك عاد الاولى وثمودا فما أبقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى فبأى آلاء ربك تتمارى" .

---

(١) سورة القيامة الايتان : ٣٨ ـ ٤٠ .
(٢) سورة القيامة الاية : ٤ .
(٣) سورة الحج الاية : ٥ ـ ٧ .

" التفسير التفصيلي للآيات "

قوله تعالى : (وأنه هو أغنى) فيه خلاف وهناك أربعة أقوال في المراد بالمعنى ، من أشهر ما قيل في ذلك :

١) أغنى بالكفاية . قاله ابن عباس .

٢) أغنى بالمعيشة . قاله الضحاك .

٣) أغنى بالاموال . قاله أبو صالح .

٤) أغنى بالقناعة . قاله سفيان .

أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى : " وأنه هو أغنى وأقنى " قال : أعطى وأرضى .

وأخرج الطستي في مسائله عن ابن عباس أن نافع بن الازرق سأله عن قوله تعالى : " أغنى وأقنى " قال : أغنى من الفقر ، وأقنى من الغنى فقنع به .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم . أما سمعت قول عنترة العبسي :

فأقني حياءك لا أبالك واعلمي .:. اني امرؤ سأموت ان لم أقتل

وأخرج عبد بن حميد عن أبي صالح في قوله تعالى : " أغنى وأقنى " قال : أغنى بالمال ، وأقنى من القنية .

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن الحضرمي في قوله تعالى : " وأنه هو أغنى وأقنى " قال : أغنى نفسه وأفقر الخلائق اليه (١).

قال القرطبي (٢) : قال ابن زيد : أغنى من شاء ، وأفقر من شاء ، ثم قرأ : " يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له " (٣).
وقرأ : " يقبض ويبسط " (٤). واختار هذا القول الطبري في تفسيره .

قال الجوهري : قنى الرجل يقتني قنى ، مثل غنى يغنى غنى ، وأقناه الله ، أي أعطاه الله ما يقتني من القنية ، والنشب ، وأقناه الله أي رضاه .

قال : وتقول العرب : من أعطى مائة من الابل ، فقد أعطى المنى ، ومن أعطى مائة من الضأن ، فقد أعطى الغنى ، ومن أعطى مائة من المعز فقد أعطى القنى .

قال في تفسير سليمان الجمل (٥) : ثم فعل أقنى ، يتعدى بتغيير الحركة ، فيقال : قنيت له مالا كسبته ، وهو نظير شترت عينه بالكسر ، وشترها الله - بالفتح - فاذا دخلت عليها الهمزة والتضعيف اكسبت مفعولا ثانيا ،

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦ / ١٣٠ - ١٣١ ،
وابن جرير الطبري في تفسيره ٢٦/٤٤-٤٥ .
(٢) القرطبي ١٧/١١٨-١١٩ .
(٣) سورة العنكبوت الاية : ٦٢ .
(٤) سورة البقرة الاية : ٢٤٥ .
(٥) سليمان الجمل على الجلالين ٤/٢٢٨ .

فيقال : أقناه الله مالا وقناه اياه ، أى أكسبه اياه . قال : وحذف مفعولى أغنى وأقنى ، لان المراد نسبة هذين الفعلين اليه وحده ، وألف أقنى منقلبة عن ياء لكونها من القنية ، وبالجملة فكل ما دفع الله به الحاجة فهو اغناء ، وكل ما زاد عليه فهو اقناء .

وعليه فالمعنى : أغنى من عباده من شاء فى الدنيا بأنواع الغنى ، وهى شتى ، غنى المال ، وغنى الصحة ، وغنى الذرية ، وغنى النفس ، وغنى الفكر ، وغنى الصلة بالله ، والزاد الذى ليس مثله زاد ، وأغنى من عباده من شاء فى الاخرة من غنى الاخرة ، وأقنى من شاء من عباده من كل ما يقتنى فى الدنيا كذلك وفى الاخرة ، والخلق فقراء محلون لا يقتنون الا من خزائن الله ، فهو الذى أغنى وهو الذى أقنى[1].

قال سيد قطب : وهذه لمسة من واقع ما يعرفون مما تتعلق به انظارهم وقلوبهم هنا وهناك ، ليتطلعوا الى المصدر الوحيد ، ويتجهوا الى الخزائن العامرة وحدها ، وغيرها خواء .

قوله تعالى : " وأنه هو رب الشعرى " : الشعرى كوكب من الكواكب يطلع خلف الجوزاء فى شدة الحر .

والمراد هنا الشعرى التى يقال لها العبور ، وهى أشد ضياء من الشعرى التى يقال لها الغميصاء ، وانما ذكر سبحانه أنه هو رب الشعرى مع كونه ربا لكل

---

(١) فى ظلال القرآن ٢٧/٣٤١٧ .

الاشياء للرد على من كان يعبدها ، وأول من عبدها أبو كبشة ، وكان من أشراف العرب ، علل عبادته لها ، بأن النجوم تقطع السماء عرضا ، والشعرى تقطعها طولا ، فهي مخالفة للنجوم ، فعبدها ، وعبدتها خزاعة وحمير ، وقد كانت قريش تقول للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابن أبى كبشة تشبيها له به لمخالفة دينهم ، كما خالفهم أبو كبشة ، ومنه قول أبى سفيان عند دخوله على هرقل لقد أمر [1] أمر ابن أبى كبشة .

وفى ابن كثير [2] هو هذا النجم الوقاد الذى يقال له مرزم الجوزاء ، كان طائفة من العرب يعبدونه .

وفى لباب التأويل فى معنى التنزيل [3] : هما اثنتان يمانية وشامية ، يقال لاحداهما العبور ، والاخرى الغميصاء ، سميت بذلك لانها أخفى من العبور ، والمجرة بينهما .

قال فى روح المعانى [4] : وانما قيل لها الغميصاء لانها بكت من فراق سهيل ، فغمصت عينها ، والغمص ما سال من الرمص ، وهو وسخ أبيض يجتمع فى الموق [5].

---

(١) أمر ، كفرح كثر وتم . القاموس ١/٣٧٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٢٥٩ ، والدر المنثور ٦/١٣١ ، وابن جرير ، والقرطبى ١٧/١١٩ .

(٣) تفسير الخازن ٦/٢٢٥ .

(٤) الالوسى ٢٧/٦٩ .

(٥) القاموس ٢/٣١٧ـ٣٢٢ .

وذكر في القاموس من أحاديثهم أن الشعرى العبور قطعت المجرة فسميت عبورا ، وبكت الاخرى على اثرها حتى غمصت ، ويقال لها الغموص أيضا ، وقيل : زعموا أن سهيلا و (الشعرى) كانا زوجين فانحدر سهيل وصار يمانيا فأتبعه الشعرى فعبرت المجرة فسميت العبور ، وأقامت الغميصاء ، فسميت بذلك لانها دون الاولى ضياء ، وكل ذلك من تخيلاتهم الكاذبة التي لا حقيقة لها ، والذي يتبادر عند الاطلاق ، وعدم الوصف العبور ، لانها أكبر جرما ، وأكثر ضياء .

قال في روح المعاني : ومن العرب من كان يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم ، ففي قوله سبحانه " وأنه هو رب الشعرى " اشارة الى نفي تأثيرها .

قال القرطبي (١) : وقد كان من لا يعبد الشعرى من العرب يعظمها ، ويعتقد تأثيرها في العالم .

قال في الظلال (٢) : وحاصل القول أن الشعرى نجم أثقل من الشمس بعشرين مرة ، ونوره خمسون ضعف نور الشمس ، وهي أبعد من الشمس بمليون ضعف بعد الشمس عنا ، وكان هناك من يرصده كنجم ، ذي شأن ، فتقرير أن الله هو رب الشعرى له مكانة في السورة التي تبدأ بالقسم بالنجم اذا هوى ، وتتحدث عن الرحلة الى الملأ الاعلى ، كما تستهدف تقرير عقيدة التوحيد ،

---

(١) القرطبي ١١٩/١٧ .

(٢) في ظلال القرآن ٣٤١٨/٢٧ .

ونفى عقيدة الشرك الواهية المتهافتة ، وبهذا تنتهى تلك الجولة الجديدة في الانفس ، والافاق ، لتبدأ بعدها جولة فى مصارع الغابرين ، بعدما جاءتهم النذر فكذبوبها كما يكذب المشركون ، وهى جولة مع قدرة الله ومشيئته ، وآثارها فى الامم قبلهم واحده واحدة .

قوله تعالى : " وأنه أهلك عاد الاولى "(١) وصف عادا بالاولى لكونهم كانوا من قبل ثمود .

قال ابن زيد : قيل لهما عاد الاولى لانهم أول أمة أهلكت بعد نوح .

وقال ابن اسحاق : هما عادان ، فالاولى أهلكت بالصرصر ، والاخرى بالصيحة ، وقيل عاد الاولى قوم هود ، أهلكوا بريح صرصر ، وعاد الاخرى ارم بن عوض بن سام بن نوح ، والمعنى متقارب .

وقيل : ان عادا الاخرة الجبارون ، وهم قوم هود .

وفى الطبرى : وصفت بالاولى ، لان عادا الاخرة كانت بمكة مع العماليق (٢).

---

(١) قال فى الدر المنثور ٦/١٣١ عن ابن جريج فى قوله : وأنه أهلك عاد الاولى قال : كانت الاخرى بحضرموت .

(٢) القرطبى ١٢٠/١٧ .

القـــــراءة :

١) قـرأ الجمهـور : " عـادا الاولى " ببيان التنويـن والهمز .

٢) وقـرأ نافع وابن محيصن وأبو عمرو " عـادا " الاولى " بنقل حركـــة الهمـزة الى اللام ، وادغـام التنوين فيها .

٣) قالون والسوسى يظهران الهمـزة الساكنة ، وقلبها الباقون واوا علـــى أصلها .

قال القرطبـــى : وفى حرف أبى عـاد غير مصروف للعلمية ، والتأنيث ومن صرفـه فباعتبـار الحـى ، أو عامله معاملة هـند لكونه ثلاثيا ساكــن الوســط(١).

وقال الزجاج : " وفى الاولى " لغات أجودهـا سكون اللام ، واثبــات الهمـزة ، وقدمت أنها قراءة الجمهور ، والتى تليها فى الجودة ضم الـــلام وطرح الهمـزة ، وهـذه قـراءة نافع ومـن معـه(٢).

قوله تعالى : (وثمـود فما أبقـى) يعنى وأهلك ثمود كما أهلك عـادا فما أبقى أحـدا من الفريقيـن ، وثمود هـم قوم صالح - عليه السلام - أهلكـوا بالصيحـــة .

---

(١) القرطبـــــى ١٧ / ١٢٠ ، زاد المسير فى علم التفسير ٨٤/٨ ، روح المعانـــى ٧٠/٢٧ .

(٢) زاد المسير فى علم التفسـير ٨٥/٨ .

القـــــــراءة :

١) قــرأ الجمهـــور : وثمــودا مصــروفا •

٢) وقرأه غيــر مصروف عــاصم والحســن وعصــمة [١].

قال فى البحر [٢] : فما أبقى الظاهــر أن متعلق أبقى يرجــع الـــى عــاد وثمود معـــا ، أى فما أبقى عليهم أى أخذ هـــم بذ نوبهم •

وقيل : فما أبقى : أى فما أبقى منهم عينا تطرف •

وقال ذلك الحجاج بن يوسف حين قيل له : ان ثقيفا من نسل ثمـــــود فقال : قال الله تعالى : " وثمــود فما أبقـــى " وهـــؤلاء يقولــون بقيت منهـــم بقيـــــة •

والظاهــر القول الاول : لان ثمود كان قد آمن منهم جماعة بصالح ـ عليــه السلام ـ فما أهلكهم الله مع الذين كفروا به •

قوله تعالى : " وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى " [٣] وقـــوم نوح معطوف على قوله : " وأنه أهــلك عــاد الاولى " أى وأهلك قوم نوح ، ولـــم

---

(١) البحـــر المحيـــط ، أبو حيان ١٦٩/٨ •

(٢) البحـــر المحيـــط ، أبو حيان ١٦٩/٨ •

(٣) أخرج ابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال : لم يكن قبيل من الناس هـــم أظلم وأطغـــى من قوم نوح دعاهـــم ألف ســـنة الا خمسين عاما ، كلما هلـــك قـــرن ، نشأ قرن دعاهـــم حتى ان الرجـــل كان يأخـــذ بيد أخيه أو ابنـــه فيمشي اليه فيقول : يا بنى ان أبى قد مشى بى الى هذا وأنا مثلك يومئـــذ تتابعـا فى الضلالـــة ١٣١/٦ •

يبين هنا فى هذه الاية كيفية اهلاكهم ، ولكنه بين ذلك فى مواضع أخرى من كتابه العزيز كقوله تعالى : " وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية " (١).

وكقوله تعالى : " فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون " (٢).

وكقوله تعالى : " ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين " (٣).

وكقوله تعالى : " مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا " (٤).

وكقوله تعالى : " ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون " (٥).

والايات بمثل هذا كثيرة ، وما تضمنته هذه الاية الكريمة من كون قوم نوح أظلم وأطغى ، أى أشد ظلما وطغيانا من غيرهم ، من جميع الفرق الكافرة ، أو أظلم وأطغى من مشركى العرب ، انما كانوا كذلك لانهم عتوا على الله بالمعاصى مع طول مدة دعوة نوح لهم .

---

(١) سورة الفرقان الاية : ٣٧ .

(٢) سورة العنكبوت الاية : ١٤ .

(٣) سورة الانبياء الاية : ٧٧ .

(٤) سورة نوح الاية : ٢٥ .

(٥) سورة المؤمنون الاية : ٢٧ .

وقيل : لانهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك ، ويغشى عليه ، فاذا أفاق قال: رب اغفر لقومي ، فانهم لا يعلمون ، وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه .

قال في أضواء البيان (١) : قد بين الله تعالى كونهم أظلم وأطغى في قوله تعالى : " قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاءي الا فرارا " (٢).

وقال تعالى : " قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا " (٣).

وقال تعالى : " انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا " (٤).

قال تعالى : " ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه " (٥).

قال : ومن أعظم الادلة على ذلك قوله تعالى : " فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما " (٦) لان قوما لم يتأثروا بدعوة نبي كريم ناصح في هذا الزمن الطويل لا شك أنهم أظلم الناس وأطغاهم .

---

(١) أضواء البيان ٧١٣/٧ ، وفتح البيان ١٨٧/٩ .
(٢) سورة نوح الايتان : ٥ ـ ٦ .
(٣) سورة نوح الاية : ٢١ .
(٤) سورة نوح الاية : ٢٧ .
(٥) سورة هود الاية : ٣٨ .
(٦) سورة العنكبوت الاية : ١٤ .

وقال القرطبي (١) : عند تفسير قوله تعالى : " انهم كانوا هم أظلم وأطغى " قال : وذلك لطول مدة نوح فيهم حتى كان الرجل فيهم يأخذ بيد ابنه ، فينطلق الى نوح - عليه السلام - فيقول : احذر هذا فانه كذاب ، وان أبي قد مشى بي الى هذا ، وقال لي مثل ما قلت لك ، فيموت الكبير على الكفر ، وينشأ الصغير على وصية أبيه .

وقيل : ان الكناية ترجع الى كل من ذكر من عاد ، وثمود ، وقوم نوح ، أي كانوا أكفر من مشركي العرب ، وأطغى ، فيكون في هذا تسلية وتعزية للنبي - صلى الله عليه وسلم - فكأنه يقول له : فاصبر أنت أيضا فالعاقبة الحميدة لك .

قال في البحر المحيط (٢) : (هم) في قوله تعالى : " انهم كانوا " " هم " يجوز أن يكون تأكيدا للضمير المنصوب ، ويجوز أن يكون فصلا لانه واقع بين معرفة ، وأفعل التفضيل ، وحذف المفضول بعد الواقع خبرا لكان ، لانه جار مجرى خبر المبتدأ ، وحذفه فصيح فيه ، فكذلك في خبر كان .

قال في التفسير الكبير (٣) : أما كون قوم نوح أظلم ، فلانهم هم البادئون به المتقدمون فيه ، والبادى أظلم ، وأما كونهم أطغى ، فلانهم سمعوا المواعظ وطال عليهم الامد ، ولم يرتدعوا حتى دعا عليهم نبيهم .

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ١٧ / ١٢٠ .
(٢) البحر المحيط ٨ / ١٧٠ .
(٣) تفسير الفخر الرازي ، وفي الهامش تفسير أبي السعود ٧ / ٧٤٥ .

قال: ولا يدعو نبي على قومه الا بعد الاصرار العظيم ، والظالم واضع الشيء في غير موضعه ، والطاغي المجاوز الحد ، فالطاغي أدخل في الظلم .

قال الرازي (١) : وهناك سؤال ، وهو أن قوله تعالى : " وقوم نوح " المقصود منه تخويف الظالم بالهلاك ، فاذا قال : هم كانوا في غاية الظلم والطغيان فأهلكوا ، يقول الظالم : هم كانوا أظلم فأهلكوا لمبالغتهم في الظلم ، ونحن ما بالغنا فلا نهلك ، وأما لو قالوا : أهلكوا لانهم ظلمة لخاف كل ظالم ، فما السر في قوله " أظلم " ؟

ويجاب : بأن المقصود بيان شدتهم ، وقوة أجسامهم ، فانهم لم يقدموا على الظلم والطغيان الشديد الا بتماديهم ، وطول أعمارهم ، ومع ذلك ما نجا أحد منهم ، فما حال من هو دونهم في العمر والقوة ، فهو كقوله تعالى : " أشد منهم " (٢).

قوله تعالى : " والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى " : المؤتفكة مفعول مقدم ، والائتفاك الانقلاب ، والمؤتفكة مدائن قوم لوط عليه السلام ، وسميت المؤتفكة لانها انقلبت بهم ، وصار عاليها سافلها ، تقول : أفكته اذا قلبته .

---

(١) التفسير الكبير والحاشية تفسير أبي السعود ٧/٧٤٦ .
(٢) سورة ق من الاية : ٣٦ .

قال فى القاموس(١) : وائتفكت البلدة انقلبت ، ومعنى (أهوى) أى أسقط ، أى أهواها جبريل الى الارض ، بعد أن رفعها الى السماء مقلوبة الى الارض .

قال المبرد : جعلها تهوى ، فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل .

قال تعالى : " فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد "(٢).

وقال تعالى :"وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين "(٣).

قال قتادة : كان فى مدائن لوط أربعة آلاف ألف انسان ، فانضرم عليهم الوادى شيئا من نار .

قوله تعالى : " فغشاها ما غشى " : أى ألبسها من الحجارة التى وقعت عليها ، وفى هذه الاية تهويل للامر الذى غشاها به ، وتعظيم له .

وقيل : ان الضمير راجع الى جميع الامم المذكورة ، أى فغشاها من العذاب ما غشى على اختلاف أنواعه .

---

(١) القاموس ٣٠٢/٣ .

(٢) سورة هود الايتان : ٨٢ ـ ٨٣ .

(٣) سورة النمل الاية : ٥٨ .

قال فى روح المعانى (١) : والتضعيف فى غشاهـا :

١) يحتمل أن يكون للتعديـة ، فيكون (ما) مفعولا ثانيا ، والفاعل ضميره تعالى .

٢) ويحتمل أن يكون للتكثير والمبالغة ، فتكون (ما) هى الفاعل .

تنبيـه :

قال فى الفخر الرازى (٢) : ما الحكمة فى اختصاص المؤتفكة باسم الموضع فى الذكر ؟ وقال فى عاد ، وثمود ، وقوم نوح ، اسم القوم ، قال : والجواب من وجهين :

١) الوجه الاول : أن ثمود اسم الموضع ، فذكر عادا باسم القوم ، وثمود باسم الموضع ، وقوم نوح باسم القوم ، والمؤتفكة باسم الموضع ، ليعلم أن القوم لا يمكنهم صون أماكنهم عن عذاب الله تعالى ، ولا الموضع يحصن القوم عنه ، فان فى العادة تارة يقوى الساكن ، فيذب عن مسكنه ، وأخرى يقوى المسكن ، فيرد عن ساكنه ، وعذاب الله لا يمنعه مانع ، وهذا المعنى حصل للمؤمنين فى آيتين :

١ — قوله تعالى : " وكف أيدى الناس عنكم " (٣).

٢ — قوله تعالى : " وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله " (٤).

---

(١) الالوسى ٧١/٢٧ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ٧٤٥/٧ .

(٣) سورة الفتح الايـة : ٢٠ .

(٤) سورة الحشر الايـة : ٢ .

ففى الاول لم يقدر الساكن على حفظ مسكنه ، وفى الثانى لم يقو الحصن على حفظ الساكن .

٢) الوجه الثانى : هو أن عادا وثمود ، وقوم نوح ، كان أمرهم متقدما وأماكنهم كانت قد دثرت ، ولكن أمرهم كان مشهورا متواترا ، وقوم لوط كانت مساكنهم آثار الانقلاب فيها ظاهرة ، فذكر الاظهر من الامرين فى كل قوم (١) .

قوله تعالى : " فبأى آلاء ربك تتمارى " : الآلاء : جمع النعم ، ومفردها الى ، وألى - بالفتح وبكسر - (٢) ، هذا خطاب للانسان المكذب ، أى فبأى نعم ربك الدالة على وحدانيته وقدرته أيها الانسان المكذب تشكك وتمترى .

وقيل الخطاب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - تعريضا لغيره ، وعليه فيكون من باب الالهاب والتهييج ، والتعريض بالغير (٣) .

وعن ابن عباس أن المراد الوليد بن المغيرة .

وقيل : لكل من يصلح له .

قال ابن عادل : الصحيح العموم لقوله تعالى : " يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم " (٤) .

---

(١) التفسير الكبير ٧٤٦/٧ .

(٢) مختار الصحاح ٢٣/١ .

(٣) فتح البيان ١٨٧/٩ .

(٤) سورة الانفطار الاية : ٦ .

وقوله تعالى : " وكان الانسان أكثر شيء جدلا " (١).

قيل : أسند فعل التمارى الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه ، وهو الالاء المتمارى فيها .

قال بعض العلماء : لا حاجة الى هذا التكلف ، لان التفاعل مجرد عن التعدد فى الفاعل ، والفعل للمبالغة فى الفعل ، وقد سمى هذه الامور المذكورة آلاء ، مع كون بعضها نقما ، لكون النقم مشتملة على المواعظ والاعتبار ، مع أن فيها انتقاما من العصاة ، وذلك فيه نصرة الانبياء والصالحين .

القـــراءة :

١) تتمارى بدون ادغام وبتاءين : وهى قراءة الاكثرين .

٢) وقرأ يعقوب وابن محيصن : تمارى بتاء واحدة مشددة (٢).

* * *

(١) سورة الكهف الاية : ٥٤ .

(٢) البحر المحيط ٨/١٧٠ ، القرطبى ١٧/١٢١ .

" المعنى الاجمالي للآيات "

أخبر سبحانه في هذه الايات أنه هو الذى يغني من يشاء ويسعده سواء كان في الدنيا ، أم في الاخرة ، كما أنه هو الذى يفقر من يشاء ، ولما كان بعض العباد من أهل الجاهلية يعبد ويعظم ذلك الكوكب المسمى بالشعرى ، أخبر أنه هو ربه ، فكيف يعبدون ما هو مربوب ، فالمخلوق محتاج الى الخالق ، ومربوب له ، فكيف يجعل ربا ، وهذا مما يدل على ضعف عقولهم ، ويدل على أن الهداية بيد الله وحده ، والا فكيف يستسيغ عاقل أن يعبد كوكبا يراه يتغير من حال الى حال .

ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه قد أهلك أمما كانت أشد عتوا وعنادا أهلك عادا الاولى ، كما أهلك ثمود ، فما أبقى أحدا من هاتين الامتين ، كما أفاد سبحانه أنه أهلك قبل هاتين قوم نوح ، وأن قوم نوح كانوا أشد ظلما وطغيانا ممن كان قبلهم ، لما كان فيهم من العناد ، والمكابرة ، فقد لبث فيهم نبيهم نوح على نبينا وعليه السلام ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم فلم يزدادوا الا عتوا ونفارا ، وكانوا يضربونه حتى يتركوه ميتا لا حراك به ، فلم ينثن عن الدعوة ، وكانوا يسخرون منه ، فلما يئس منهم ، دعا عليهم ، فأغرقوا .

كما أن من تلك الامم الماضية التي بقيت درسا لمن يعتبر ، أمة لوط ، فانه أخبر أنه أفكها فانقلبت رأسا على عقب .

قال تعالى : " فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل "(١) فأصابها من العذاب ما أصابها ، فبأى نعم ربك أيها الانسان المغرور الجاهل تشكك وتمترى ، فكل ما ذكر اما نعمة أو نقمة ، يحصل منها الاعتبار والاهمة ، وفى ضمن ذلك نعمة ، فكم لله من نعم ، فى طى نقم ، سبحانه وتعالى ما أكرمه من رب ، وما أحلمه ، فهو حرى بأن يطاع فلا يعصى ، وتشكر نعمه ، فلا تكفر ، وتمتثل أوامره ، فلا تنتهك محارمه ، فالمؤمن العاقل : هو الذى يتدبر فى القرآن ، ويتعظ بما فيه من المواعظ ، واخبار تلك الامم ، وما آل اليه أمرها من جراء المعاصى ، وارتكاب ما نهى الله عنه ، فيحذر مما وقعوا فيه ، فيظل دائما مراقبا لله عز وجل ، لانه لا يدرى متى ينتقل عن الدنيا ، وانما الاعمال بالخواتيم ، اللهم اختم بالسعادة آجالنا ، واقرن بالعافية غدونا وآصالنا ، واجعل الى جنتك مصيرنا ومآلنا .

* * *

(١) سورة هود الاية : ٨٢ .

قال تعالى : " هذا نذير من النذر الاولى أزفت

الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة أفمن هذا الحديث

تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا

لله واعبدوا " .

==============================

" التفسير التفصيلي للآيات "

قوله تعالى : (هذا نذير من النذر الاولى) في المراد بالمشار اليه

قولان :

١) أحدهما : أنه القرآن ، نذير بما أنذرت الكتب المتقدمه ، قال هذا

القول : قتادة .

٢) الثاني : أنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نذير بما أنذرت به

الانبياء . قاله ابن جريج ومحمد بن كعب .

قال في تفسير القرطبي عند تفسير هذه الاية (١) : قال ابن جريج

ومحمد بن كعب ، يريد أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - نذير بالحق الذي

أنذر به الانبياء قبله ، فان أطعتموه أفلحتم ، والا حل بكم ما حل بمكذبي

الرسل السالفة .

وقال قتادة : يريد القرآن ، وأنه نذير بما أنذرت به الكتب الاولى .

---

(١) القرطبي ١٧/١٢١ .

وقيل : أن هذا الذى أخبرنا به من أخبار الامم الماضية الذين هلكوا تخويف لهذه الامة من أن ينزل بهم ما نزل بأولئك من النذر أى مثل النذر .

والنذر فى قول العرب بمعنى : الانذار ، كالنكر بمعنى : الانكار أى هذا انذار لكم .

وقال أبو مالك : هذا الذى أنذرتكم به من وقائع الامم الخالية هو فى صحف ابراهيم وموسى .

وقال السدى : أخبرنى أبو صالح قال : هذه الحروف التى ذكر الله تعالى من قوله : " أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم " الى قوله : " هذا نذير من النذر الاولى " كل هذه فى صحف ابراهيم وموسى .

والنذير : يجيء مصدرا ووصفا ، والنذر : جمعه ، مطلقا ، وكل من الامرين محتمل هنا ، ووصف النذر جمعا للوصف بالاولى على تأويل الفرقة ، أو الجماعة ، واختير على غيره رعاية للفاصلة ، وأيا ما كان فالمراد " هذا نذير من " جنس " النذر الاولى "[1] ، والتنوين فى قوله : (نذير) للتفخيم[2] . ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقدر له ، ومتضمن للوعيد ، أى هذا القرآن ، الذى تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات المتقدمة التى سمعتم عاقبتها ، أو هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين .

---

(١) روح المعانى ، المصدر السابق ٧١/٢٧ .

(٢) الفتوحات الالهية ٢٣٩/٤ .

قال صاحب البحر المحيط (١) : والنذير يكون مصدرا أو اسم فاعل وكلاهما من أنذر ، ولا ينقاسان ، بل القياس في المصدر انذار ، وفي اسم الفاعل منذر ، والنذر اما جمع للمصدر ، أو جمع لاسم الفاعل ، والنذير الحذر لما يعاين من الشر الذي يخشى وقوعه فيمن أنذرهم كما قال : انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد .

وفي الحديث : (أنا النذير العريان) (٢) أى الذى أعجله شدة ما عاين من الشر عن أن يلبس عليه شيئا ، بل بادر الى انذار قومه قبل ذلك .

قال صاحب الفخر الرازى : وكون الاشارة الى القرآن بعيد لفظا ومعنى اما معنى فلأن القرآن ليس من جنس الصحف الاولى ، لانه معجز ، وتلك لم تكن معجزة ، وذلك لانه تعالى لما بين الوحدانية قال : " فبأى آلاء ربك تتمارى " قال : " هذا نذير " اشارة الى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ واثباتا للرسالة .

وقال بعد ذلك : " أزفت الازفة " اشارة الى القيامة ، ليكون في الايات الثلاث المرتبة اثبات أصول ثلاث مرتبة ، فان الاصل الاول هو الله ووحدانيته ، ثم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورسالته ، ثم الحشر والقيامة ،

---

(١) أبو حيان ١٧٠/٨ ، وابن كثير ٢٥٩/٤ .

(٢) البخارى في كتاب الرقاق ٣١٦/١١ حديث رقم ٦٤٨٢ ، ومسلم كتاب الفضائل ١٧٨٨/٤ ، أحمد ٤٠٢/١ .

واما لفظا ، فلأن التفسير ان كان كلاما فما ذكره من حكاية المهلكين أولى لانه أقرب ، ويكون على هذا (من) بقى على حقيقة التبعيض ، أى هذا الذى ذكرنا بعض ما جرى ، ونبذ مما وقع ، أو يكون لابتداء الغاية ، بمعنى هذا انذار من المنذرين المتقدمين .

يقال : هذا الكتاب ، وهذا الكلام من فلان ، قال : وعلى الاقوال كلها ليس ذكر الاولى لبيان الموصوف بالوصف ، وتمييزه عن النذر الاخرة ، كما يقال الفرقة الاولى احترازا عن الفرقة الاخيرة ، وانما هو لبيان الوصف للموصوف ، كما يقال : زيد العالم جاءنى ، فيذكر العالم اما لبيان ان زيدا عالم غير أنك لا تذكره بلفظ الخبر ، فتأتى به على طريقة الوصف ، وأما لمدح زيد به ، واما لامر آخر .

قال تعالى : " أزفت الازفة ليس لها من دون الله كاشفة " .

(أزفت الازفة) أى قربت الساعة ودنت سماها آزفة لقرب قيامها ، وقيل لدنوها من الناس ، كما فى قوله : " اقتربت الساعة " (١) أخبرهم بذلك ليستعدوا لها .

قال فى الصحاح : (أزفت الازفة) يعنى القيامة (٢) ، وأزف الرجل عجل .

---

(١) سورة القمر الاية : ١ .
(٢) مختار الصحاح ١/١٥ .

قال ابن عباس : (الازفة) : من أسماء القيامة ، واللام فيه للعهد لا للجنس ، لئلا يخلو الكلام عن الفائدة اذ لا معنى لوصف القريب بالقرب كما قيل ، ولذا قيل : ان الازفة علم بالغلبة للساعة ، هنا ، وفيه نظر ، لان وصف القريب بالقرب يفيد المبالغة فى قربه ، كما يدل عليه الافتعال فى اقتربت الساعة ، وقال الشاعر :

بان الشباب وهذا الشيب قد أزفا ∴ ولا أرى لشباب بائن خلفا (١)

وقال آخر :

أزف الترحل غير أن ركابنا ∴ لما تزل برحالنا وكان قد

وقال فى الصحاح : والمتآزف القصير ، وهو المتدانى .

قال أبو زيد : قلت لاعرابى : ما المحبنطىء ؟ قال المتكأكىء ، قلت : ما المتكأكى ، قال : المتآزف ، قلت : ما المتآزف ؟ قال أنت أحمق وتركنى ومر (٢) .

قال ابن كثير : أزفت الازفة : أى اقتربت القريبة ، يعنى يوم القيامة ، كما قال : اقتربت الساعة .

---

(١) كعب بن زهير ، البحر المحيط ٨/١٥٥ .

(٢) فتح البيان ٩/١٨٩ ، القرطبى ١٧/١٢٢ ، الفتوحات الالهية ٤/٢٣٩ .

وقال الامام أحمد : حدثنا أنس بن عياض حدثنى أبو حاتم لا أعلم الا عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (اياكم ومحقرات الذنوب ، فانما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا ببطن واد فجاء ذا بعود ، وجاء ذا بعود حتى انضجوا خبزتهم وان محقرات الذنوب متى يأخذ بها صاحبها تهلكه) (١).

وعن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (مثلى ومثل الساعة كهاتين وفرق بين أصبعيه الوسطى والتى تلى الابهام ثم قال : (مثلى ومثل الساعة كمثل فرسى رهان) ، ثم قال : (مثلى ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة فلما خشى أن يسبق ألاح بثوبه أتيتم أتيتم) ثم يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أنا ذلك) (٢).

قوله تعالى : " ليس لها من دون الله كاشفة) فيه قولان :

١) أحدهما : أن المعنى اذا غشيت الخلق شدائدها وأهوالها لم يكشفها أحد ولم يردها ، قاله عطاء وقتادة .

٢) والثانى : ليس لعلمها كاشف دون الله ، أى لا يعلم علمها الا الله . قاله الفراء .

---

(١) أخرجه أحمد ٤٠٢/١ ، ٣٣١/٥ ، وابن ماجه بلفظ يا عائشة اياك ومحقرات الاعمال ١٤١٧/٢ ، حديث رقم ٤٢٤٣ .

(٢) أخرجه أحمد ٣٣١/٥ ، وقال ابن كثير : وله شواهد من وجوه أخر صحاح وحسان ٢٦٠/٤ .

قال : وتأنيث (كاشفة) كقوله : (هل ترى لهم من باقية) (١).
يريد بقاء ، والعافية والباقية والناهية كل هذا فى معنى المصدر .

وقال غيره : تأنيث (كاشفة) على تقدير نفس كاشفة ، وقيل الهاء فى كاشفة للمبالغة ، كراوية ، وعلامة ونسابة ، والاول أولى .

قال القرطبى : المعنى ليس من دون الله من يؤخرها أو يقدمها .
وقيل : (كاشفة) : أى انكشاف أى لا يكشف عنها ولا يبديها الا الله ، فالكاشفة اسم بمعنى المصدر ، والهاء فيه كالهاء فى العافية ، والعاقبة ، والداهية ، كقولهم ما لفلان من باقية ، أى من بقاء .
وقيل : أى لا أحد يرد ذلك ، أى ان القيامة اذا قامت ، لا يكشفها أحد من آلهتهم ، ولا ينجيهم غير الله تعالى ، وقد سميت القيامة غاشية ، فاذا كانت غاشية كان ردها كشفا ، فالكاشفة على هذا نعت مؤنث محذوف ، أى نفس كاشفة ، أو فرقة كاشفة ، أو حال كاشفة .
وقيل : ان كاشفة بمعنى كاشف ، والهاء للمبالغة ، مثل راويه (٢).

---

(١) سورة الحاقة الاية : ٨ . وهى بالفاء (فهل) ولكن قد سوغ المتقدمون حذف الفاء والواو عند ذكر الاية للاستدلال . انظر الرسالة للشافعى تحقيق أحمد شاكر ، وزاد المسير ٨/٨٥ .
أقول وما ذكراه عندى ليس بجيد ، لما روى عياض أن من غير حرفا من القرآن عمدا كفر ، سواء بزيادة أم بنقص ، ذكر ذلك صاحب الجزرية قال :

روى عياض أن من قد غيرا ∴ حرفا من القرآن عمدا كفرا
زيادة أو نقصا أو ان بدلا ∴ شيئا من الرسم الذى تأصلا

(٢) القرطبى ١٧/١٢٢ .

قال فى الفتوحات الالهية : ومعنى الكشف هنا ، اما من كشف الشىء أى معرفة حقيقته كقوله تعالى : " لا يجليها لوقتها الا هو "(١). واما من كشف الضر ، أى ازالته ، أى ليس لها من يزيلها ، وينحيها عند مجيئها غير الله تعالى ، لكنه لا يفعل ذلك ، لانه سبق فى علمه أنها تقع ولابد(٢).

تنبيـــه :

ذكر صاحب الفخر الرازى فى تفسيره الكبير : أن (من) فى قوله تعالى " ليس لها من دون الله كاشفة)" ذكر أنها زائدة ، وتقدير الكلام ليس لها غير الله كاشفة ، وهى تدخل على النفى فتؤكد معناه ، تقول : ما جاءنى أحد ، وما جاءنى من أحد ، وعلى هذا يحتمل أن يكون فيه تقديم وتأخير ، تقريره : ليس لها من كاشفة دون الله ، فيكون نفيا عاما بالنسبة الى الكواشف .

ويحتمل أن يقال : ليست بزائدة ، بل معنى الكلام أنه ليس فى الوجود نفس تكشفها ، أى تخبر عنها كما هى ، ومتى وقتها من غير الله تعالى ، يعنى من يكشفها ، فانما كشفها من الله لا من غير الله ، يقال : كشف الامر من زيد .

---

(١) سورة الاعراف الاية : ١٨٧ .

(٢) الفتوحات الالهية ٤/٢٤٠ .

قال : ودون يكون بمعنى غير ، كما فى قوله تعالى : " أئفكا آلهة دون الله تريدون "(١). أى غير الله .

س : اذا قلت معناه ليس لها نفس كاشفة ، وقوله : "من دون الله" استثناء على الاشهر من الاقوال ، وعليه فيكون الله تعالى نفسا لها كاشفة ، فكيف يكون ذلك ؟

والجواب من وجهين :

١) أحدهما : أنه لا مانع ولا فساد فى ذلك .

قال الله تعالى : " ولا أعلم ما فى نفسك "(٢) حكاية عن عيسى — عليه السلام — .

٢) الثانى : ليس هو صريح الاستثناء ، فيجوز فيه أن لا يكون نفسا(٣).

قوله تعالى : " أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون " : الاستفهام فى قوله : " أفمن هذا الحديث " استفهام توبيخ والمراد بالحديث هنا هو القرآن العظيم .

كقوله تعالى : " الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها "(٤).

---

(١) سورة الصافات الاية : ٨٦ .
(٢) سورة الانعام الاية : ١١٦ .
(٣) التفسير الكبير ٧/٢٤٧ .
(٤) سورة الزمر الاية : ٢٤ .

وقوله تعالى : " لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى " (١).

وقوله : (تعجبون) : تكذيبا به .

(وتضحكون) : استهزاء .

(ولا تبكون) : انزجارا وخوفا من الوعيد .

ولقد أحسن من قال (٢) :

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا ٠٠٠ والناس حولك يضحكون سرورا

فاجهد لنفسك أن تكون اذا بكوا ٠٠٠ في يوم موتك ضاحكا مسرورا

عن صالح أبي الخليل قال : لما نزلت هذه الاية فما ضحك النبي — صلى الله عليه وسلم — بعد ذلك الا أن يبتسم . وفي لفظ : فما رئي النبي — صلى الله عليه وسلم — ضاحكا ولا مبتسما حتى ذهب من الدنيا .

وقال أبو هريرة : لما نزلت " أفمن هذا الحديث تعجبون " قال أهل الصفة انا لله وانا اليه راجعون . ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع النبي — صلى الله عليه وسلم — بكاءهم بكى معهم . فبكينا لبكائه . فقال النبي — صلى الله عليه وسلم — (لا يلج النار من بكى من خشية الله

---

(١) سورة يوسف الاية : ١١١ .

(٢) روح المعاني ٢٧/٦٨ .

ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ، ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيغفر لهم ويرحمهم انه هو الغفور الرحيم "(١) .

وفى صحيح البخارى (٢) : (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) .

قال أبو حازم (٣) : نزل جبريل على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعنده رجل يبكى ، فقال له من هذا ؟ قال : هذا فلان ، فقال جبريل : انا نزن أعمال بنى آدم كلها ، الا البكاء ، فان الله تعالى ليطفئ بالدمعة الواحدة بحورا من جهنم " (٤) .

قوله تعالى : " أفمن هذا الحديث " : متعلق بتعجبون ، ولا يجئ فيه الاعمال ، لان شرط الاعمال تأخر المعمول عن العوامل ، وهو هنا متقدم ، وفيه خلاف ، وعليه تتخرج الاية الكريمة ، فان كلا من قوله : " تعجبون ، وتضحكون ، ولا تبكون " يطلب هذا الجار من حيث المعنى (٥) .

---

(١) أخرجه فى الدر المنثور ٦/١٣١ ، أخرج الفقرة الاولى منه الترمذى ٥/٢٦٠ ، ٦/٦٠٠ ، وأحمد ٢/٥٠٥ ، والفقرة الاخيرة : لو لم تذنبوا الخ . مسلم فى كتاب التوبة ٤/٢١٠٦ حديث رقم ١١ ، وأحمد ١/٢٨٩ ، وأما الفقرة الوسطى ولا يدخل الجنة مصر ، فلم أجدها .

(٢) صحيح البخارى / ارشاد السارى ٩/٢٧٨ .

(٣) القرطبى ١٧/١٢٣ .

(٤) لم أعثر عليه .

(٥) الفتوحات الالهية ٤/٢٤٠ .

قوله تعالى : " وأنتم سامدون " : هذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفة ، أخبر الله عنهم بذلك ، ويحتمل أن تكون حالا أى انتفى عنكم البكاء فى حال كونكم سامدين ، والسمود الغفلة ، والسهو عن الشىء والاعراض واللهو ، وقيل الخمود ، وقيل الاستكبار .

وقال فى الصحاح (١) : سمد سمودا رفع رأسه تكبرا فهو سامد .

وقال ابن الاعرابى : السمود اللهو ، والسامد اللاهى ، يقال للقينة اسمدينا ، أى ألهينا بالغناء .

وقال المبرد : سامدون ، خامدون .

وقال مجاهد : غضاب ، مبرطمون ، والبرطمة الاعراض .

وقيل : أشرون بطرون ، ساهون لاهون لاعبون .

قال :

ألا أيها الانسان انك سامد ∴ كأنك لا تفنى ولا أنت هالك (٢)

وذكر القرطبى عن ابن عباس : ان السمود هو الغناء باليمانية ، كانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا (٣).

---

(١) الصحاح ٣١٢/١ .

(٢) البحر المحيط ١٥٥/٨ .

(٣) القرطبى ١٢٣/١٧ ، فتح البيان ١٨٩/٩ ـ ١٩٠ ، الفتوحات الالهية ٢٤٠/٤ ، الدر المنثور ١٣٢/٦ .

قوله تعالى : " فاسجدوا لله واعبدوا " : لما ونخ سبحانه المشركين على الاستهزاء بالقرآن والضحك منه ، والسخرية وعدم الانتفاع بمواعظه وزواجره ، أمر عباده المؤمنين بالسجود لله والعبادة له ، أى اذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله .

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : " فاسجدوا لله " أيها الناس فى صلاتكم دون من سواه من الالهة والانداد ، واياه فاعبدوا دون غيره ، فانه لا ينبغى أن تكون العبادة الا له ، فأخلصوا له العبادة والسجود ، ولا تجعلوا له شريكا فى عبادتكم اياه .

واختلف فى المراد بالسجود هنا على أقوال :

١) أنه سجود التلاوة . قاله ابن مسعود ، وبه قال أبو حنيفة والشافعى .

٢) أنه سجود الفرض فى الصلاة . وهو قول ابن عمر ، فكان لا يراها من عزائم السجود ، وبه قال مالك .

٣) أن المراد سجود الشكر على الهداية .

٤) قال مقاتل : يعنى بقوله (فاسجدوا) الصلوات الخمس ، قوله (واعبدوا) من عطف العام على الخاص ، قوله (لله) اللام لام الاختصاص ، فلا سجود الا لله وحده ، لا لصنم ولا غيره (١) .

---

(١) القرطبى ١٢٣/١٧ ، تفسير الخازن مع تفسير البغوى ٢٢٥/٦ ، فتح البيان ١٩٠/٩ ، زاد المسير ٨٦/٨ .

قال فى ظلال القرآن (١) عند قوله : " أفمن هذا الحديث .. " الـــخ السورة .

قال : وهذا الحديث جد عظيم ، يلقى على كاهل الناس واجبات ضخمة وفى الوقت ذاته يقودهم الى المنهج الكامل ، فمم يعجبون ؟ ومم يضحكون ؟

وهذا الجد الصارم ، وهذه التبعات الكبيرة ، وما ينتظر الناس من حساب على حياتهم فى الارض ، كله يجعل البكاء أجدر بالموقف الجد ، وما وراءه من الهول والكرب .

قال : وهنا يرسلها صيحة مدوية ، ويصرخ فى آذانهم وقلوبهم ، ويهتف بهم الى ما ينبغى أن يتداركوا به أنفسهم ، وهم على حافة الهاوية " فاسجدوا لله واعبدوا " ، وانها لصيحة مزلزلة ، مذهلة فى هذا السياق ، وفى هذه الظلال ، وبعد هذا التمهيد الطويل الذى ترتمش له القلوب ، ومن ثم سجدوا ، سجدوا وهم مشركون ، وهم يمارون فى الوحى والقرآن ، وهم يجادلون فى الله والرسول ، سجدوا تحت هذه المطارق الهائلة التى وقعت على قلوبهم ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتلو هذه السورة عليهم ، ومنهم المسلمون والمشركون ، ويسجد فيسجد الجميع مسلمين ومشركين ، لا يملكون أن يقاوموا وقع هذا القرآن ، ولا أن يتماسكوا لهذا السلطان ، ثم أفاقوا بعد فترة فاذا هم فى ذهول من سجودهم كذهولهم وهم يسجدون ، وقد وعدت بالكلام مفصلا على سجود التلاوة وما هى حجة المالكية فى عدم السجود فى هذه السورة ، وسأبحث الموضوع بحثا خاصا بعد المعنى الاجمالى للآيات ـ ان شاء الله ـ .

---

(١) فى ظلال القرآن ٢٧/٣٤١٩ .

" المعنى الاجمالي للآيات "

أخبر سبحانه وتعالى في هذه الايات أن هذا القرآن فيه نذارة للمنزل عليهم ، كما أنذرت الكتب المنزلة قبله أصحابها ، أو هذا الرسول — صلى الله عليه وسلم — نذير لهذه الامة من العذاب الشديد ، كما أنذرت الرسل قبله أممها .

وقد ورد أنه — صلى الله عليه وسلم — لما نزل عليه قوله تعالى : " وأنذر عشيرتك الاقربين " (١) جمع أهله كلهم وقال : اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد (٢) . أو كما قال فهو — صلى الله عليه وسلم — قد أنذر أمته فلم يترك شيئا يقربها من الجنة الا وأمرها به ، ولم يترك شيئا يباعدها عن النار الا حذرها منه .

وفي الايات نفسها أخبر أن القيامة قد قربت وحان مجيئها ، وقد ورد أنه — صلى الله عليه وسلم — قد بعث هو والساعة كهاتين ، وأشار باصبعيه السبابة والوسطى ، مما يدل على قربها ، ولكن مع ذلك لا يعلم وقتها بالتحديد ، ومتى تقوم ، الا الله وحده سبحانه وتعالى ، فقد استأثر بعلمها ، ولهذا قال الله عز وجل : " يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو " (٣) .

---

(١) سورة الشعراء الاية : ٢١٤ .

(٢) أخرجه البخاري — كتاب التفسير ٨/٥٠١ حديث رقم ٤٧٧١ .

(٣) سورة الاعراف الاية : ١٨٧ .

وقال تعالى : " يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا " (١).

وقال تعالى : " ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير " (٢).

وفى حديث جبريل ـ عليه السلام ـ حين سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الساعة ، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال : أخبرنى عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الامة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان (٣).

هذا وكما أن الساعة لا يعلم مجيئها الا الله ، فكذلك هو الذى يكشف الكربات اذا غشيت ،

قال تعالى : " وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله " (٤).

وقال تعالى : " أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض " (٥).

---

(١) سورة الاحزاب الاية : ٦٣ .

(٢) سورة لقمان الاية : ٣٤ .

(٣) أخرجه مسلم ١/٣٦ .

(٤) سورة يونس الاية : ١٠٧ .

(٥) سورة النمل الاية : ٦٢ .

ثم انه تعالى ذكر فى هذه الايات أنهم يعجبون من هذا القرآن ، ذكر ذلك على سبيل الاستفهام التوبيخى ، وأنهم يضحكون عند سماعه ، وقد كان الواجب عليهم أن ينصتوا ويخشعوا عند سماعه .

قال تعالى : " واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون " (١).

فالاولى بمن يسمع القرآن أن ينصت له ويستمع اليه سماع تدبر وخشوع ، ولا يعرض عند سماعه ، فهذا من صفات المشركين .

قال تعالى فى وصف المشركين عند سماع القرآن : " حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون " (٢).

وقال تعالى : " وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون " (٣).

فالواجب على من يسمع القرآن أن يخشع ويتباكى ان لم يبك ، فقد قال العلماء : ان البكاء مستحب عند سماع القرآن .

---

(١) سورة الاعراف الاية : ٢٠٤ .

(٢) سورة فصلت الايات : ١ـ٥ .

(٣) سورة فصلت الاية : ٣٦ .

وروى أنه قال - صلى الله عليه وسلم - : (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) (١).

وذكر أهل التفسير أن هذه الاية لما نزلت بكى الصحابة ، وبكى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ويروى أنه ما رئى بعد ذلك ضاحكا قط .

فاذا كان هذا حال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند سماع مثل هذه الاية ، والرعيل الاول من الصحابة ، فكيف حال غيرهم من المسلمين ، ممن حاله الاشتغال دائما باللهو ، والاعراض عن ذكر الله .

ثم ختم هذه الايات بالامر بالسجود لله وحده ، لانه المستحق لذلك ، فلا يستحقه غيره ، فالسجود والعبادة بأنواعها من خواص الله وحده ، فمن صرف من العبادة شيئا لغير الله ، من دعاء ونذر ، فقد صرف حق الله لغيره لمخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، وبذلك يكون من الظالمين .

قال تعالى : " ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين " (٢).

والظلم فى اللغة هو وضع الشئ فى غير موضعه (٣).

وهذا الانسان اذا دعا غير الله الذى خلقه ورباه بنعمه ، فقد ظلم نفسه بالكفر ، لانه وضع العبادة فى غير موضعها ، فمحل العبادة هو أن يعبد الله وحده ،

---

(١) البخارى مع شرحه ارشاد السارى ٢٧٨/٩ .

(٢) سورة يونس الاية : ١٠٦ .

(٣) مختار الصحاح ٤٠٥/١ .

الذى تألهه القلوب ، وتخضع له الجوارح ، ذالكم الله ربكم لا اله الا هو ، خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين ، خلق الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، وهو أقرب اليه من حبل الوريد ، خلقه من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوه ، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبه ، يخلق ما يشاء ، فمن كانت هذه نعوته وصفاته سبحانه وتعالى ، فقد خاب وخسر من أشرك معه غيره ، فالغير خلقه كلهم ، " ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين " (١).

* * *

(١) سورة الاعراف الاية : ٥٤ .

" الكلام على السجود فى سورة النجم
وذكر من يرى من العلماء السجود فيها وحجته
وحجة المخالفين له ، والراجح فى نظرى
ثم كلام موجز عن حكم السجود فى التلاوة
ومواضع السجود فى القرآن "

أ) يرى الشافعى وأبو حنيفة وأحمد وأكثر أهل العلم السجود فى هذه السورة ، لان النبى — صلى الله عليه وسلم سجد عندها (١).

أدلة هؤلاء ما يأتى :

١ — ما ورد فى صحيح البخارى من حديث عبد الله بن مسعود قال : قرأ النبى — صلى الله عليه وسلم — النجم بمكة فسجد فيها ، وسجد من معه غير شيخ ، أخذ كفا من حصى أو تراب فرفعه الى جبهته ، وقال : يكفينى هذا ، فرأيته بعد ذلك قتل كافرا .

٢ — حديث ابن عباس — رضى الله عنهما — أن النبى — صلى الله عليه وسلم — سجد بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس (٢).

---

(١) المغنى لابن قدامة ٦١٧/١ .
(٢) الحديثان فى صحيح البخارى ٣/ ٢٠٧ — ٢٠٨ شرح فتح البارى .

٣ ـ وحديث آخر عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قرأ سورة النجم ، فسجد بها ، فما بقى أحد من القوم الا سجد ، فأخذ رجل من القوم كفا من حصى أو تراب ، فرفعه الى وجهه وقال : يكفينى هذا ، قال عبد الله : فلقد رأيته بعد قتل كافرا (١).

٤ ـ وفى الموطأ ، عن ابن شهاب عن الاعرج أن عمر بن الخطاب قرأ بالنجم اذا هوى فسجد فيها ، ثم قام فقرأ بسورة أخرى (٢).

٥ ـ وممن روى عنه السجود فى النجم ، بل ان فى المفصل ثلاث سجدات أبو بكر ، وعلى ، وابن مسعود ، وعمار ، وأبو هريرة ، وابن عمر ، وعمر بن عبد العزيز ، وجماعة من التابعين ، وبه قال الثورى والشافعى وأبو حنيفة واسحاق (٣).

المعتمد أن هذا الشيخ الذى لم يسجد هو أمية بن خلف ، وعند ابن سعد أن الذى لم يسجد هو الوليد بن المغيرة ، وقيل سعيد بن العاص بن أمية ، وقال بعضهم : كلاهما جميعا ، وجزم ابن بطال فى باب سجود القرآن بانه الوليد .

---

(١) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ٣ / ٢٠٨ .

(٢) موطأ الامام مالك جمع وترتيب محمد فؤاد عبد الباقى ١ / ١٤٥ .

(٣) المغنى لابن قدامة ١ / ٦١٦ ـ ٦١٧ .

قال ابن حجر : وهو عجيب منه مع وجود التصريح بأنه أمية بن خلف ولم يقتل كافرا ببدر من الذين سموا عنده غيره .

وفى تفسير ابن حيان أنه أبو لهب (١) .

قال ابن حجر (٢) : وفى شرح الاحكام لابن بزيزة أنه منافق ، الا أنه يرد بأن القصة وقعت بمكة بلا خلاف ، ولم يكن النفاق قد ظهر بعد ، وقد جزم الواقدى بأنها كانت فى رمضان سنة خمس ، وكانت المهاجرة الاولى الى الحبشة خرجت فى شهر رجب ، فلما بلغهم ذلك رجعوا فوجدوهم على حالهم من الكفر فهاجروا .

قال ابن حجر : ويحتمل أن يكون الاربعة لم يسجدوا ، ويكون التعميم فى كلام ابن مسعود بالنسبة الى ما اطلع عليه .

٢) ولم ير مالك السجود فى سورة النجم كغيرها من المفصل (٣) .

واستدل على ذلك بالادلة التالية :

١ ـ قال مالك : الامر عندنا أن عزائم سجود القرآن احدى عشرة سجدة ليس فى المفصل منها شىء (٤) .

---

(١) فتح البارى ١٠/٢٣٨ ، طبعة الحلبى وأولاده .

(٢) فتح البارى ١٠/٢٣٨ .

(٣) المفصل قصار السور سمى بذلك لكثرة الفصل بين سورة بالبسملة أو لقصر اعداد سورة من الاية ، واختلف فى أوله على اثنى عشر قولا ، أشهرها من الحجرات الى آخره ، ورجح ابن كثير أنها من ق ٤/٢٢٠ ، الاتقان ١/١٨٠ ، عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الاصوليين ١/١٢٧ الدكتور احمد محمد نور سيف .

(٤) الموطأ ١/٢٠٧ .

قال الباجى فى المنتقى [١] : قال بهذا جمهور أصحاب مالك وابن عباس وابن عمر .

وقال ابن وهب عزائم سجود القرآن أربع عشرة سجدة ، أثبت ثلاث سجدات فى المفصل .

وقال ابن حبيب : عزائم السجود خمس عشرة سجدة ، فزاد عليها الاخرة من الحج .

وقد رواه ابن عبد الحكم عن ابن وهب .

وقد أجاب القاضى أبو محمد عما روى من الاحاديث الصحاح فى سجود النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المفصل ان مالكا لا يمنع السجود فى المفصل ، وانما يمنع أن يكون من عزائم السجود .

وعلى هذا يكون القرآن ثلاثة أضرب :

١) ما لابد من السجود فيه .

٢) ما لا يجوز السجود فيه .

٣) ما خير فيه ، وهى المواضع المتكلم فيها .

٢ ـ ما روى عن ابن عباس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يسجد فى شىء من المفصل منذ أن تحول الى المدينة .

أخرجه أبو داود ، وأبو على بن السكن فى صحيحه من طريق

---

(١) المنتقى ١/٣٥١ ـ ٣٥٢ .

أبى قدامة الحارث بن عبيد ، عن مطر الوراق ، عن عكرمة ، وأبو قدامة ومطر من رجال مسلم ، ولكنهما مضعفان (١).

٣ - انكار أبى سلمة وأبى رافع على أبى هريرة السجود فى المفصل ، مما يدل على أن الناس تركوه ، وأن هذا الترك دليل على أنه العمل الاخير الذى استقر عليه الامر (٢).

٤ - انهم يقدمون عمل أهل المدينة على ما ورد من الاحاديث فى ذلك ، قالوا : ان عمل أهل المدينة بعدم السجود فى المفصل يدل على نسخ السجود فى المفصل ، اذ لو كان باقيا من غير نسخ ، ما عدل أهل المدينة عن العمل به (٣).

---

(١) التلخيص الحبير ، تخريج أحاديث الرافع الكبير ٢/٨ .

(٢) ورد فى صحيح البخارى من حديث أبى سلمة قال : رأيت أبا هريرة - رضى الله عنه - قرأ " اذا السماء انشقت " فسجد بها ، فقلت : يا أبا هريرة ألم أرك تسجد ؟ قال : لو لم أر النبى - صلى الله عليه وسلم - يسجد لم أسجد . صحيح البخارى شرح فتح البارى ٣/٢١٠ .

(٣) قال الدرديرى : عند قول خليل : (فى احدى عشرة لا ثانية الحج والنجم والانشقاق والقلم) قال : لعدم سجود فقهاء المدينة وقرائها فيها ، تقديما للعمل على الحديث . قال الدسوقى : أى عمل أهل المدينة من ترك السجود فى هذه المواضع الاربعة ، وانما قدم العمل على الحديث لدلالة العمل على نسخ الحديث المذكور ، اذ لو كان باقيا من غير نسخ ما عدل أهل المدينة عن العمل به . الدسوقى ١/٣٠٨ .

وقال فى ميسر الجليل الكبير على مختصر خليل للعلامة محنض بابه الديمانى : ولا فى النجم ، وان صح أنه - صلى الله عليه وسلم - سجدها وسجد معه الانس والجن حتى المشركون لزعمهم انه مدح آلهتهم ، لان عمل أهل المدينة على تركها يدل على النسخ ١/٢٤٨ .

٥ ـ الحديث الذى ورد عن عمرو بن العاص أنه أقرأه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خمس عشرة سجدة فى القرآن منها ثلاث فى المفصل ، وفى الحج سجدتان ، قالوا : حديث ضعيف غير صالح للاحتجاج (١).

٦ ـ ما جاء فى صحيح البخارى عن عطاء بن يسار ، أنه سأل زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ فزعم أنه قرأ على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والنجم ، فلم يسجد فيها (٢).

٧ ـ عن عطاء بن يسار عن زيد بن ثابت قال : قرأت على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والنجم ، فلم يسجد فيها (٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١/٣٣٥ .
وقال ابن حجر فى التلخيص : أخرجه أبو داود والدارقطنى والحاكم ، وحسنه المنذرى ، والنووى ، وضعفه عبد الحق ، وابن القطان ، وفيه عبد الله بن منين وهو مجهول ، والراوى عنه الحارث بن سعيد العتقى وهو لا يعرف أيضا ، وقال ابن ماكولا : ليس له غير هذا الحديث ٢/٩ .
قال القرطبى ٧/٣٥٧ : وعبد الله بن منين لا يحتج به . قاله أبو محمد عبد الحق .

(٢) صحيح البخارى شرح فتح البارى ٣/٢٠٩ ـ ٢١٠ .
وأخرجه النسائى ٢/١٦٠ .
قال ابن حجر فى الفتح : زعم أراد أخبر ، والزعم يطلق على المحقق قليلا كهذا ، وعلى المشكوك كثيرا ، ومن شواهده قول الشاعر :
على الله أرزاق العباد كما زعم
ويحتمل أن يكون زعم فى هذا الشعر بمعنى ضمن ، ومنه الزعيم غارم أى الضامن . فتح البارى ٣/٢١٠ .

(٣) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ٣/٢٠٩ .

٨ ـ كذلك احتج لمالك في ترك السجود في المفصل بحديث أخرجه ابن ماجه [١] في سننه عن عثمان بن فائد عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن المهدي بن عبد الرحمن ، حدثتني عمتي أم الدرداء قالت : حدثني أبو الدرداء أنه سجد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ احدى عشرة سجدة ليس فيها شيء من المفصل : الاعراف ، والرعد ، والنحل ، وبني اسرائيل ، ومريم ، والحج ، والفرقان ، والنمل ، والسجدة ، و ص ، وحم السجدة .

قال الزيلعي : وعثمان بن فائد ، قال ابن حبان لا يحتج به ووهاه ابن عدي ، وقال أبو داود في سننه ، وروى عن أبي الدرداء عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ احدى عشرة سجدة واسناده واه [٢] .

أقول : والله تعالى التوفيق ، هذا ملخص ما احتج به المالكية من الادلة لعدم السجود في المفصل ، وفي سورة النجم ، حسب مطالعتي لكتب الحديث والتفسير والفقه في هذا المحل ، ولم آل جهدا في المطالعة لأعثر على دليل غير ما ذكرته .

---

(١) ابن ماجه ١ /٣٣٥ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي .

(٢) نصب الراية لاحاديث الهداية للزيلعي ٢ /١٨٢ .

مناقشة ما استدل به المالكية :

١) عبارة مالك فى الموطأ (الامر عندنا أن عزائم السجود .. الـــخ) لا تدل الا على أن عزائم السجود محصورة فى هذه السجدات فقط ، فليس هناك اجماع ولا عمل يدل على منع السجود فى غير هذه المواضع ، وأن ما عداها منسوخ بالعمل .

ولهذا تعددت الروايات عن مالك فى العدد الذى أخذ به فى سجدات التلاوة (١).

٢) ان السجود فى المفصل قال به الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة والتابعين .

٣) قد روى فى الموطأ حديث أبى هريرة فى سجوده — صلى الله عليه وسلم — فى الانشقاق ، وسجود عمر فى النجم ، ولو كان العمل عنده مخالفا لذلك لقال بعد ذلك : ليس عليه العمل كعادته ، وفى نفس الباب يروى نزول عمر عن المنبر للسجدة ، فيقول بعده : ليس العمل على أن ينزل الامام اذا قرأ السجدة على المنبر فيسجد (٢).

وقد ذهب القاضى عبد الوهاب الى أن مالكا لا يمنع السجود فى المفصل ، وانما يمنع أن يكون من عزائم السجود (٣).

---

(١) ذكر الباجى فى المنتقى عن ابن وهب أن عزائم السجود أربع عشرة ، وذكر عن ابن حبيب خمس عشرة سجدة ١/ ٣٥١ — ٣٥٢ .

(٢) موطأ الامام مالك ١/ ١٤٥ .

(٣) المنتقى ١/ ٣٥١—٣٥٢ عمل أهل المدينة المصدر السابق ١/ ١٣٦ .

٤) أما حديث ابن عباس أنه لم يسجد في شيء من المفصل منذ أن تحول الى المدينة فيرد عليه بأمرين :

١ ـ أن في هذا الحديث رجلين ضعيفين هما : أبو قدامة ، ومطر الوراق ، وفيه اختلاف في اسناده .

٢ ـ وعلى تقدير ثبوته فرواية من أثبت ذلك أرجح ، اذ المثبت مقدم على النافي (١) .

٥) أما انكار أبي سلمة وأبي رافع على أبي هريرة فلا يدل على عدم السجود في المفصل ، ولهذا رد عليهما أبو هريرة ، بأنه رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يفعله ، وهذا كاف ، ثم انهما لما رد عليهما هذا الرد ما أنكرا عليه ذلك ، وغاية ما هنالك أن يقال انهما كانا يظنان ، ولم يبلغهما سجوده في المدينة في المفصل .

قال ابن حجر : ويدل على بطلان المدعى أن أبا سلمة وأبا رافع لم ينازعا أبا هريرة بعد أن أعلمهما بالسنة في هذه المسألة ، ولا احتجا عليه بالعمل على خلاف ذلك .

قال ابن عبد البر ، وأي عمل يدعى مع مخالفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء الراشدين بعده (٢) .

---

(١) التلخيص الحبير ، تخريج أحاديث الرافع الكبير ٨/٢ .
(٢) فتح الباري ٢١٠/٣ .

٦) أما دعوى المالكية - فى ترك السجود - فى المفصل بعمل أهل المدينة ، وأن عمل أهل المدينة يدل على النسخ ، فهذا مردود بما يأتى :

١ - ما ثبت فى صحيح البخارى (١) من سجود أبى هريرة فى " اذا السماء انشقت " .

٢ - روى البزار والدارقطنى من طريق هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبى هريرة أن النبى - صلى الله عليه وسلم - سجد فى سورة النجم ، وسجدنا معه ، والحديث رجاله ثقات .

٣ - وروى ابن مردوية فى التفسير باسناد حسن عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه رأى أبا هريرة سجد فى خاتمة النجم ، فسأله ؟ فقال : انه رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسجد فيها ، وأبو هريرة انما أسلم بالمدينة .

وروى عبد الرزاق باسناد صحيح عن الاسود بن يزيد عن عمر أنه سجد فى " اذا السماء انشقت " ومن طريق نافع عن ابن عمر أنه سجد فيها ، وفى هذا رد على من زعم أن عمل أهل المدينة استمر على ترك السجود فى المفصل ، ويحتمل أن يكون المنفى المواظبة على ذلك ، لان المفصل تكثر قراءته فى الصلاة ، فترك السجود فيه كثيرا لئلا تختلط الصلاة على من لم يفقه .

---

(١) صحيح البخارى شرح فتح البارى ٣/٢١٠ .

قال ابن حجر : أشار الى هذه العلة مالك في قوله : بترك السجود في المفصل أصلا (١).

٧) أما الحديث المروى عن عمرو بن العاص أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن ، ثلاث منها في المفصل ، واثنتان في الحج ، فتضعيف المالكية له صحيح ، فان فيه رجلين مجهولين ، والحديث اذا كان فيه مجهول يصير ضعيفا بسنده الذى وجد فيه مجهول ، فأحرى ان كان فيه أكثر من واحد .

قال ابن حجر : فيه عبد الله بن منين ، وهو مجهول ، والراوى عنه الحارث بن سعد العتقى وهو لا يعرف (٢).

وقال القرطبى (٣) : عبد الله بن منين لا يحتج به ، قاله أبو محمد عبد الحق مع أن الهنووى والمنذرى حسنا هذا الحديث .

٨) حديث زيد بن ثابت أنه قرأ على النبى — صلى الله عليه وسلم — النجم ، ولم يسجد ، ويرد على هذا بأن ترك السجود في هذه الحال لا يدل على ترك السجود مطلقا ، لاحتمال أن يكون ترك السجود في ذلك الوقت لكونه بلا وضوء ، أو لكون الوقت وقت كراهة ، أو لكون القارىء كان

---

(١) فتح البارى ٢٠٩/٣ .
(٢) التلخيص الحبير ٩/٢ .
(٣) الجامع لاحكام القرآن ٣٥٧/٧ .

لم يسجد ، أو لاحتمال ترك السجود لبيان الجواز وهذا أرجح [١].

والدليل اذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

الراجح في نظري :

هذا وان الذي ترجح عندي هو ثبوت السجود في المفصل الذي هو قول الجمهور للاحاديث الصحيحة التي تقدمت ولعمل الخلفاء الراشدين وأجلة الصحابة كأبي هريرة .

وقد نقل عن مالك [٢] أنه لا يمنع السجود في المفصل ، وانما يرى أنه ليس من عزائم السجود ، فالانسان مخير ان شاء سجد ، وان شاء ترك .

قال صاحب المواق في حاشيته على الحطاب شرح مختصر خليل : قال عبد الوهاب : لم يمنع مالك السجود في المفصل ، وانما منع أن يكون من عزائم السجود التي يعزم على الناس السجود فيها .

ومن أحكام ابن العربي [٣] : ثبت في الصحيح أن أبا هريرة قرأ "اذا السماء انشقت" فسجد فيها ، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سجد فيها ، وقد قال مالك انها ليست من عزائم السجود ، قال ابن العربي : والصحيح أنها منه ، وهي رواية المدنيين عنه ، وقد اعتضد

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٢٣/١٥٨-١٥٩ ، فتح الباري ٣/٢٠٩ .

(٢) الباجي ، المنتقى ١/٣٥١-٣٥٢ ، والحطاب مع المواق ٢/٦١ .

(٣) المواق مع الحطاب شرح المختصر ٢/٦١ .

فيها القرآن والسنة ، وكان ابن العربي اذا صلى بالناس اماما ترك قراءة هذه السورة مخافة أن ينكروا عليه انكارا شديدا ، بحيث يكون في ذلك تشويش ، اما ان صلى وحده فانه يقرؤها ويسجد عندها .

فالحق الذي لا غبار عليه أن السجود في المفصل ثبت في سورة النجم بالذات من عمل النبي — صلى الله عليه وسلم — وعمل الصحابة من بعده ، وعمل أهل المدينة خاصة ، كأبي هريرة وغيره ، فلا نسخ ثابت صحيح ، يرجع اليه .

وقال ابن العربي (١) : كان مالك يسجدها في خاصة نفسه ، فالواجب على المسلم اذا ثبتت له السنة أن يعمل بها ، وأن لا يتركها لقول قائل مهما كان أمره ، وشأنه .

قال الامام مالك : كل كلام يؤخذ منه ويرد الا كلام صاحب هذا القبر .

وقال الشافعي : أجمعت الامة على أن من استبانت له سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ليس له أن يدعها ، لقول كائن من كان ، فغير المعصوم من الخلق كلامه يعرض على الميزان الذي هو الكتاب والسنة " فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلا " (٢) ، فان كان موافقا للكتاب أو للسنة وجب العمل به ، وان كان مخالفا لهما رد على صاحبه .

---

(١) أحكام القرآن لابي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، تحقيق علي محمد البجاوي ٤ /١٧٢٣ .

(٢) سورة النساء الاية : ٥٩ .

قال تعالى : " فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم " (١).

وقال تعالى : " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " (٢) .

والله تعالى التوفيق .

* * *

---

(١) سورة النور الاية : ٦٣ .
(٢) سورة الحشر الاية : ٧ .

" حكم سجود التلاوة "

١) ذهب جمهور العلماء الى أن سجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع، وأنه ليس بواجب .

ذهب الى هذا مالك والشافعي ، وأحمد ، والاوزاعي ، والليث ، وهذا مذهب عمر ، وابنه عبد الله ، رضي الله عنهما (١).

أدلة الجمهور :

١ ـ ما روى زيد بن ثابت قال : قرأت على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والنجم ، فلم يسجد منا أحد . متفق عليه (٢).

٢ ـ انه اجماع الصحابة (٣).

وروى البخاري والاثرم عن عمر أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل ، حتى اذا جاء السجدة نزل ، فسجد وسجد الناس ، حتى اذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها ، حتى اذا جاء السجدة قال : يا أيها الناس انما نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب ، ومن لم يسجد فلا اثم عليه ، ولم يسجد عمر .. وفي لفظ : ان الله لم يفرض علينا السجود الا أن نشاء (٤).

---

(١) المغني لابن قدامة ١/٦٢٣ .

(٢) صحيح البخاري شرح فتح الباري ٣/٢٠٩ .

(٣) المغني لابن قدامة ١/٦٢٣ .

(٤) صحيح البخاري شرح فتح الباري ٣/٢١٣ .

وفي رواية الاثرم فقال: (على رسلكم ان الله لم يكتبها علينا الا أن نشاء فقرأها ولم يسجد ، ومنعهم أن يسجدوا ، وكان هذا بحضرة جمع كثير من الصحابة ، فلم ينقل عن أحد منهم انكاره ، ولا نقل خلافه (١).

٤ ـ ومن الادلة على أن سجود التلاوة غير واجب ، ما أشار اليه بعض العلماء (٢) من أن آيات السجود منها ما هو بصيغة الخبر ، ومنها ما هو بصيغة الانشاء الامر ، فلو كان السجود في التلاوة واجبا لكان في الايات التي وردت بالامر أحرى ، وأجدى أن يتفق عليه ، ولم يقع فيه خلاف بينما الواقع أن آيات السجود التي بها الامر ، كالنجم ، واقرأ ، حصل فيها الخلاف (٣).

٢) ذهب الامام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ وأصحابه الى القول بوجوب السجود في التلاوة (٤) مستدلين بالادلة التالية :

١ ـ قول الله تعالى : " فما لهم لا يؤمنون واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون " (٥).

قالوا : ولا يذم الا على ترك واجب .

---

(١) المغني ، المصدر السابق ٦٢٤/١ .
(٢) المراد بالبعض هنا الطحاوي.
(٣) فتح الباري تلخيصا ٢١١/٣ .
(٤) المغني ٦٢٣/١ ، فتح الباري ٢١٢/٣ .
(٥) سورة الانشقاق الاية : ٢١ .

٢ ـ ولانه سجود يفصل فى الصلاة فكان واجبا كسجود الصلاة[١] •

٣ ـ ما أخرجه مسلم ، أمر آدم بالسجود فسجد ، فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار[٢] •

٤ ـ كذلك قال الاحناف ، كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحافظ عليه •

<u>رد الجمهور على ما استدل به الاحناف :</u>

١) فأما الاية التى ورد فيها ذم من لم يسجد ، فانه ذمهم لترك السجود غير معتقدين فضله ولا مشروعيته •

٢) أما قولهم : فانه سجود يفعل فى الصلاة ، فكان واجبا كسجود الصلاة فان قياسهم هذا ينتقض بسجود السهو ، فانه عندهم غير واجب[٣] •

٣) أما حديث أمر آدم بالسجود ، فلا حجة فيه ، لانه اخبار عن السجود الواجب •

٤) أما مواظبة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكأمره تدل على الاستحباب أو الاستنان لوجود الصارف عن الوجوب ، خصوصا وأنه ورد فى صحيح البخارى[٤] • قيل لعمران بن حصين : الرجل يسمع السجدة ولم يجلس لها قال : أرأيت لو قعد لها ، كأنه لا يوجبه عليه •

---

(١) المغنى ١/٦٢٤ •

(٢) مسلم /باب اطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، نصب الراية ٢/١٧٨ •

(٣) المغنى لابن قدامة ١/٦٢٤ •

(٤) صحيح البخارى شرح فتح البارى ٣/٢١١ •

روايتان في سجود التلاوة عن مالك :

١) احدى الروايتين : أن سجود التلاوة سنة ليس بواجب ، ولا فضيلة كما هو رأى الجمهور .

٢) والرواية الثانية عنه : أنه فضيلة وليس بسنة ، قال في مختصر خليل المالكي (وهل سنة أو فضيلة) قال في الحطاب مع حاشيته المواق :

١ - ابن عرفه الاكثرون أن سجود التلاوة سنة لقولها - يعني المدونة - يسجدها بعد العصر والصبح ما لم تصفر ، أو يسفر كالجنازة .

٢ - والقاضي وابن الكاتب فضيلة لقوله : يستحب أن لا يدعها في ابان الصلاة [١] .

قال في ميسر الجليل على مختصر خليل [٢] : وهل سجود التلاوة سنة وعليه الاكثر ، لان فيها - يعني المدونة - أنه يسجد بعد العصر ما لم تصفر ، وبعد الصبح ما لم يسفر ، فجعلها كصلاة الجنائز ، أو فضيلة ، وهذا قول الباجي ، وابن رشد ، وبه صدر ابن الحاجب .

---

(١) مواهب الجليل شرح مختصر خليل ، الحطاب وبهامشه المواق ٢/٦١ ، والمنتقى شرح موطأ الامام مالك للباجي ١/٣٥٠ .

(٢) ميسر الجليل على مختصر خليل ١/٢٤٨ ، ٢٤٩ .

" ما يشترط لسجود التلاوة "

" وماذا يجب فيه ؟ "

اشترط جمهور الفقهاء لسجود التلاوة ما اشترطوه للصلاة من طهارة واستقبال قبلة ، وستر عورة .

قال مالك[1] : لا يسجد الرجل ولا المرأة ، الا وهما طاهران .

قال الباجي : لان سجود التلاوة صلاة ، فكان من شرطها الطهارة كسائر الصلوات .

قال ابن قدامة فى المغنى[2] : ولا يسجدها الا وهو طاهر ، وجملة ذلك: أنه يشترط للسجود ، ما يشترط لصلاة النافلة ، من الطهارتين ، من الحدث والنجس ، وستر العورة ، واستقبال القبلة ، والنية .

قال : ولا نعلم فيه خلافا ، الا ما روى عن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فى الحائض تسمع السجدة تومئ برأسها ، وبه قال سعيد بن المسيب.

قال فى مواهب الجليل[3] : عند قول خليل (سجد بشرط الصلاة بلا احرام) ابن بشير: أجمعت الامة على أن سجود التلاوة مشروع على الجملة ، وهو جزء من الصلاة يشترط فيه ما يشترط فى الصلاة من طهارة الحدث والخبث، وستر العورة ، واستقبال القبلة .

---

(١) الموطأ مع شرحه المنتقى للباجى ١/٣٥٢ .

(٢) المغنى لابن قدامة ١/٦٢٠ .

(٣) مواهب الجليل شرح مختصر خليل ، الحطاب ٢/٦٠ .

وقال الشوكانى : ليس فى أحاديث سجود التلاوة ما يدل على اعتبار أن يكون الساجد متوضئا ، وقد كان يسجد معه - صلى الله عليه وسلم - من حضر تلاوته ، ولم ينقل أنه أمر أحدا منهم بالوضوء ، ويبعد أن يكونوا جميعا متوضئين .

وقد روى البخارى [1] عن ابن عمر أنه كان يسجد على غير وضوء .

قال فى فتح البارى [2] : لم يوافق ابن عمر أحد على جواز السجود بلا وضوء الا الشعبى .

ويكبر لها عند الخفض والرفع منها ، قال بهذا عامة الفقهاء ، ولا سلام لها عند الجمهور [3] .

وقيل : يسجد لها فى سائر الاوقات لانها صلاة بسبب ، وهو قول الشافعى .

وقيل : ما لم يسفر الصبح ، أو ما لم تصفر الشمس [4] .

والصحيح أنه يجوز للامام والمنفرد أن يقرأ آية السجدة فى صلاته ، فرضا كانت ، أم نفلا ، جهرية ، أم سرية ، لحديث البخارى [5] .

روى البخارى عن أبى رافع قال : صليت مع أبى هريرة صلاة العتمة ، فقرأ " اذا السماء انشقت " فسجد فيها ، فقلت يا أبا هريرة ما هذه السجدة ؟

---

(١) صحيح البخارى شرح فتح البارى ٣/٢٠٧ .

(٢) فتح البارى ٣/٢٠٨ .

(٣) الحطاب مع المواق ٢/٦١ ، والمغنى لابن قدامة ١/٦٢١ .

(٤) المغنى ، نفس المصدر ١/٦٢٣ ، والمنتقى ، المصدر السابق ١/٣٥١ .

(٥) صحيح البخارى شرح فتح البارى ٣/٢١٤ .

فقال : سجدت فيها خلف أبى القاسم — صلى الله عليه وسلم — فلا أزال أسجدها حتى ألقاه .

وأما المستمع فانه يسجد ، بشرط أن يكون التالى ممن يصلح أن يكون له اماما ، فان كان صبيا ، أو امرأة ، فلا يسجد السامع ، وبشرط أن يسجد التالى ، فان لم يسجد التالى ، فليس على السامع سجود ، وقيل يسجد (١).

قال فى الحطاب (٢) : وانظر ، الاستاذ اذا قرأ التلميذ السجدة فقيل يسجد المقرئ ، بسجود القارئ ، اذا كان بالغا فى أول سجدة تمر به ، وليس عليهما السجود فيما بعد ذلك ، وقيل لا سجود عليهما ، ولو فى أول مرة .

واعلم أيها القارئ أن السجدة يسن فيها الدعاء ، وقد ورد فى ذلك ما يأتى :

قال أحمد (٣) : أما أنا فأقول سبحان ربى الاعلى .

وقد روت عائشة رضى الله عنها — أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يقول فى سجود القرآن بالليل : سجد وجهى للذى خلقه ، وصوره ، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته .

قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح (٤).

---

(١) المغنى لابن قدامة ١/٦٢٥ ، الحطاب مع المواق ٢/٦١ .

(٢) الحطاب ، نفس المصدر ٢/٦١ .

(٣) المغنى ١/٦٢٢ .

(٤) أخرجه مسلم ١/٥٣٤ كتاب صلاة المسافرين حديث رقم ٢٠١ ، والترمذى كتاب الجمعة

وروى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : جاء رجل الى النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال يا رسول الله ! انى رأيتنى الليلة أصلى خلف شجرة ، فقرأت السجدة ، فسجدت ، فسجدت الشجرة لسجودى ، فسمعتها وهى تقول : اللهم اكتب لى بها عندك أجرا ، وضع عنى بها وزرا ، واجعلها لى عندك ذخرا ، وتقبلها منى ، كما تقبلتها من عبدك داود ، فقرأ النبى — صلى الله عليه وسلم — سجدة ، ثم سجد ، فقال ابن عباس ، فسمعته يقول : مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة .

قال الترمذى : وهذا حديث غريب[1] .

وقال ابن قدامة : ومهما قال من ذلك فحسن[2] .

* * *

---

(١) الترمذى ٣/١٨١ ، وابن ماجه ١/٣٣٤ كتاب الاقامة — باب سجود القرآن ، حديث رقم ١٠٥٣ .

(٢) المغنى ١/٦٢٢ .

" مواضع السجود فى القرآن "

" وأقصى ما قيل فى عددها "

وها هى على التوالى

١) " ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحون وله يسجدون " (١).

٢) " ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال " (٢).

٣) ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون " (٣).

٤) " قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا " (٤).

٥) " اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا " (٥).

٦) " ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء " (٦).

---

(١) سورة الاعراف الاية : ٢٠٦ .
(٢) سورة الرعد الاية : ١٥ .
(٣) سورة النحل الاية : ٤٩ .
(٤) سورة الاسراء الاية : ١٠٩ .
(٥) سورة مريم الاية : ٥٨ .
(٦) سورة الحج الاية : ١٨ .

٧) " يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون "(١).

٨) " واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا "(٢).

٩) " ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون "(٣).

١٠) " انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون "(٤).

١١) " وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب "(٥).

١٢) " ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون "(٦).

١٣) " فاسجدوا لله واعبدوا "(٧).

١٤) " واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون "(٨).

١٥) " كلا لا تطعه واسجد واقترب "(٩).

* * *

---

(١) سورة الحج الاية : ٧٧ .
(٢) سورة الفرقان الاية : ٦٠ .
(٣) سورة النمل الاية : ٢٥ .
(٤) سورة السجدة الاية : ١٥ .
(٥) سورة ص الاية : ٢٤ .
(٦) سورة فصلت الاية : ٣٧ .
(٧) سورة النجم الاية : ٦١ .
(٨) سورة الانشقاق الاية : ٢١ .
(٩) سورة العلق الاية : ١٩ .

" خاتمة البحث "

" نسأل الله سبحانه وتعالى أن يختم لنا بالحسنى "

هذا وأوجز فيها بعض نتائج البحث التى توصلت اليها ، فأقول وبالله أستعين :

من النتائج التى توصلت اليها أن الله سبحانه وتعالى له أن يقسم بما شاء من خلقه ، بخلاف المخلوق ، فلا يجوز له أن يحلف الا بالله عز وجل ، أو بصفاته .

فقد ورد النهى عن الحلف بغير الله ، وأن الصحيح أنه لا ينعقد يمين بغير الله ، ولو كان نبيا ، أو كعبة ، مما عظم شرعا ، كذلك مما توصلت اليه ان المراد بالنجم فى سورة " النجم " هو الكوكب على التحقيق .

من النتائج كذلك ، أن الضلال فى لغة العرب يأتى لمعان كثيرة ، ومن أشهرها :

١) الذهاب عن علم حقيقة الامر ، كقول الشاعر :

وتظن سلمى أننى أبغى بها ∴ بدلا أراها فى الضلال تهيم

٢) الذهاب عن طريق الحق التى جاءت بها الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - وهذا أشهر معانيه فى القرآن .

٣) اطلاق الضلال بمعنى الهلاك والغيبة ، ولذا تسمى العرب الدفن : اضلالا .

٤) كما يطلق على بطلان العمل ٠

٥) و يطلق على النسيان ٠

من النتائج أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ اختلف ، هل يجتهد أم لا ؟

والجمهور على أنه يجتهد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأن المجتهد لابد أن يكون عالما بنصوص الكتاب والسنة ، خصوصا من ذلك ما يتعلق بالاحكام ٠

وكذا من النتائج ، أن الوحي ينقسم الى أقسام ، وأن القرآن لم يكن منه شيء ، الهاما ولا مناما ، وانما كان يقظة كله ، ينزل جبريل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ به يقظة ٠

كما أن من نتائج البحث : أن الوحي ثبت علميا ما يدل عليه ٠

كما أن من نتائج البحث التي توصلت اليها ، أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسرى به ، وعرج به بجسده ، وروحه ، يقظة ، لا مناما ٠

ومن النتائج كذلك التي توصلت اليها ، أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم ير الله عز وجل بعيني بصره ، وانما رأى جبريل ـ عليه السلام ـ له ستمائة جناح ، وأن رؤية الله يوم القيامة واقعة للمؤمنين ، خلافا للمعتزلة ٠

كما أني توصلت من خلال البحث الى أن قصة الغرانيق باطلة ، لا صحة لها ، وانما هي من وضع الزنادقة ٠ وان كان قد قال بصحتها بعض أهل

العلم ، كابن حجر مثلا ، فابن حجر غير معصوم ، غفر الله لنا وله ،
فالمفسرون يروون هذه القصة عن ابن عباس من طريق الكلبي عن أبي صالح
عن ابن عباس ، والكلبي متروك ، كما صرح به العلماء .

ومن النتائج التي توصلت اليها : أن الله ذم الظن في غير ما آية من
كتابه .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اياكم والظن ، فان الظن أكذب
الحديث .

وأنه يعمل بغلبة الظن في المعاملات ، أما الاعتقاد فلابد فيه
من اليقين العلمي .

كما أنه من النتائج التي توصلت اليها : أنه يجب الاعراض والتولي عن
من أعرض عن ذكر الله ، وغفل عنه ، فيجب على المؤمن أن يبتعد عن
من هذه حاله .

ومن نتائج البحث التي توصلت اليها : أن الملائكة حقيقة ، وأنهم أجسام
نورانية ، خلقهم الله من النور ، جنده سبحانه وتعالى ، لا يعصون الله
ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، لا يعلم عددهم الا هو سبحانه وتعالى ،
ومن يقول : انهم ليسوا بحقيقة ولا بأجسام ، فهو مكذب بالقرآن والسنة .

ومما توصلت اليه في هذا البحث : أن الشفاعة واقعة يوم القيامة لنبينا
ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن يأذن الله له ، ويرضاها للمشفوع له ، وأنها
لا تكون الا للمؤمنين ، فالكافرون لا تنفعهم الشفاعة .

كما توصلت الى أن الذنوب منها صغائر ، ومنها كبائر ، وأن الكبائر اختلف فى عددها ، وحاول بعض العلماء أن يجعل كل ذنب حد عليه فى الدنيا ، أو أتبع بلعن ، أو طرد من رحمة الله ، أو ايعاد بنار ، أن يجعله كبيرة ، وهذا أقرب الاقوال فى حدها .

ومن النتائج التى توصلت اليها : أن المؤمن لا ينبغى له أن يزكى نفسه ويفتخر بها ، فالله أعلم بالمتقى ، وأن التزكية ان كانت لغرض صحيح فلا مانع منها ، فالذى يمنع تزكية النفس افتخارا وتطاولا على الناس .

كما توصلت الى قاعدة الجزاء ، وهى أن الانسان ليس له الا ما عمل ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، كما أنه لا يحمل بما لم يعمل ، لا تزر وازرة وزر أخرى ، وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ .

وقد توصلت كذلك الى أن الصحيح هو السجود فى آخر السورة ، وان خالف فى ذلك المالكية ، فالحق أحق أن يتبع ، فالادلة واضحة فى السجود فى آخرها ، كما هو الحال فى غيرها من آيات المفصل التى ورد السجود فيها .

فالمالكية محجوجون فى ذلك بالسنة ، وعمل الخلفاء الراشدين ، وأهل المدينة ، كأبى هريرة وغيره - رضى الله عنهم - .

كما توصلت الى أن التحقيق فى سجود التلاوة السنية ، لا الوجوب ، كما قال الاحناف ، فهم محجوجون بالادلة الواضحة فى ذلك .

وأقترح في خاتمة بحثي هذا على كل جامعة في العالم الاسلامي أن تجعل في برامجها تخصصات كثيرة لدراسة الكتاب والسنة من قراءات في التجويد ، ودراسة في التفسير ، وفي شتى علوم الحديث ، كما هو الواقع الان ، ولله الحمد في جامعة أم القرى ، زادها الله حرصا على كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم ، وجعلها نبراسا يحتذى في كل خير .

والذي جعلني أقترح هذا الاقتراح هو أن كثيرا من الشباب المسلم اليوم يعزفون عن الدراسات الاسلامية ، لانهم لا يرون في الجامعات الاسلامية تشجيعا لأهلها ، بل ان الكثير من الجامعات لا توجد فيه هذه التخصصات المفيدة .

كما أني أقترح على كل طالب علم مهما كان تخصصه أن يحرص على قراءة القرآن العظيم ، وفهمه ، وتدبره ، وقراءة كتب التفسير ، قديمها وحديثها ، وكذلك قراءة كتب السنة ، فكيف يوصف انسان بأنه طالب علم ، أو عنده شهادة عليا ، وهو لا يقرأ القرآن ، ولا السنة ،

والى بحث آخر ان شاء الله .

فألقت عصاها واستقر بها النوى ∴ كما قر عينا بالاياب المسافر

* * *

اعداد الطالب
محمد عمر حويه الموريتاني
في ١٤٠٣/٧/١ هـ

الفهارس

فهرس المراجع

" فهـــرس المراجـــــع "

١) القـــرآن الكـريـــم .

٢) صحيـح البخـــارى.

٣) صحيـح مســـلم .

٤) موطـأ الامام مالك : ترتيب محمد فؤاد عبد الباقى .

٥) سـنن أبى داود : الطبعة الثانية ، ١٣٦٩ هـ ، وقد أرجع الى غيرها .

٦) ســنن الترمـــذى .

٧) سنن النســائى : شرح السيوطى ، وحاشية الامام السندى . الناشـر المكتبـة العلمية ، بيروت ، وقد أرجـع الى غيرهـا .

٨) سـنن أبن ماجـــه ، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقـــى .

٩) مسـند الامام أحمـد . ترتيب محمد فؤاد عبد الباقـى .

١٠) المســتدرك . للحاكـــم .

١١) تفسـير ابن جرير الطبـرى . أبو جعفـر محمد بن جرير الطبرى وبهامشه تفسـير غرائب القرآن ، ورغائـب الفرقان . الطبعـة الثانيـــة بالاوفســت ، ١٣٩٢ هـ .

١٢) زاد المسير فى علم التفسـير . أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علـى ابن محمد الجوزى القرشى البغدادى . النسخة المطبوعة علــى نفقـة صاحب السمو : الشيخ خليفة بن حمـد آل ثانى ، أمير دولـة قطـر . المكتـب الاسـلامى ، بيـروت .

١٣) البحر المحيط • أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي الشهير بأبي حيان ، وبهامشه النهر الماد لابي حيان ، والدر اللقيط من البحر المحيط ، لتلميذ أبي حيان محمد أحمد ابن عبد القادر ، أحمد القيسي ، الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض •

١٤) القرطبي • الجامع لاحكام القرآن • أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي • مصورة عن طبعة دار الكتب ، الناشر دار الكتاب العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ ، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني •

١٥) تفسير ابن كثير • تفسير القرآن العظيم • للامام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء ، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي • طبعة سنة ١٣٨٨ هـ ، دار التراث العربي ، وقد رجعت الى غيرها •

١٦) فتح القدير • الجامع بين فني الروايه والدرايه من علم التفسير محمد بن علي بن محمد الشوكاني • الطبعة الثانية ، وقد أرجع الى غيرها •

١٧) الفتوحات الالهية • بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية • سليمان بن عمر العجيلي ، الناشر عيسى البابي الحلبي • القاهرة •

١٨) تفسير الجلالين . للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى . الناشر مكتبة الجمهورية ، مصر .

١٩) لباب التأويل فى معانى التنزيل . علاء الدين على بن محمد ابن ابراهيم البغدادى ، المعروف بالخازن ، وبهامشه تفسير البغوى . مطبعة التقدم العلمية بمصر .

٢٠) تفسير البغوى . معالم التنزيل . أبو محمد الحسين الفراء البغوى ، مطبعة التقدم العلمية بمصر .

٢١) تفسير النسفى . مدارك التنزيل وحقائق التأويل . أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى . مطبعة السعادة ، طبعة أولى .

٢٢) تفسير الزمخشرى . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى ، ومعه كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، للامام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندرى المالكى . الطبعة الاخيرة ١٣٨٥ هـ ، مطبعة الحلبى وأولاده ، مصر .

٢٣) تفسير البيضاوى . طبعة قديمة ، وربما رجعت الى غيرها .

٢٤) حاشية الشهاب على البيضاوى . طبعة قديمة ، وقد أرجع الى غيرها .

٢٥) تفسير الفخر الرازى ٠ التفسير الكبير ٠ الطبعة الاولى ، وقد أرجع الى غيرها ٠

٢٦) تفسير النيسابورى ٠ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٠ الطبعة الثانية ٠

٢٧) تفسير أبى السعود ٠ الناشر مكتبة الرياض ، وقد أرجع الى غيرها ٠

٢٨) روح المعانى ٠ تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ٠ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسى ، البغدادى ٠ ادارة الطباعة المنيرية ، مصر ، وقد أرجع الى غيرها ٠

٢٩) فتح البيان فى مقاصد القرآن ٠ صديق حسن خان ٠ الناشر عبد المحى على محفوظ ٠

٣٠) أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن ٠ الشيخ محمد الامين ابن محمد المختار الجكنى ٠ مطبعة المدنى ٠

٣١) تفسير المراغى ٠ الشيخ أحمد مصطفى المراغى ٠ الطبعة الثالثة ، ١٣٩٤ هـ ٠

٣٢) فى ظلال القرآن ٠ سيد قطب ٠ الطبعة الشرعية السابعة ، دار الشروق ، ١٣٩٨ هـ ٠

٣٣) التفسير الحديث ٠ للقرآن الكريم ٠ حافظ عيسى عمار ٠ وكيل محكمة استئناف القاهرة ٠ الناشر مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، مصر ٠

٣٤) صفوة التفاسير . لفضيلة الشيخ الصابونى . الطبعة الاولى .

٣٥) مختصر ابن كثير . لفضيلة الشيخ الصابونى . الطبعة الاولى .

٣٦) البرهان فى علوم القرآن . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى .
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . الطبعة الاولى ، ١٣٧٧ هـ .

٣٧) الاتقان فى علوم القرآن . جلال الدين عبد الرحمن السيوطى . طبعة
قديمة ، وقد أرجع الى غيرها .

٣٨) المدخل فى علوم القرآن . لفضيلة الاستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبة
الطبعة الثانية .

٣٩) مناهل العرفان فى علوم القرآن . محمد عبد العظيم الزرقانى . مطبعة
دار احياء التراث العربى ، بيروت .

٤٠) مباحث فى علوم القرآن . لفضيلة الشيخ مناع القطان . الطبعة الرابعة .

٤١) أسباب النزول للواحدى ، أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى .
الطبعة الاولى ، الناشر دار المعرفة ، بيروت .

٤٢) الدر المنثور فى التفسير المأثور . السيوطى ، وبهامشه القرآن الكريم
مع تفسير ابن عباس . الناشر دار المعرفة .

٤٣) لباب النقول فى أسباب النزول . جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر
السيوطى . دار احياء العلوم .

٤٤) أحكام القرآن . لابن العربى . الطبعة الاولى ، وقد أرجع الى غيرها .

٤٥) أحكام القرآن . للجصاص . الطبعة الاولى ، وقد أرجع الى غيرها .

٤٦) عمل أهل المدينة . الدكتور أحمد محمد نور سيف . الطبعة الاولى .

٤٧) التبيان فى أقسام القرآن . شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزيه . دار الطباعة المحمدية بالازهر ، ١٣٨٨ هـ .

٤٨) المفردات للراغب . أبو القاسم الحسين بن محمد الاصفهانى . تحقيق محمد سيد كيلانى .

٤٩) فتح البارى . الحافظ شهاب الدين أبو الفضل العسقلانى . طبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٣٧٨ هـ ، وقد أرجع أحيانا الى غيرها من الطبعات .

٥٠) التلخيص الحبير . ابن حجر . نسخة مصورة عن نسخة مطبوعة سنة ١٣٨٤ هـ .

٥١) النووى بشرح مسلم . الطبعة المصرية ، وقد أرجع الى غيرها .

٥٢) ارشاد السارى شرح صحيح البخارى . أبو العباس شهاب الدين أحمد ابن محمد القسطلانى وبهامشه مسلم بشرح النووى . نسخة مصورة عن طبعة سنة ١٣٠٥ هـ بمصر .

٥٣) عمدة القارى . شرح صحيح البخارى . طبعة قديمة ، وقد أرجع الى غيرها .

٥٤) المنتقى . للباجى . شرح للموطأ . أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجى الاندلسى ، طبعة مصورة عن الطبعة الاولى ١٣٣٢هـ .

٥٥) الزرقانـى • شرح الموطـأ • سيد محمد الزرقانى • ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفى •

٥٦) معالـم السنن • شرح سنن أبى داود • للخطابى • طبعة قديمة ، وقد أرجع لغيرها •

٥٧) تحفة الاحوذى شرح الترمذى • للامام الحافظ أبى العلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى • ضبط عربيته وراجع اصوله عبد الرحمن محمد عثمان • الناشر محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية ، بالمدينة المنورة •

٥٨) النهاية لابن الاثير • فى غريب الحديث • طبعة قديمة ، وقد أرجع الى غيرها •

٥٩) الفائق فى غريب الحديث • للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشرى تحقيق على محمد البجاوى ، محمد أبو الفضل ابراهيم • دار الفكر ، بيروت •

٦٠) شرح السنة للبغوى • أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى • تحقيق شعيب الارناءوط ، الطبعة الاولى •

٦١) فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير • محمد عبد الرءوف المناوى • الطبعة الثانية ، دار المعرفة للطباعة والنشر •

٦٢) الجامع الازهر فى أحاديث النبى الانور • مخطوطة مصورة للمناوى •

٦٣) نصب الراية ، تخريج أحاديث الهداية ، مع حاشيته النفيسه بغية الالمعى فى تخريج الزيلعى • الطبعة الثانية ، توزيع المكتب الاسلامى •

٦٤) نيل الاوطار • شرح منتقى الاخبار • محمد بن على الشوكانى الطبعة الاخيرة •

٦٥) مقدمة ابن الصلاح ، علوم الحديث • تعليق الدكتور نور الدين عتر • الناشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، مكتبة النمنكانى •

٦٦) تدريب الراوى ، شرح تقريب النواوى • لخاتمة الحفاظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى • راجعه وحققه عبد الوهاب عبد اللطيف • الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ ، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة •

٦٧) الباعث الحثيث • ابن كثير • تحقيق أحمد محمد شاكر •

٦٨) نخبة الفكر • ابن حجر • طبعة قديمة •

٦٩) المنهاج فى شعب الايمان • أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمى • تحقيق حلمى فوده ، دار الفكر •

٧٠) الشفا بتعريف حقوق المصطفى • للقاضى عياض بن موسى اليحصبى الاندلسى • تحقيق محمد أمين قره على ، أسامه الرفاعى ، جمال السيروان ، نور الدين قره على ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق •

٧١) المغـنى لابن قدامـة • أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة•
الناشر مكتبة الريـاض الحديثـة •

٧٢) بدايـة المجتهد ، ونهاية المقتصد • محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد
ابن رشـد القرطبي • طبع سنة ١٣٨٦ هـ ، الناشـر مكتبـة
الكـليات الازهـرية •

٧٣) مختصر خليـل • خليل بن اسحاق المالـكي •

٧٤) الدسـوقي • مع الدرديري • طبعة قديمة •

٧٥) جواهـر الاكليـل • تأليـف الازهـري •

٧٦) ميسر الجليل على مختصر خليل • محنض بابه بن عبيد الديمانى
الطبعـة الاولـى •

٧٧) مواهـب الجليل • الحطاب ، مع حاشية المواق • مطبعة مكتبة النجـاح•
وقد أرجـع الى غيرهـا •

٧٨) فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، أحمد بن تيمية ، جمـع وترتيب محمـد
ابن قاسم العاصمي النجدى الحنبلي • الطبعة الاولى ، وقد أرجـع
الى غيرهـا •

٧٩) اعلام الموقعين عن رب العالمين • للامام ابن قيم الجوزية • تحقيـق
وضبط عبد الرحمن الوكيل ، طبعة سنة ١٣٨٩ هـ ، مطبعة المدنى•

٨٠) اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان • ابن القيم • تحقيق محمد سـيد
كيلانى • مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، مصر •

٨١) كشف الخفاء ومزيل الالباس ، عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس .
الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي . تصوير عن طبعة
سنة ١٣٥٢ هـ ، دار احياء التراث العربي .

٨٢) المستصفى للغزالي . أبو حامد محمد بن محمد الغزالي . الطبعة
الاولى ، ١٣٥٦ هـ .

٨٣) ارشاد الفحول . الى تحقيق الحق من علم الاصول . محمد بن علي
ابن محمد الشوكاني ، وبهامشه شرح الشيخ أحمد بن قاسم
العبادي الشافعي على شرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلي
الشافعي على الورقات في الاصول لامام الحرمين . الطبعة الاولى .

٨٤) المسودة في اصول الفقه . تتابع على تصنيفها ثلاثة من آل تيمية ،
مجد الدين أبو البركات شهاب الدين أبو المحاسن عبد الحليم
ابن عبد السلام ، شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس ، جمع ابن
أحمد بن عبد الغني الحراني ، تحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد . مطبعة المدني .

٨٥) مراقي السعود شرح الشيخ محمد الامين بن أحمد زيدان . الطبعة
الاولى .

٨٦) الاحكام في أصول الاحكام . للآمدي .

٨٧) التبصرة في أصول الفقه للشيرازي .

٨٨) حاشية الايات البينات على شرح جمع الجوامع للامام المحلي .

٨٩) المحصول فى علم أصول الفقه • تحقيق جابر فياض العلوانى •

٩٠) شرح الحجر الاساسى • الشيخ بداه بن البصيرى • الطبعة الاولى ، نواكشوط •

٩١) القاموس المحيط • مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى • الطبعة الثانية ، الحلبى •

٩٢) لسان العرب • ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى • طبعة مصورة عن طبعة بولاق •

٩٣) مختار الصحاح • محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى • ترتيب محمود خاطر ، دار الفكر ، بيروت ، وربما أرجع الى غيرها •

٩٤) ألفية ابن مالك •

٩٥) شرح ابن عقيل • تعليق عبد الحميد محى الدين •

٩٦) الاشمونى • شرح الاشمونى على الالفية ، منهج السالك الى ألفية ابن مالك • تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربى ، بيروت •

٩٧) اسعاف الطلاب شرح قواعد الاعراب • الطبعة الثانية ، ١٣٩٤ هـ •

٩٨) حاشية الصبان ، شرح الاشمونى ، ومعه شرح الشواهد للعينى • طبعة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة •

٩٩) معجم متن اللغة • موسوعة لغوية حديثة للعلامة اللغوى الشيخ أحمد رضا • مطبعة مكتبة الحياة •

١٠٠) الدين الخالص • صديق حسن خان • طبعة دار العروبة •

١٠١) اقتضاء الصراط المستقيم ، مخالفة أصحاب الجحيم • شيخ الاسلام ابن تيمية • مطبعة مكة المكرمة ، ١٣٨٩ هـ •

١٠٢) الجامع الفريد مجموعة رسائل في التوحيد • مطبوعات الجامعة الاسلامية •

١٠٣) الترغيب والترهيب • للحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى • مطبعة الحلبي ، القاهرة •

١٠٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية • اسماعيل بن حماد الجوهرى تحقيق عبد الغفور عطار •

١٠٥) كتاب التبصرة في القراءات السبع • أبو محمد مكي بن أبي طالب القيروانى القرطبي • تحقيق الدكتور المقرئ محمد غوث الندوى • نشر وتوزيع الدار السلفية • الطبعة الثانية •

١٠٦) الدرر اللوامع في أصل مقرأ الامام نافع ، أبو الحسن على بن محمد ابن على بن محمد بن الحسين الرباطي المشهور بابن برى •

١٠٧) شرح نجوم الطوالع على الدرر اللوامع • للشيخ سيدى ابراهيم المراغني المفتى المالكي ، بالديار التونسية • نسخة مطبوعة قديما بتونس •

١٠٨) سلسلة الاحاديث الصحيحة والضعيفة • محمد ناصر الدين الالبانى • المكتب الاسلامى •

١٠٩) اعجاز القرآن . للباقلانى ، أبو بكر محمد بن الطيب . تحقيق السيد أحمد صقر . الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، مصر .

١١٠) العقائد الاسلامية . فضيلة الشيخ سيد سابق . الناشر دار الكتاب العربى ، بيروت .

١١١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان . محمد فؤاد عبد الباقى . الناشر المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ .

١١٢) أسنى المسالك فى أن من عمل بالراجح ماخرج عن مذهب مالك ، ومعه الحجر الاساسى . محمد بن البصيرى الملقب بـ ددا التندغى الحميرى ، الموريتانى . الطبعة الاولى ، المطبعة الوطنية ، نواكشوط .

١١٣) عصمة الانبياء . محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمى البكرى، فخر الدين الرازى . الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ ، دار الكتب بيروت .

١١٤) تيسير العزيز الحميد ، شرح كتاب التوحيد . الشيخ سليمان ابن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . توزيع الرئاسة العامة لشئون الحرمين ، وربما رجعت الى غير هذه النسخة .

١١٥) شرح العقيدة الطحاوية . خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الالبانى . الطبعة الاولى ، ١٣٩٢ هـ .

١١٦) نصب المجانيق ، لنسف قصة الغرانيق . منشورات المكتب الاسلامى . محمد ناصر الدين الالبانى .

١١٧) عالم الملائكة الابرار . عمر سليمان الاشقر . الطبعة الثانية ، الناشر مكتبة الفلاح ، الكويت .

١١٨) المنهج فى قواعد الفقه المالكى مع شرح الشيخ محمد الامين ابن أحمد زيدان . مخطوطة لا تزال فى مكتبة كاتب هذا البحث .

* * *

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ

" فهـــرس الموضوعـــات "

الموضـــــــــوع	الصفحـــــــة

الموضـــــــوع	الصفحـــــــة
التفسير التفصيلى للآيات من قوله تعالى : " ولقد رآه نزلـــة	
أخرى " الى قوله : " من آيات ربه الكبرى "	١٤٣ــ١٤٨
أوجه القراءة فى كلمة عندهـا ، وجنة	١٤٩
الاعـراب لبعـض الكـلمات	١٥٠
التفسـير التفصيلى للآيات	١٥١ــ١٥٦
لطيفـــــــة	١٥٧
الاختــلاف فى معنى الآيات الكبرى	١٥٨ــ١٥٩
الاعـراب لبعـض الكلمـــات	١٦٠
المعنى الاجمالى للآيات من قوله تعالى : " ولقد رآه نزلـــة	
أخـرى " الى قوله : " الكبرى "	١٦١ــ١٦٢
الكــلام على الروءيـة فى الدنيـــا	١٦٣ــ١٧٤
الكــلام على الروءيـة فى الدار الاخـرة	١٧٥ــ١٨٢
الاســراء والمعــراج	١٨٣
أدلة الجمهور على أنه أسرى به يقظة لا مناما	١٨٧
أدلة القائلين بأنها روءيا فقط بالــــروح	١٨٨
فائـــــدة	١٩٧
ما هى الحكمة فى اسرائه الى بيت المقدس ، دون العروج بـــه	
من مكـة ، وما سبب تسمية مسجد القـــــدس	
بالاقـصـــى	١٩٨
حديث خرافة لا مستند له عـقلا ولا شرعا	٢٠٠
التفسير التفصيلى للآيات من قوله تعالى : " أفرأيتم الــلات	
والعزى " الى قوله : " تلك اذا قسمة ضيزى "	٢١٠

الموضوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحـــــــة

الموضــــــــوع	الصفحـــــــة

الموضـــــوع	الصفحـــة

* * *

تم بحمد الله